

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY PAIR>

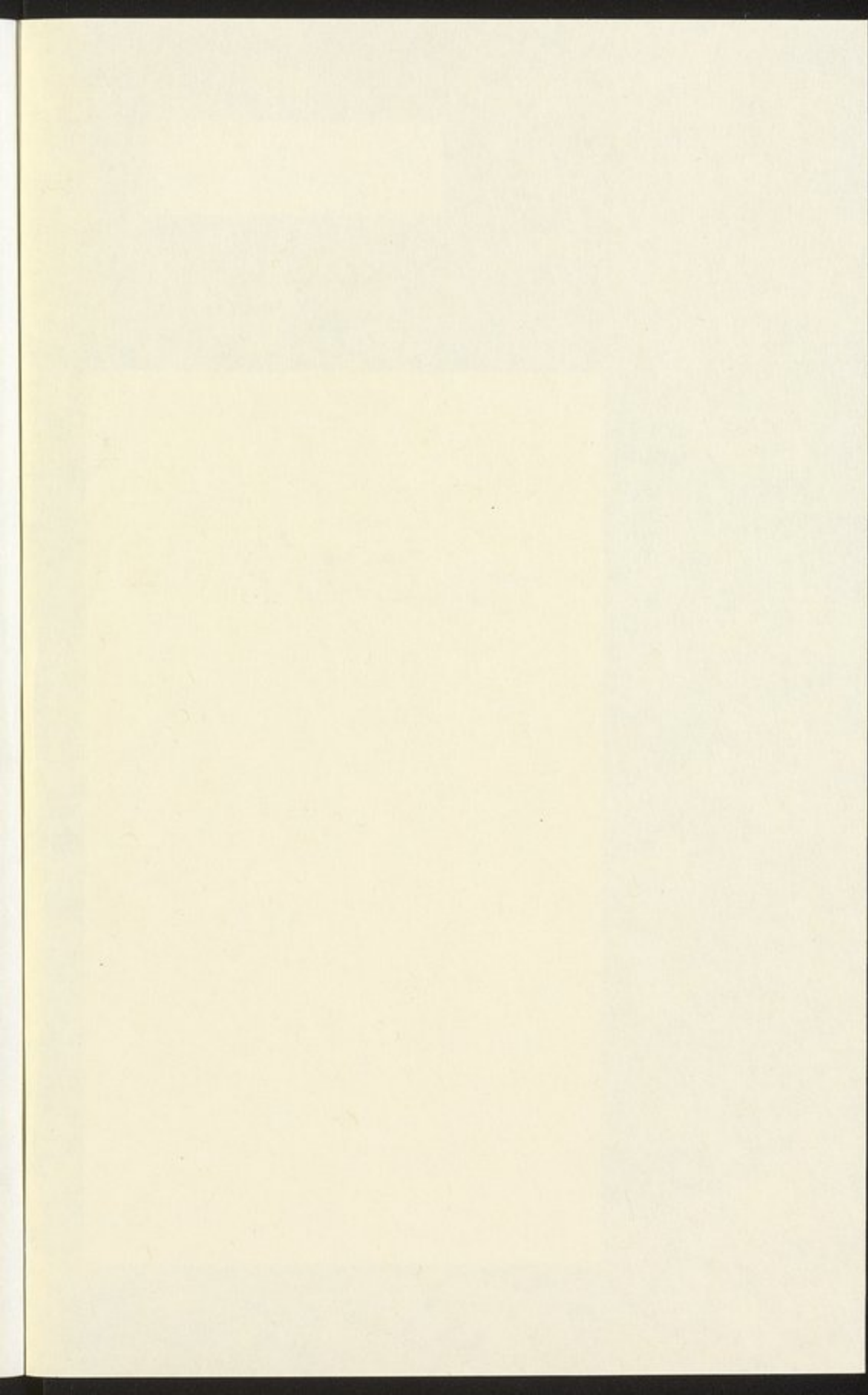


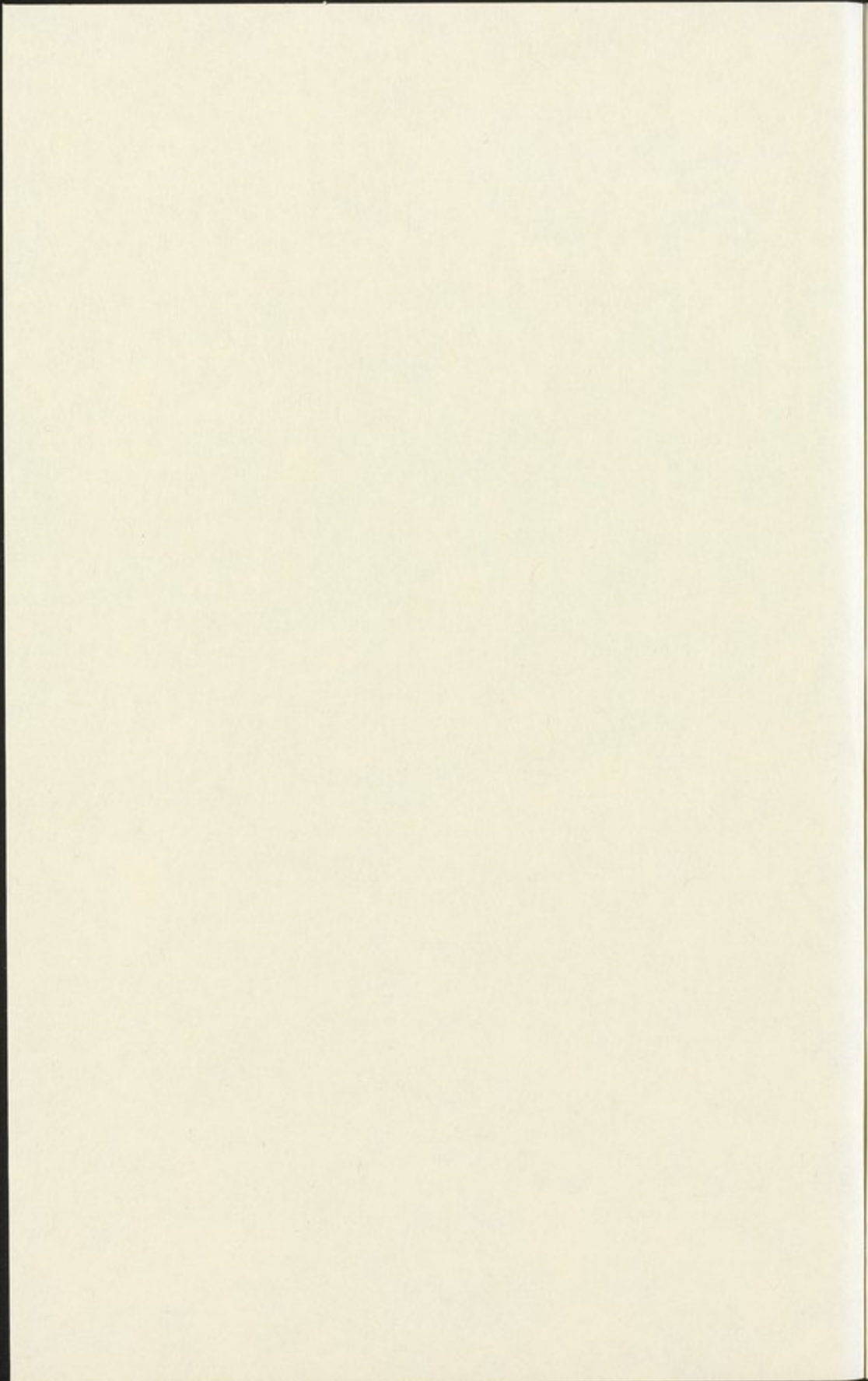
32101 011421235

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

*This book is due on the latest date
stamped below. Please return or renew
by this date.*

~~XXXXXXXXXXXX~~
DUE JUN 15, 1994







بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أسرار الآيات

تأليف

صالح الدين محمد بن إبراهيم السبكي

بإمضاء وتصحيح

محمد خواجه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

انجمن اسلامی حکمت و فلسفه ایران

نهران ۱۳۶۰



Sadr al-Din Shīrāzī

أسرار الأئمة

تأليف
صالح الدين محمد بن إبراهيم السمرقندي

بإمضاء
محمد خواجه

انجمن اسلامی حکمت و فلسفه ایران

نهران ۱۳۶۰

2272
.68942
.M91
.314
1981

وزارت فرهنگ و آموزش عالی
انتشارات
انجمن اسلامی حکمت و فلسفه ایران

شماره ۶۹

آبان ۱۳۶۰ هجری شمسی

محرم الحرام ۱۴۰۲ هجری قمری

چاپخانه وزارت فرهنگ و آموزش عالی

قیمت ۴۰۰ ریال



فهرس الموضوعات

الصحيفة	الموضوعات
٢	المقدمة فى بيان طريق السالكين و منهج الراسخين فى العلم و فيها قواعد
٢	قاعدة فى ان رأس السعادات هو اكتساب الحكمة
٤	قاعدة فى ان الجهل بهذه المعارف رأس الشقاوات
٦	تنبيه فى ان الكفر الذى هو منشأ العذاب هو ضرب من الجهل
٨	تنبيه فى ان محبة الدنيا و الكفر متلازمان
١٠	قاعدة فى ان منهج التوحيد هو مسلك جميع الانبياء و الاولياء
١٢	قاعدة فى نعوت القرآن و اساميه
١٦	قاعدة فى وجوه الفرق بين كلام الله و كتابه
١٧	دقيقة كشفية فى انه قد يكون شىء واحداً كلاماً و كتاباً باعتبارين
١٨	قاعدة فى وجوه الفرق بين انزال كلام الله على قلب النبى (ص) و بين انزال الكتب السماوية
٢١	قاعدة فى الاشارة الى عمدة مقاصد الكتاب الهى و اصول معاقده و احكامه
٢٦	الطرف الاول فى علم الربوبية. و فيه مشاهد. المشهد الاول فى معرفة الحق الاول و وحدانيته
٢٦	و فيه قواعد. قاعدة فى اثبات وجوده تعالى
٢٧	قاعدة فى تحقيق الايمان بالله و باليوم الاخر
٢٨	قاعدة فى ان الايمان ايمانان تقليدى و كشفى

- ٣٢ قاعدة في توحيدته تعالى و احديته و صمديته
- ٣٤ قاعدة في توحيدته تعالى في الالهية
- ٣٥ قاعدة في توحيدته تعالى في حقيقة الوجود
- ٣٧ تنبيه مشرقى في ان وجوده تعالى وجود كل شىء
- ٣٨ المشهد الثانى في صفاته و اسمائه وفيه قواعد: قاعدة في توحيد صفاته الكمالية
- ٤٠ قاعدة في تحقيق اسمائه تعالى
- ٤٣ قاعدة في تعيين الاسم الاعظم و مظهره
- ٤٥ قاعدة في علمه تعالى بذاته و بغيره
- ٤٦ قاعدة في مراتب علمه بالاشياء اجمالاً و تفصيلاً
- ٤٨ قاعدة في ان صدور الاشياء المكونة عن علمه تعالى
- ٥٠ قاعدة في شمول قدرته و انبساط وجوده و سعة رحمته على الاشياء
- ٥٢ قاعدة في تحقيق كلامه تعالى
- ٥٤ قاعدة في دوام امره و خطابه للمكونات
- ٥٦ قاعدة في السر الحروف المقطعة القرآنية
- ٥٨ قاعدة في ان العالم الربوبى و الصقع الالهى عظيم جداً
- ٦٠ قاعدة في ان صور الممكنات الموجودة في هذا العالم مرتسمة متمثلة في نفوس السموات و قواها المنطبعة على الوجه الجزئى
- ٦٢ قاعدة في كيفية نزول القضاء من عند الله و بروز احكامها في عالم الشهادة
- ٦٤ عقدة و حل
- ٦٥ وهم و افتارة
- ٦٧ حكمة عرشية في ان لكل من الافلاك، نشأتان عقلية و نفسانية
- ٦٨ تعليم تمثيلى في ان صورة العالم كصورة الانسان
- ٧١ المشهد الثالث في دوام الهيته وجوده و رحمته و كيفية صنعه و ابداعه وفيه قواعد :
- قاعدة في نقل كلام بعض المتكاسين و تربيته
- ٧٤ قاعدة في تحقيق كلماته التامات

- ٧٦ قاعدة في ان الله سبحانه فاعل لمساواه و موجد لاعداءه على اربعة انحاء
- ٧٨ قاعدة في عالم امره تعالى
- ٨٠ قاعدة في ان جميع الموجودات متوجهة نحو الخير الاقصى و المبدأ الاعلى
- ٨٤ الطرف الثاني افعاله سبحانه و كيفية صدورها عنه و رجوعها اليه و فيه مشاهد
- ٨٤ المشهد الاول في حدوث هذا العالم
- ٩٠ حكمة ايمانية و حجة قرآنية في ان الكتب الالهية ناطقة بان العالم باسرها حادث زمني
- ٩٣ قاعدة في خلق العالم الكبير و بعثه كخلق العالم الصغير و بعثه
- ٩٥ المشهد الثاني في تحقيق الانقراض و النهاية
- ١٠٢ تنبيه في ان لكل من الروح و الجسد و القلب و القالب قبراً حقيقياً
- ١٠٣ تنبيه آخر في موت الانسان الكبير
- ١٠٤ قاعدة في الخلق و الامر
- ١٠٧ قاعدة في كيفية البدو و الاعادة
- ١٠٨ قاعدة في تحقيق الخلافة الالهية
- ١١٠ قاعدة في الحقيقة المحمدية (ص) و مظهر اسم الله الاعظم
- ١١٢ قاعدة في حقيقة الدنيا و الآخرة
- ١١٧ قاعدة في اللوح و القلم
- ١١٨ قاعدة في العرش و الكرسي
- ١٢٠ المشهد الثالث في احكام المخلوقات الواقعة في سلسلة العود الى الله و فيه قواعد :
- ١٢٠ قاعدة في المركبات الناقصة
- ١٢٢ قاعدة في خلق انواع المعادن من المركبات التامة
- ١٢٣ قاعدة في خلق النباتات و الحيوان و الانسان
- ١٢٤ قاعدة في ان الغرض من هذه الموجودات و قواها الطبيعية و النباتية و الحيوانية كلها خلقه الانسان
- ١٢٦ قاعدة في خلقه الانسان

- ١٢٨ قاعدة في ذكر العناصر التي منها تكون الانسان
- ١٣١ قاعدة في فضل معرفة الانسان نفسه
- ١٣٤ قاعدة في قوى الاشياء التي جمعت في الانسان
- ١٣٥ قاعدة في ذكر تكون الانسان شيئاً فشيئاً حتى يصير انساناً كاملاً
- ١٣٩ قاعدة في تفاوت افراد الناس
- ١٤٠ تذكرة فيها تبصرة في ان تفاوت الناس في الصنایع و الاغراض على امور سبعة
- ١٤٢ قاعدة في ان افراد البشر ذوات نفوس حيوانية جزئية مجردة كلها عن البدن الطبيعي لاعن الصورة المثالية
- ١٤٢ قاعدة في ان افراد الانسان بصير متخالفة الحقايق و الماهيات في آخر الامر
- ١٤٤ قاعدة في ان الروح الناطقة باقية بعد خراب البدن
- ١٤٨ قاعدة في بطلان التناسخ
- ١٤٩ كشف خفاء لبسط ضياء في مناسب الى قدماء الحكماء هو بعينه ماورد في الشرايع الحققة
- ١٥٢ تذكرة قرآنية في ان جميع افراد الناس متوجهون بحسب ما اودع الله في غرائزهم نحو المبدء الاعلى
- المشهد الرابع في بيان النبوة و احكامها و فيه قواعد: قاعدة في اثبات الشجرة النبوة و فضلها على جواهر ساير البرية
- ١٥٤ قاعدة في هداية الله تعالى الاشياء الى مصالحها
- ١٥٨ قاعدة في تحقيق قوله تعالى انك ميت و انهم ميتون و بيان ان الموت حق
- ١٥٩ قاعدة في الكشف عن ماهية الانسان الحقيقي مظهر لاسم الله و خليفة الرحمن
- ١٦٢ تنوير تمثيلي في ان نسبة الانسان الى ساير المخلوقات كنسبة القلب الى سائر الاعضاء
- ١٦٤ تبصرة اخرى في تأويل آية الامانة
- ١٦٦ الطرف الثالث في علم المعاد و بيان حشر النفوس و الاجساد
- المشهد الاول في بيان الفطرة الاولى للانسان و العود اليها و في التقابل بين مراتب البدو و مراتب النهاية
- ١٦٦
- ١٦٩ المشهد الثاني في الاشارة الى علم الساعة و سر القيامة و فيه قواعد: قاعدة في معنى الساعة

- ١٧١ قاعدة في سر القيامة و زمانها و مكانها
- ١٧٣ تبصرة عقلية في ان الدنيا كون ناقص وفيها اكوان ناقصة
- ١٧٤ حكمة كشفية في ان القيامة قيامتان الصغرى و الكبرى
- ١٧٥ قاعدة في معرفة طريق الاخرة و منشأ اعراض الخلق عن سلوكها
- ١٧٨ قاعدة في نتائج الاعراض عن سلوك سميت المعاد
- ١٧٩ المشهد الثالث في القبر و عذابه و ثوابه
- ١٨٤ المشهد الرابع في البعث و الحشر: قاعدة في البعث
- ١٨٦ تنبيه استبصارى في ان الانسان لو علم ذهاب بدنه و قد طبعته في السلوك الى الكمال سيبلغ اقصى الغايات
- ١٨٧ قاعدة في الحشر
- ١٨٨ اعلام كشفى في ان حشر الخلايق على انحاء مختلفة
- ١٨٨ بصيرة برهانية في ان تكرر الافاعيل من الانسان يوجب حدوث وملكات و اخلاق في نفسه
- ١٩٠ المشهد الخامس في الصراط
- ١٩٢ مشاهدة قلبية في ان هذا الصراط يظهر يوم القيامة على الابصار
- ١٩٣ بصيرة كشفية في ان النفس الادمية السعيدة صورة صراط الله المستقيم
- ١٩٣ زيادة كشف و توضيح في اعتقادنا في الصراط انه حق و انه جسر جهنم
- ١٩٦ المشهد السادس في نفخ الصور
- ١٩٨ تنوير و تذكير في ان من الناس من يرى امور القيامة بعين البصيرة
- ١٩٩ قاعدة في احوال تعرض يوم القيامة
- ٢٠٢ المشهد السابع في الاشارة الى نشر الصحائف
- ٢٠٧ المشهد الثامن في الميزان و الحساب
- ٢١٢ تبصرة ميزانية في كيفية الموازنة بين الامور الدنيوية و الاخرية
- ٢١٢ تذكير في انك مسافر من الدنيا الى الاخرة و انت تاجر
- ٢١٤ قاعدة في الحساب

الموضوعات

الصحيفة

- ٢١٥ قاعدة في الاشارة الى طوائف الناس من جهة الحساب
٢١٧ المشهد التاسع في الجنة و النار
٢١٩ تنبيه في ان باطن الانسان في الدنيا هو ظاهره في الاخرة
٢٢٢ المشهد العاشر في الاشارة الى الزبانية و عندها
٢٢٤ المشهد الحادي عشر في الاشارة الى درجات الجنان و دركات النيران
٢٢٧ المشهد الثاني عشر في سر شجرة الطوبى و شجرة الزقوم
٢٣٠ قاعدة في كيفية تجدد الاحوال و الاثار على اصحاب الجنة و اصحاب النار

تمت

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، حمداً ازلياً باديته و ابدياً بازليته، حمداً للذي تفرد بالسرمدية، و جعل العقل قطرة من قطرات جبروته، و النفس شعلة من شعلات ملكوته، المتجلى لخلقه بخلقه، الظاهر في الافاق بمظاهر اسمائه و صفاته، الذي هو اختفى لفرط نوره، الظاهر الباطن في ظهوره، و الصلوة و السلام على انوار خير بريته، محمداً المصطفى لاسيما وصيه و خليفته، على المرتضى و ذريته، من الصلوات ازاها و من التحيات انماها.

فبعد: لما ختم طبع المجلد الاول من التفسير على القرآن الكريم للفيلسوف الالهى و الحكيم الربانى، حجة الحكماء الاسلاميين و خادم شريعة سيد المرسلين و قرة عيون السالكين محمد المعروف بصدر المتألهين قدس الله سره العزيز من قبل هذا فى بضعة من الزمان، و كان فى قصى ان اشرع فى طبع المجلد الثانى من التفسير، ولكن طوارق الحدثن و عوايق

الزمان كانت تعوقني عن هذا الامر العظيم، حتى يكاد ان لا يمكن طبعها، كما لا يخفى على من ورد في هذا المشرع، او يطلع على ما يمضى في المطبع، و كان مشوقى في تلك الفترات الماضية و الازمنة القاضية في تصحيحه و تنقيحه و تصديره على المجلدات الباقية استاذى الكبير و الحبر المنير السيد جلال الدين الاشتياني مدظله العالى حتى بلغ الكتاب اجله، فبينما اصاب السيد الاستاذ عارضة حتى طالت الى الان و منعه عن طبع ذلك السفر النفيس، ولكن كلما لا يدرك كله لا يترك كله.

فحينئذ شرعت فى طبع واحد من كتبه الشريفة الذى هو قررة عيون اولى الالباب المسمى باسرار الايات و انوار البيئات، فى العلوم القرآنية و العجايب التنزيل الربانية، و هى هذا الكتاب الذى انفتح بهاباب نزول البركات، و تواتر الرشحات، و قطرات امطار الرحمة من بحار خزائن المكاشفات على الدوام على القارىء العزيز ان كان من المؤمنين الموحدين، و مرض لقلوب الجاحدين ان كان من المنكرين، فيها هدى للمتقين « كما قال و عمى و غشاوة على ابصار المنافقين المتكبرين » يضل به كثيراً و يهدى به كثيراً، و ما يضل به الا الفاسقين.

و عندى اربعة نسخ، واحدة منها المطبوعة المعروفة التى طبعت فى سنة ١٣١٩ طبعة حجرية، و الثانية و الثالثة نسختان مخطوطتان من ممتلكاتى، و الرابع صورة فتوغرافية لمكتبة المجلس، اما النسخة المطبوعة فيها اغلاط و سقطات لاتحصى، و يكاد ان لا يستفاد منها، و مشوبة بالتصحيفات و التحريفات الى درجة فظيعة، و ان بعض الكلمات و الجمل ممسوحة

تماماً، و بالنسختين المخطوطتين مع الصورة فتوغرافية
تم تصحيح الكتاب، و انى لادعى فى طبع هذا التأليف
الشريف الا ان اقول: لا يجد القارى والمستبصر الخير
فيه غلطاً ولا سقطاً الا مازاغ عنها البصر ولا يغير المعنى
المقدر، و ذلك فضل الله العلى العظيم.

و اما شرح حاله و ثقافته و اساتذته و آرائه
الخاصة مضبوطة فى كتب السير، لاسيما فى اوائل
مؤلفاته المنيفة التى طبع فى هذه الاواخر.

و للاستاذ الجليل والحبر النبيل السيد جلال الدين
الاشتيانى دام افاضته العالية تأليف جمع فيه آرائه و
حققها مع شرح حاله و سيرته، و للاستاذ الفقيه الشيخ
ابى عبدالله الزنجانى تعمده الله برحمته ايضاً كتاب
سماه «الفيلسوف الفارسى الكبير» استوعب فيه آرائه
مع سيرته من نشوه الى وفاته، و انى اطردت فى مقدمة
التفسير الكبير لهذا الفيلسوف الالهى التى طبع قبل
ست سنين كل مقال قيل فيه و يليق بمقامه الشريف، فمن
شاء فليراجع اليه.

و للحكيم الالهى و العالم الربانى على بن جمشيد
النورى قدس الله سره القدوسى على هذا الكتاب تعليقات
متفرقة و نظرات عالية، انتخبنا بعضها و وضعناها فى
مواضعها.

واعلموا يا اخوانى الالهيين و اخلائى المؤمنين،
انى القيت اليكم الكتاب الكريم، و جئتكم بالنبأ
العظيم، و آتيكم بشهاب قبس لعلمكم تصطلون، تعالوا
الى كلمات طيبة ايمانية و تلقوها، فان الايمان يمان و
الحكمة يمانية، او قدت من النفس الرحمانى على
شجرة مباركة الهية، لاشرقية و لاغربية.

قل للاولى فاقوا الورى و تقدموا
قدماً، هلموا شاهدوا المتأخرا
و ليست داعيتى على طبع هذا الكتاب
المستطاب الا ان اتشبه بهذا القوم، كما قيل: من تشبه
بقوم فهو منهم.

سالكى را گفت آن پير كهن
چند از مردان حق گوئى سخن
گفت خوش آيد زبانا بر دوام
تا بگويد حرف مردانرا مدام
گرنيم ز ايشان از ايشان گفتهام
خوشدلتم اين قصه از جان گفتهام

و لعمرى هذا الكتاب الذى قال احد من الحكماء
فى اطرائه: يقذف بالحق و ينطق بالصدق، مشتملا على
اصول كافية، ينكشف بها رموز الدقائق، و يزول بنورها
ظلمة الشك و الريب، محتويًا على قواعد ينجلي بها
الانوار الجلية، و مسائل يعلن بها الواردات القلبية،
من الاصول الحكيمية و العلوم الالهية و الفنون
البرهانية و المعالم الدينية و المسالك العرفانية و
المعارف الربانية، بعبارات لطيفة يفصح عن بدايع
الاسرار، و كلمات رشيقة تنبىء عن لطايف الافكار، مع
ما اندرجت فيها من رموز الفصاحة و فنون البلاغة،
و لطايف الحكمة و سرائر المعرفة، قل من يهتدى الى
رشحة من رشحات زخار بحارها، او يطلع على لمعة
من لمعات مطالع اسرارها، اللهم الا الالمعى الفطن
الذكى، الذى اشرق عقله و تنور قلبه و استنارت
سريره و استضاءت بصيرته، مع رياضات علمية و
مجاهدات نفسانية، و مع اهميته و ندرته و كثرة طالبيه
لم يقدر له ان يطبع مرة اخرى، ولذا قام بطبعها مجمع

الفلسفة الإسلامية (انجمن اسلامى حكمت و فلسفه
ایران)، و نرجو من الله تعالى ان يوفقنا لطبع بقية
المجلدات من التفسير الكبير لصاحبنا قدس سره.
و الرجاء من قراء هذا السفر النفيس و العاملين
عليه، لاسيما اولى الالباب و البصائر النافذة الدعوة
الحسنى، و ان ينظروا فى تصحيحه و تنقيحه بعين
العناية و الرضا، لان: عين الرضا عن كل عيب كليله،
و الله ولى الحق و المدافع عن الذين آمنوا و هو يهدى
السبيل، و انا احوج خلق الله الى رحمة ربه البارى،
محمد الخواجوى، احسن الله حاله فى الايام و الليالى،
آمين.

و كانت الفراغة عن تحرير هذه المقدمة فى ثلث
آخر ليلة القدر من شهر رمضان المبارك سنة اربع مائة بعد
الالف من الهجرة النبوية على هاجرها آلاف الثناء و
التحية.

محمد خواجوى

Handwritten text in Arabic script, likely a religious or philosophical treatise. The text is arranged in approximately 10 horizontal lines, though the ink is very faint and difficult to decipher. It appears to be a continuous passage of text.

Handwritten text in Arabic script, continuing the passage from the first block. The lines are more widely spaced and the ink remains light.

Handwritten text in Arabic script, possibly a signature or a concluding phrase, located in the lower right quadrant of the page.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نحمدك اللهم يا من بيده ملكوت الارض والسماء واليه يتشوق ويدور
الاشياء يا حي يا قيوم اياك نروم ولك نصلى ونصوم انت قيام الوجود وفايض
الخير والجدود ومنزل البركات والخيرات وغاية الميول والحركات ومبدء
الاشراق ومنتهى الاشواق ومدبر الامور ونور النور وواهب حياة العالمين
وجاعل السموات والارضين ايدنا بانوار كلماتك ونور قلوبنا باسرار كتابك
وآياتك وطهر نفوسنا من غسق الطبيعة والجهالة واخرجنا من رجس عالم
الظلمات الى مشاهدة انوارك ومعينة اضوائك ومجاورة مقر بيك ومصاحبة
سكان ملكوتك ومسبحيك واحشر نامع النبيين والصد يقين سيما محمد
المبعوث الى كافة الخلايق اجمعين و اهل بيته الاطهرين الانجيين عليهم
اشرف صلوة المصلين وازكى تسليمات المسلمين.

اما بعد فيقول انزل خلق الله واحوجهم الى كرامتقرب العالمين «محمد
المدعو بصدر الدين» هذا بيان للناس و هدى و رحمة للمتقين هذه سبيلي
ادعوا الى الله على بصيرة انا ومن اتبعنى وسبحان الله وما انا من المشركين»،
هذه انوار علوم الهية و اسرار مسايل ربانية و مقاصد قرآنية مستفاد من آيات
الكتاب المبين النازل الى الخلق من عند رب العالمين، وهى مفاتيح يفتح بها باب
الجنة و الرضوان ويظهر بها كنوز خزائن الرحمن ويعاين بها جواهر عالم
الملكوت وينكشف بها انوار عالم الجبروت فيها قرة عيون السالكين و
شفاء صدور المؤمنين الموحدين و مرض لقلوب الجاحدين المنكرين وفيها

هدى للمتقين و عمى و غشاوة على ابصار المنافقين المتكبرين، يضل به كثيرا و يهدى به كثيرا وما يضل به الا الفاسقين و سميتها «باسرار الايات و انوار البيئات» و جمعتها في مقدمة و اطراف مشتملة على مشاهد.

المقدمة

في بيان طريق السالكين الى الله و منهج الراسخين في العلم و فيها عدة قواعد .

قاعدة

في ان رأس السعادات و رئيس الحسنات هو اكتساب الحكمة الحقة، اعنى : العلم بالله و صفاته و افعاله و ملكه و ملكوته، و العلم باليوم الاخر و منازل و مقاماته من البعث و الحشر و الكتاب و الميزان و الحساب و الجنة و النار و هي الايمان الحقيقي و الخير الكثير و الفضل العظيم المشار اليه في قوله تعالى «ومن يوتى الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا» و قوله تعالى: «هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته و يزيكهم، الى قوله و الله ذوا الفضل العظيم و قوله تعالى: «آمن الرسول بما اتزل اليه من ربه،...» الى آخر الاية، و الاشارة الى ان الكفر و الضلال مقابل هذا العلم، اعنى الجهل بهذه المعارف. قوله : «ومن يكفر بالله و ملائكته و كتبه و رسله و اليوم الاخر، فقد ضل ضالا بعيدا» فظهر ان الاعتقاد بهذه الامور هو الايمان الحقيقي و به يحصل الكرامة عند الله و الزلفى لديه. وذلك، لان الانسان باكتساب هذه العلوم الالهية يصير من حزب الملكة المقربين بعد ما كان من جنس الحيوانات المبعدين ، لما تقرر في مقامه بالبرهان: ان النفس الناطقة يترقى في الاستكمالات العلمية من حد العقل الهيلواني الذي هو جوهر نفساني بالفعل، لكنه مادة روحانية

الى حد العقل بالفعل، وهو جوهر عقلي نوراني فيه صور جميع الموجودات على وجه مقدس، وهو نور يترا آى فيه الاشياء كما هي وانما يحصل له هذا العقل البسيط والنور الشريف بالنظر فى حقايق الموجودات والتدبر فى آيات الله الكاينة فى الارض والسموات لبالاعراض عنها كما قال : «وكاين من آية فى السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون» ومما يدل على وجوب النظر والتفكر واكتساب الحكمة والمعرفة. قوله: «قل انظر واماذا فى السموات والارض» وقوله : «اولم ينظر وافي ملكوت السموات والارض ما خلق الله من شئى و ان عسى ان يكون قداقرب اجلهم فباى حديث بعده يومنون» وفى هذه الاية دلالة على ان حيوة الانسان بعد الموت والمفارقة عن هذه النشأة الزائلة بالمعارف والتصديق بحقايق الاشياء كما هي، وقوله : «قل سيروا فى الارض فانظر واكيف بدء الخلق ثم الله ينشاء النشأة الاخرة» .

وهذا السير المأمور به ليس الا السير الفكرى والحركة المعنوى دون تعب الجوارح، وستعلم بيان ما اشرنا اليه من ان بناء النشأة الاخرة للانسان وعمارته انما هي بما يتقرر فى نفسه من صور الاعتقادات، وقوله : «اولم يروا كيف يبدء الله الخلق ثم يعيده» ثم انه قد مدح الله الناظرين فى ماهيات الاشياء والمتفكرين فى خلق السموات والارض والذاكرين لله من ملاحظة آثار صنعه وجوده فى مواضع كثيرة : كقوله «ويتفكرون فى خلق السموات والارض» وقوله تعالى «والذين يذكرون الله قياماً وقعوداً، وعلى جنوبهم، ويتفكرون فى خلق السموات والارض» والاشارة الى العروة الوثقى والعمدة العظمى فى التقرب الى الله والفوز بالسعادة الاخرى، هي اقتناء العلم و المعرفة دون مجرد العمل والطاعة، وان كان العمل الصالح وسيلة اليه، و انها هي الثمرة والغاية والعمل كالزرع وهي النتيجة و العمل كالمقدمة وهي المخدمومة والسلطان، والعمل كالخادم والعبد والاجير، قال: «اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه» وقال: «ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الاخر والملائكة والكتاب والنبين» وقال تعالى : «اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الاخر» .

ففيه اشارة الى ان فعل الصلوة وفعل الحج الذين هما عمدتا الاعمال البدنية والطاعات ليسا مثل الايمان واليقين بالامور المذكورة. وقال «المؤمنون كل آمن بالله وملئكته وكتبه» هذا تعريف المؤمن، ولم يدخل في حده الا هذه المعارف الحقيقية لاشيء من الاعمال، فلو فرض حصول هذه المعارف على وجهها في قلب احد من الادميين من دون عمل حسناً كان او قبيحاً، لكان مومنأ حقاً فائزاً بالسعادة الحقيقية من غير قصور وخلل في ايمانه. وهذا وان كان مجرد فرض لكن الغرض التنبيه على ان العرفان هو الاصل والعمود والعمل فرع له. وقد حث سبحانه عباده في كثير من الايات على اكتساب العلم بالنظر والاعتبار والتأمل في افعاله والتدبر في آياته وآثاره، مثل قوله: «فاعتبروا يا اولى الابصار» وقوله: «اولم ينظروا، اولم يتفكروا» وقوله: «ان في ذلك لذكرى لاولى الالباب» وقوله: «ان في خلق السموات والارض لايات لاولى الالباب» وقوله: «و في الارض آيات للموقنين و في انفسكم افلاتبصرون» .

قاعدة

فى ان الجهل بهذه المعارف الالهية و جحودها مع وجود الاستعداد وقوة التعلم ومكنة التحصيل رأس الشقاوات والعقوبات وانه مادة كل مرض ونفاق نفسانى ومغرس كل شجرة ملعونة وشجرة خبيثة فى الدنيا والاخرة وهو منشاء العذاب الاليم والخسران العظيم والحسرة والندامة يوم القيامة.

قوله تعالى: «اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم و اولئك هم الغافلون، لاجرم انهم فى الاخرة هم الخاسرون» وقوله تعالى: «ومن اعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة اعمى قال: رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيراً، قال: كذلك اتتك اياتنا فنسيتها فكذلك اليوم تنسى» وقوله استحوذ: اى غلب عليهم الشيطان، فانساهم ذكر

الله اولئك حزب الشيطان الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون. و الوجه في ان من نسي ذكر الله يكون من اهل العذاب و انه يحشر اعمى و اصم، ان بناء الاخرة على المعرفة و الذكر، لانها نشأة ادراكية و دار حيوانية كما سنبين، فعمارتها بالاعتقادات و العلم و النيات الصالحة و الادراكات الخالصة، و بناء الدنيا على الظلمة المادية و عمارتها بالامور الشهوية و الامانى الباطلة. لانها نشأة كدرة جرمانية «فمن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى و اضل سبيلاً» ثم ان من جهل بالله جهل بالاشياء كلها، لما تقرر من ان العلم بذات السبب لا يحصل الامن جهة العلم بسببها، و من جهل بالاشياء كان من الهالكين في الاخرة، لمامر من ان وجود الاخرة وجود راي فيكون منسيا عند الله اذ لو كان مذكوراً كان موجوداً في نفسه اذ المعلومات لا ينفك عنه الموجودية في الامور التي وجودها وجود ادراكي و صورتها صورة اداركية، و قال ايضاً: «نسوا الله فنسيهم» وهذا بمنزلة عكس النقيض لقوله: «من عرف نفسه فقد عرف ربه» على ما اوضحناه قوله تعالى: «ان الذين لا يرجون لقاءنا و رضوا بالحيوة الدنيا و اطمنوا بها، و الذينهم عن آياتنا غافلون، اولئك مأويهم النار بما كانوا يكسبون» جعل الله سبحانه الجهل بالله و آياته منشاء الرجوع الى نار الحميم و العذاب الاليم؛ وذلك لان نفوس الجهال ابدأ متوجهة نحو لذات الاجسام و اغراض الدنيا و شهواتها، اذ لا تعرف غير هذه الامور. و اما العارف الرباني فنفسه لاجل الاستكمال بالعلم و الاعراض عن الامور الدنيوية الجسمانية، متوجهة دايماً نحو العالم القدس الالهي، راغبة الى قربه تعالى، لان من احب شيئاً كان حشره الله اليه و الجاهل لا يجب الا الامور الباطلة و الامانى العاجلة الزائلة. و لاشك ان الدنيا و شهواتها امور باطلة و همية، فكان حشره الى عالم البوار و الشرور و الظلمات، فمآله الى نار الحميم و نصيبه العذاب الاليم. قوله تعالى: «ويل للكافرين من عذاب شديد الذين يستحبون الحيوة الدنيا على الاخرة، و يصدون عن سبيل الله و يبغونها عوجاً اولئك في ضلال بعيد».

تنبيه

اعلم ان الكفر الذى هو منشاء العذاب الاليم الشديد هو ضرب من الجهل اعنى المركب مع الاعتقاد المشفوع بالاستكبار والعناد، لامجرد الجهل البسيط بالمعارف ولذلك وصف الله تعالى اولئك الكافرين بمحبة الدنيا والصد عن سبيل الله وطريق الحق والضلال والاعوجاج عن سبيله. قوله تعالى : «ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات، ان لهم اجراً كبيراً و ان الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم عذاباً باليما» قوله تعالى : «من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصليها مذموماً مدحوراً» ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فاولئك كان سعيهم مشكوراً ، السى قوله : «ولاتجعل مع الله الهاً آخر فتتعد مذموماً مخذولاً» قوله تعالى : «ذلك مما اوحى اليك ربك من الحكمة» اى معرفة الحق لذاته وعمل الخير لاجله «ولاتجعل مع الله الهاً آخر فتلقى فى جهنم ملوماً مدحوراً» قوله تعالى : «فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم، ويزيد الله الذين اهتدوا هدى، و الباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً و خير مردأً، يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفداً، ونسوق المجرمين الى جهنم ورداً» اى غاية سكون العارفين وما يؤل اليه سعيهم هو الله وغاية مسلك الجهال المنهمكين فى الدنيا وشهواتها الى النار.

واعلم ان الوصول الى الله خير من كل نعيم وسعادة؛ لان كل خير وكمال ونعيم وسعادة فى الدنيا والآخرة رشح من بحر وجوده وفيض من نور شهوده. وقوله تعالى : «انه من يأت ربه مجرماً، فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى» اذ ليس له الحياة الدنيوية الحسية، لانها بطلت، ولا الحياة الآخروية اعنى حياة العلم والمعرفة، لانها ما حصلت، ولانها اكتسبت. قوله تعالى : «ومن يأتته مومناً قد عمل الصالحات فاولئك لهم الدرجات العلى الى قوله : وذلك جزاء من تزكى» اى تجردت نفسه عن الهيات الدنية والاعراض الدنيوية ، ومن اعرض عنه فانه يحمل يوم القيمة وزراً خالدين فيه وساء لهم يوم القيامة

حملاً. لاشبهة في ان هذه الاوزار والاحمال التي يثقل ظهر القلب ويمنع النفس عن الصعود الى الدرجات العلى ليست اجساماً ثقيلة محسوسة بل هي من باب الهيآت النفسانية و الاعراض التعلقية التي تجر النفس عن عالم النور الى عالم الغرور من سلاسل الشهوات واغلال التعلقات. قوله تعالى : « فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار » لما بين في موضعه من ان الاخلاق والملكات ستصير صوراً جوهرية يتصور بها النفس الانسانية و يتلبس بها في الاخرة، فيكون لها شعاراً و دثاراً .

ثم ان الهيآت المتمكنة في نفوس الاشقياء المبعدين من دار الكرامة هي من باب الشهوات الدنيوية والذات الحيوانية والاعراض البهيمية، فهي حاصلة من القوى العمالة للاجر ام السفلية بالتقطيع والجمع والتفريق والتحليل والتركيب يصب من فوق رؤسهم الحميم، اى ينزل عليهم من القواهر العلوية ما يتسخن به ابدانهم، و يصهر به ما في بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد، من قوة قوية لفاعل غليظ شديد يدعوهم الى الاعمال الطبيعية وخدمة الشهوات الشيطانية و اشتعال النيران الكامنة. و يجمعهم عن الميل الى جهة السعادة و جانب القدس، و يردهم الى الجحيم التي وردوها اولاً، كلما ارادوا ان يخرجوا منها بواسطة سماع وعظ او نصيحة او قراءة آية او روايه حديث او صحبة عالم، اعيد وافيها، لغلبة دواعى سلطان الطبيعة على قلوبهم القاسية واستيلاء النفس الامارة بالسوء على نفوسهم. قوله تعالى : « اولئك الذين طبع الله على قلوبهم و سمعهم و ابصارهم و اولئك هم الغافلون لاجرم انهم في الاخرة هم الخاسرون » فدللت الاية على ان الغفلة والجهالة صارت سبباً لخسران الاخرة، و قدمر بيانه. قوله: « واذاتتلى عليهم آياتنا، ولى مستكبراً، كأن لم يسمعها كأن فى اذنيه وقرأ، فبشره بعذاب اليم » قوله : « ويل لكل افاك اثم يسمع آيات الله ثم يصير مستكبراً كأن لم يسمعها فبشره بعذاب اليم » قوله تعالى : « و اذا علم من آتنا شيئاً اتخذها هزوا و اولئك لهم عذاب مهين، من ورائهم جهنم، ولا يغنى عنهم ما كسبوا شيئاً و لاما اتخذوا من دون الله اولياء لهم عذاب عظيم، هذا هدى و الذين كفروا لهم عذاب من رجز اليم » فهذه الايات دلت على

ان رأس الشقاوة ومنشاء العذاب الاليم، هو الكفر الذى ضرب من الجهل والاحتجاب عن الحق بما يلزمه من الاعمال والملكات المؤدية الى البعد عن دار الكرامة ومعدن الرحمة والانغمار فى بحر الظلمة الجرمية والهوى فى الهاوية السفلية والقرية الظلمانية الظالم اهلها، كما ان اصل كل سعادة وبهجة هو الايمان بالله وكلماته وآياته وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر و الخروج من هذه النشأة الدنية المظلمة والصعود الى عالم الطهارة والقدس والنور من عالم الطبيعة ومعدن الرجس والظلمة والدثور .

تنبيه

اعلم ان محبة الدنيا والكفر يتلازمان ويتسبب احدهما بالآخر ، ولهذا ورد فى الكتاب الالهى تعليل العذاب الاخرى والشقاوة تارة بهذا وتارة بهذا كما فى قوله تعالى: « و لكن من شرح بالكفر صدراً، فعليه غضب من الله و لهم عذاب عظيم، ذلك بانهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة و ان الله لا يهدى القوم الكافرين » دلت على ان محبة الدنيا مغرس الكفر ومنبت النفاق، لكن نتيجة محبة الدنيا هى العذاب العظيم، الحاصل عن مفارقتها يوم القيامة، و نتيجة الكفر هى غضب الله فى يوم القيمة. ولا شك عند العارف المحقق ان عذاب الغضب اشد من عذاب النار، لان الاول عذاب روحانى، والثانى جسمانى حسى، و الجحيم صورة غضب الله، كما ان الجنة صورة رحمة الله و كما ان لذة رضوان الله - اكبر من لذة نعيم الجنة من الحور والقصور والانهار والاشجار وغيرها، كما قال: « ورضوان من الله اكبر » فكذا الم الحجاب عن الحق اشد من الم النار، ولذلك وقع مقدماً فى الذكر فى قوله تعالى: « كلا انهم يومئذ عن ربهم لمحجوبون، ثم انهم لصالوا الجحيم ».

ومما يدل على ان الجهل بالمعارف الالهية يوجب السقوط عن الفطرة ويؤدى الانسان الى ان يصير مرآة قلبه مكدرة مظلمة بالغواشى والظلمات الى حد يفسد ظاهرها وباطنها، قوله تعالى: « بل ان على قلوبهم ما كانوا يكسبون »

و قوله: «بل طبع الله عليها بكفرهم»، و قوله: «اولئك الذين طبع الله على قلوبهم، و اتبعوا اهوائهم» و قوله تعالى: «و جعلنا قلوبهم قاسية».

وتوضيح ذلك بالبيان الحكيم: ان الروح الانسانية من جهة ان من شأنها ان يتجلى فيها الاشياء مشابهة للمرأة، لكن هذه الحالة في اول الفطرة للنفس امر بالقوة لكل احد من الناس ثم يصير بمزاولة الاعمال والافعال خارجة من القوة اما الى الفعل والكمال، او الى البطلان والزوال. فاذا وقع الانسان في السلوك العلمي والرياضة الدينية والتكاليف الشرعية التي هي بمنزلة تصقيل المرأة يخرج النفس من القوة الى الفعل و يصير عقلاً بالفعل بعدما كانت عقلاً بالقوة، فيكون كمرأة مجلوة يترأى فيها صور الموجودات على ما هي عليها، واذالم يقع في هذه الطريقة وهي الصراط المستقيم المذكور في القرآن ولم يخرج ذاته في طريق الاخرة بالتصفية والرياضة والتطهير و التنوير من القوة الى الفعل، بل سلك مسلك الدنيا وصارت نفسه متدنة بدنس الشهوات، متنجسة برجس الفسوق والسيئات، بطلت فيه القوة الاستعداد، لان يصير منورة بانوار العلوم، ولان يتجلى فيها حقايق الامثال والرسوم، ولان يكون عقلاً ومعقولا بالفعل لا بالقوة. و بالجملة، قد بطلت القوة وزالت الفرصة بالكلية وصارت النفس حسا بالفعل بعدما كانت عقلاً بالقوة، وظلمة بالفعل بعد ما كانت نوراً بالقوة، وبهيمة او شيطاناً بالفعل بعد ما كانت ملكاً بالقوة؛ كحديد كان اولاً قابلاً للاذابة والتصقيل لتظهر فيها مثل المحسوسات فاذا غاص في جرمه الرين والنداوة والوسخ، بطل استعداده في كونه مرآة، فكذلك اذا بطل استعداد النفس لان يكون جوهرأ ادراكيا ووجوداً علمياً، صارت جوهرأ من جواهر الدنيا بالفعل، و كل ما كان الشيء جوهرأ دنويوا ظلمانياً بالفعل، يحترق في الاخرة بنار السعير، اذ الدنيا وما فيها يجأ بها يوم القيمة بصورة نار جهنم وشرارتها وظلماتها فيحترق بمن فيها، كما في قوله تعالى: «وجيء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الانسان و انى له الذكرى» وقوله: «والذين كفروا الى جهنم يحشرون، ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فير كمه جميعاً، فيجعله في جهنم». وقوله: «ولو كنا

نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير» وقوله : «ذلكم بانكم اتخذتم آيات الله هزواً وغرتكم الحيوة الدنيا، فالיום لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون» وقوله : «والذين كفروا يتمتعون وياكلون، كما تا كل الانعام والنار مثوى لهم» وقوله : «وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضاً الذين كانت اعينهم في غطاء عن ذكرى، وكانوا لا يستطيعون سمعاً»، وقوله : «ومن كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون، اولئك الذين ليس لهم في الاخرة الا النار، وحبط ماصنعوا فيها، وباطل ما كانوا يعملون» الى غير ذلك من الايات الدالة على ان الامور الدنيوية لا يمكن ان يكون لها وجود يوم القيامة، وان النفس الادمية مادامت من جنس هذه الاكوان الدنيوية، فهي حطب جهنم وصلى النار، كما قال: «انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم» وانما يستحق النعيم ويستأهل لجوار الله والجنة من تبدل وجوده، وصار جوهرأ علمياً بعد ما كان جوهرأ دنيوياً؛ وذلك بمزاولة اكتساب العلوم وملكة التجريد. فظهر ان محبة الدنيا منشأ الكفر والاحتجاب ومادة الشقاوة والعذاب، وان بناء التنعم في الاخرة والحيوة الدائمة على العلم والمعرفة، اذا مالم يصر جوهر الانسان جوهرأ ادراكياً علمياً لم يجعل من جنس الجواهر الحية القريبة من الله ودار كرامته المرتفعة عن عذاب النار و منزل البوار المنتعمة بنعم دار الحيوان المنسرحة في طبقات الجنان .

قاعدة

في الاشارة الى ان هذا المنهج اعنى: منهج التوحيد وهو طلب العلم بالله و آياته وملكه وملكوته وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر هو مسلك جميع الانبياء و الاولياء عليهم السلام، و ان لاختلاف بينهم في شىء من العلوم الالهية والاصول اليمانية، وان طريقتهم في العلم واحد ودينهم دين واحد، وانما الخلاف بين شرايعهم في المسائل الفرعية العملية التي قد يختلف باختلاف الازمنة والاقوات ، قوله تعالى و ما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحى

اليه انه لا اله الا انا فاعبدون. و قوله تعالى: « كذلك يوحي اليك و الي الذين من قبلك الله العزيز الحكيم » و قوله تعالى : « شرع لكم من الدين، ما وصى به نوحاً و الذى اوحينا اليك و ما وصينا به ابراهيم و من الدين، ما وصى به نوحاً و الذى اوحينا اليك و ما وصينا به ابراهيم و موسى و عيسى، ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » و قوله : « انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح و النبيين من بعده، و اوحينا الى ابراهيم و اسحق و يعقوب و الاسباط و ايوب و يونس و هرون و سليمان » و قوله : « ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك، قل : هاتوا برهانكم، هذا ذكر من معي و ذكر من قبلي، بل اكثرهم لا يعلمون الحق وهم معرضون » و قوله : « اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده، ذلك هدى الله يهدى به من يشاء عن عباده، و لو اشر كوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون » و قوله : « ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم و موسى » .

واعلم ان هذا المنهاج العلمى و الايمان الحقيقى فى غاية الندرة و الشذوذ و لا يوجد منهم فى كل عصر الاعدد قليل كواحد او اثنين كما قيل: « جل جناب الحق من ان يكون شريعة لكل و ارد او يطالع عليه الا واحد بعد واحد... » و ذلك لان علم التوحيد و الايمان الحقيقى نور يقذفه الله فى قلب من يشاء من عباده، ليس تحصيله بمجرد اقرار بالشهادة و لا ببحث و تكرار، او تلفيق ادلة كلامية، كما هو شأن اكثر المنتسبين الى العلم المشهورين بالافادة و التدريس، و اكثر اهل الاسلام ظاهراً هم اهل الكفر و الاشراك باطناً، كما قال تعالى: « وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين » و قوله: « وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون » و قوله: « يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله و رسوله... » و المراد: يا ايها الذين آمنوا ظاهراً و لفظاً، آمنوا ضميراً و علماً، و قوله: « قالت الاعراب آما قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا و لما يدخل الايمان فى قلوبكم » و قوله: « يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها و اكثرهم الكافرون » .

و ما يدل على ان المومنين بالحقيقة هم الراسخون فى العلم الكاملون

في الحكمة والمعرفة، قوله: «لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون، يومنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك» وقوله: «ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل اليك من ربك هو الحق ويهدى الى صراط العزيز الحميد...» هذه الآية دالة على ان غير هؤلاء القوم لا يشهد حقيقة الرسول ولا يعلم حقيقة انزال الكتاب الهادي الى صراط التوحيد. و بالجملة ان المؤمنين بالحقيقة هم العلماء بالله و اليوم الآخر، وهذا العلم نور عزيز المنال وفضل رفيع المثال لا يوجد بمجرد القيل والقال والبحث والجدال، اورواية الحديث وحفظ الاقوال.

قال بعض العارفين: «اخذتم علمكم ميتاً عن ميت واخذنا علماً عن الحي الذي لا يموت» وهذا العلم المشار اليه، هو علم الوراثة لا علم الدراسته يعنى ان علوم الانبياء عليهم السلام لدنية، فمن كان علمه مستفاداً من الكتب والرواية والدراسة فليس هو من ورثة الانبياء لان علومهم لا يستفاد الا من الله، كما قال تعالى: «و ربك الاكرم الذي علم بالقلم، علم الانسان ما لم يعلم». ولا تظن، ان التعليم من عند الله يختص بهم لا يتجا وزغيرهم فقد قال تعالى: «فاتقوا الله ويعلمكم الله» فكل من وصل الى حقيقة التقوى فلا بد ان يعلمه الله ما لم يعلم ويكون معه، كما قال ان الله مع الذين اتقوا والذينهم محسنون .

قاعدة

في نعوت القرآن و اساميه

اعلم ان القرآن في اللغة بمعنى الجمع، كما ان الفرقان بمعنى الفرق والتفصيل، قال الله تعالى: «ان علينا جمعه و قرآنه، فاذا قرأناه فاتبع قرآنه، ثم ان علينا بيانه» .

والاول اشارة الى العلم الاجمالي المعروف عند العلماء بالعقل البسيط وهو العلم بجميع الموجودات على وجه بسيط اجمالي وذلك العقل هو فعال

تفاصيل العلوم النفسانية .

والثاني، اشارة الى العلم النفساني المتكثر بصور عقلية حاصلة في النفوس الفاضلة، وربما يحصل الثاني دون الاول لكن الاول لاينفك عن الثاني، فكل قرآن لاينفك عن الفرقان دون العكس، ونفس نبينا، صلى الله عليه وآله، في مقام - قاب قوسين او ادنى - عقل بسيط قرآني متحد مع المعقولات كلها، وهو قلم الحق الاول، وكلامه بوجه وهو كلمة الله التامة التي فيها جوامع الكلم، كما في قوله، صلى الله عليه وآله : « اوتيت جوامع الكلم » وفي مقام آخر لوح نفساني فيه تفاصيل العلوم وصور الحقايق المرسومة فيه من قبل قلم الحق الفعال لصور العلوم، وتلك الصور او محلها هو الكتاب الفرقاني، فهذا المصحف الذي بين اظهرنا قرآن بوجه وفرقان بوجه، وهو كلام الله بوجه وكتابه بوجه، وسينكشف لك وجوه الفرق بين كلام الله وكتابه، وان المنزل على سائر الانبياء كتابه لا كلامه، وان ذلك فرقان لا قرآن. اذا علمت هذا فاعلم، ان من اسمائه نور، لانه نور عقلي ينكشف به احوال المبدء و المعاد، يترا آى به حقايق الاشياء، ويهتدى به في سلوك يوم القيامة وطريق الجنة، كما قال تعالى : « ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى الى طراط مستقيم » وقال : « قد جائكم من الله نور و كتاب مبين، يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم » فقوله : « نور » اشارة الى مرتبة العقل القرآني البسيط. وقوله : « كتاب » اشارة الى مرتبة العلم التفصيلي، كما قال : « كتاب فصلت آياته » وقال : « كتاب احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير » وقال : « تفصيل الكتاب لاريب فيه . ومن اسمائه العظام الحكمة، كما في قوله : « و آتيناها الحكمة وفصل الخطاب » فان الموجودات اعنى الممكنات متميزة حال عدمها الكوني في علم الله الواحد ويعلم الله تعالى بعلم واحد بسيط صور جميع الاشياء، ويراها ويأمرها بالتكوين بأمر واحد هي كلمة كن الوجودي، فما عند الله اجمال، بل الامر كله في نفسه، وفي علم الله مفصل، وان كان كله معلوماً بعلم واحد لكن معلوماته كثيرة؛

كثرة لاتحصى، وانما وقع الاجمال فى حقنا. فمن كوشف بالتفصيل فى عين الاجمال علماً أو عيناً اوحقاً، فذلك العالم الذى اعطاه الله تعالى الحكمة وفصل الخطاب، وليس ذلك الا الانبياء عليهم السلام والورثة لهم من العلماء الراسخين. واما الفلاسفة المشهورون فليسوا من هذا المقام فى شى، ولا يعلمون التفصيل فى عين الاجمال، كما يراه صاحب هذا المقام الذى اعطاه الله الحكمة وفصل الخطاب، وهذه الحكمة عناية ربانية و موهبة الهية لا يؤتى بها الامن قبله تعالى، كما قال يؤتى الحكمة من يشاء و من يؤت الحكمة فقد اوتى خيراً كثيراً. وما يذكر الا اولوا الالباب.

فهذه الاية تدل على ان الحكمة من مواهب الله التى لاتحصل بمجرد السعى، بل حصولها بالمشية الربانية لاغير. ولاجل ذلك ذكرانه من فضل الله فى قوله تعالى: «ذلك فضل الله يؤتیه من يشاء و الله ذوا الفضل العظيم» بعد قوله: «ويعلمهم الكتاب والحكمة» .

وفى هذه الاية اشاره الى ان هذه الحكمة المعبر عنها تارة بالقرآن، وتارة بالنور وعند الحكماء بالعقل البسيط، هو من فضل الله وكمال ذاته، اتاها الله لمن اختاره واصطفاه من خواص عباده ومحبوبيه، كملك من الملوك يعطى خلخته ولباسه المخصوص لمن احبه من مقربيه لان الحكمة الحققة من صفاته الذاتية، ولاينا لها احد من الخلق الا بعد تجرده عن الدنيا وعن نفسه بالتقوى والزهد الحقيقى، والفناء من شوائب الخليقة والانخراط فى سلك المهيمين من ملائكته وعباده المقربين حتى يعلمه الله من لدنه علماً و يؤتیه حكمة و خيراً كثيراً وفضلاً عظيماً و يحييه حيوة طيبة، و جعل له نورا يمشى به فى ظلمات الدنيا وبراخ القبور، كما فى قوله تعالى: «افمن كان ميتاً فاحييناه وجعلنا له نوراً يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها» فقوله: «كان ميتاً فاحييناه» اى فانياً عن غير الله باقياً به. والنور الذى يمشى به فى الناس هو نور الله، كما فى قوله صلى الله عليه وآله: «اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله». و من اسمائه الروح، قوله، «تعالى يلقى الروح من امره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق» و قوله تعالى

«وكذلك اوحينا اليك روحاً من امرنا» ومن نعوته، الحق، قوله تعالى :
«قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين امنوا، بل هو الحق من
ربك لتنذر قوماً ما اتاهم من نذير». و قوله : «تلك آيات الكتاب و الذى
انزل اليك من ربك الحق، و لكن اكثر الناس لا يؤمنون» و قوله : «افمن
يعلم انما انزل اليك من ربك كمن هو اعمى انما يتذكر اولوا الالباب» .
ومن القابه الشريفة الهدى، لانه يهدى الى الحق بل هو الحق. قوله تعالى :
«ذلك هدى الله يهدى به من يشاء» وقوله : «هدى للمتقين الذين يؤمنون
بالغيب». و من القابه الذكر، لانه يتذكر به الامور الاخرة و احوال المبدأ
و المعاد «فاستمسك بالذى اوحى اليك انك على صراط مستقيم، و انه لذكر
لك و لقومك و سوف تسئلون» و منها الشفاء، لان به يقع النجاة عن الامراض
النفسانية و الاسقام الباطنية و الالام الاخروية من الجهل و الحسد و الكبر
و الريا و النفاق و الرعونة و الشهوة و الغضب و حب الجاه و ساير المهلكات
و الامراض التى اذا استحكمت اعيت الاطباء الروحانيين عن علاجها. قوله
تعالى : «قل هو للذين آمنوا هدى و شفاء، و الذين لا يؤمنون فى آذانهم و قر
وهو عليهم عمى، اولئك ينادون من مكان بعيد» يعنى : ان القرآن هدى
و شفاء بالقياس الى قوم، وهم الذين لم يفسد قرايحهم، ولم يتغير فطرتهم
الاصلية التى فطرهم الله عليها، وهو بعينه ضلال بالقياس الى من فسدت
قريحته و تغيرت فطرتة، كما ان نور الشمس يقوى للابصار و هو عمى للخفافيش،
كما فى قوله تعالى : «فى قلوبهم مرض، فزادهم الله مرضاً و لهم عذاب اليم»
و قوله : «يضل به كثيراً و يهدى به كثيراً و ما يضل به الا الفاسقين» و منها
الهدى و الرحمة، قوله: «وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه
و هدى و رحمة لقوم يؤمنون». و صفات القرآن و نعوته كثيرة يؤدى ذكرها
الى الاطناب فاكتفينا بما ذكر، لانه كاف للمتدبر المستبصر.

قاعدة

في وجوه الفرق بين كلام الله و كتابه

الفرق بين كلامه تعالى و كتابه، كالفرق بين البسيط والمركب كما مر. وقد قيل: ان الكلام من عالم الامر، والكتاب من عالم الخلق، وان الكلام اذا تشخص صار كتاباً، كما ان الامر اذا تشخص صار فعلاً، كما قال «الله الذي خلق سبع سموات و من الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن» وقوله: «انما امره اذا اراد شيئاً ان يقول له كن فيكون».

فالفرق بين الكلام والكتاب بوجه، كالفرق بين الامر والفعل، فالفعل زمانى متجدد كما ستعلم، و الامر برىء عن التغير و التجدد، والكلام غير قابل للنسخ والتبديل، بخلاف الكتاب: «يمحو الله ما يشاء ويثبت، و عندهم الكتاب».

فصحيفة وجود العالم الفعلى الخلقى هى كتاب الله عز وجل، و آياته اعيان الموجودات «ان فى اختلاف الليل و النهار... لايات لقوم يتقون».

و اما كلمات الله التامات، فهى الهويات العقلية النورية التى وجودها عين الشعور والاشعار والعلم والاعلام، و كما ان كتاب الله مشتمل على الايات «تلك آيات الكتاب المبين» فكلام الله مشتمل على الايات «تلك آيات الله تتلوها عليك بالحق».

واعلم ان الامر منه تكوينى ومنه تشريعى، والامر التكوينى موجب للطاعة والقبول كاطاعة الملك والملكوت، بخلاف الامر التشريعى لانه امر بالواسطة، فتطرق اليه الاباء والعصيان والطاعة والاتيان «فمنهم من اطاع ومنهم من عصى».

و اعلم ان النازل على اكثر الانبياء، عليهم السلام، من الله هو الكتاب دون كلام الله. وهذا القران الذى انزل على محمد، صلى الله عليه وآله، كلام الله و كتابه جميعاً باعتبارين، واما سائر الكتب السماوية المنزلة على سائر-

المرسلين، سلام الله عليهم اجمعين، فانها ليست بكلام الله، بل كتب يدرسونها، و يكتبون بايديهم. فهذا المنزل بما هو كلام الله نور من انوار الله المعنوية النازل من عنده على قلب من يشاء من عباده المحبوبين « و انك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم » و قوله: «ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا» قوله: « نزل على قلبك بالحق » و قوله: « بالحق اترلناه و بالحق نزل ».

وهو بما هو كتاب نقوش و ارقام و صور و الفاظ و فيها آيات احكام نازلة من السماء نجوماً على صحايف قلوب المحبين والواح نفوس الطالبين، وغيرهم يكتبونها في صحايفهم و الواحهم الحسية بحيث يتلوها كل تال و يقرأها كل قار، و يتكلم بها كل متكلم، و بها يهتدون و بما فيها يعملون، و يتساوى في هديها الناس العوام و الخواص و الانبياء و الامم، كقوله: « هدى للناس و بينات من الهدى و الفرقان » و قوله: « و انزل التوراة من قبل هدى للناس » و قوله: « و عندهم التوراة، فيها حكم الله ».

و اما القرآن العظيم الكريم، ففيه عظيم الامور الالهية التي لا يصل الى دركه الا اهل الله خاصة، لقوله: « و علمك ما لم تكن تعلم، و كان فضل الله عليك عظيماً » و فيه كرايم اخلاق الله التي تخلق بها رسول الله، صلى الله عليه و آله لقوله: « و انك لعلی خلق عظيم » و كان خلقه القرآن، كما نقل . و يدل على ذلك قوله « هو الذي ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات الى النور »

بيان ذلك : ان القرآن نور كما مر من قوله: « قد جائكم من الله نور » فاذا خرجت به نفوس أمته من الظلمات الى النور ، صاروا متصفين بالنور متخلقين به، فاذا كان حال الامة هذا الحال، فما ظنك بحال نبيهم، صلى الله عليه و آله.

دقيقة كشفية

و اعلم انه قد يكون شيء واحد كلاماً و كتاباً باعتبارين لما علمت،

ان الامر كلام، والفعل كتاب، و ان القايم بالمتكلم كلام، والصادر منه كتاب. فالانسان مثلاً لكونه ذا درجات بحسب النفس والبدن وهو بحسب كل مقام غير خارج عن الهوية الانسانية اذا تكلم بالفاظ و حروف مسموعة، فاذا نسبت تلك الالفاظ والحروف الى نفسه، كان كتاباً له وفعالاً صادر عنه صنعه وكتبه في لوح الهواء و في مخارج الحروف من الاعضاء، و اذا نسبت الى شخص بدنه كان كلاماً قائماً بشخصه، لاكتابة صادرة عنه. وكذا القياس اذا تحدث بحديث النفس، كان باعتبار نسبتها الى عقله المجرد بالصدور كتاباً، و من حيث قيامه بالنفس واتصافها به كلامالها، فهو كتاب لعقله و كلام لنفسه. وكذا الحال في الكتابة الموجودة في لوح و قرطاس يمكن اعتبار الحالين فيها بالصدور والقيام ولو بتعمل. تأمل في ذلك فانه دقيق لطيف يرفع به الخلاف بين الطائفتين.

قاعدة

في وجوه الفرق بين انزال كلام الله على قلب النبي، صلى الله عليه و آله، و بين انزال الكتب السماوية و تنزيلها الى سائر الانبياء عليهم السلام. قوله تعالى: «نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه» اي نزل على قلبك حقايق القرآن و انواره متجلية بسرك، لاصورة الفاظ مسموعة او مكتوبة على الواح زمردية مقروءة لكل قارئ.

دليل ذلك قوله تعالى: «و بالحق انزلناه و بالحق نزل» يعنى نزل بالحقيقة لا بالتصوير والحكاية. و قوله: «ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان، ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا» يعنى ما كنت تكتسب بالدراية والفهم صورة ما في الكتب العلمية، و لست تتعلم الايمان من معلم غير الله، ولكن جعل الله قلبك نوراً عقلياً تتنور به حقايق الاشياء ويهتدى بها الى ملكوت الارض و السماء. و قوله: «وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه يمينك اذاً لارتاب المبطلون، بل هو آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم» وقد

وقعت الاشارة الى ان تعليم القرآن من قبل الله بان يتجلى بنور الحكمة الذى هو حقيقة الكلام و نور الايمان على قلب من كان من عباده الكرام واحبائه العظام. وبالجملة، القرآن خلق النبي، صلى الله عليه وآله، كما مر وسائر الكتب ليست كذلك. وبالجملة من علمه الله القرآن بهذا التعليم، كان عليه من الله فضلاً عظيماً، كما قال لحبيبه، صلى الله عليه وآله : «و علمك ما لم تكن تعلم، و كان فضل الله عليك عظيماً».

بل نقول التعليم على ثلاثة اقسام: تعليم بشرى، وتعليم ملكى، و تعليم الهى. والاول، كما لسائر الناس، والثانى، كما لسائر الرسل «عليهم السلام»، كان يمثل لهم الملك و يعلمهم الكتاب، والثالث، كما لخواص الانبياء و عظماء الاولياء عند عروجهم المعنوى الى الله. و الى هذه الاقسام الثلاثة اشار بقوله : تعالى: «ما كان لاحد ان يكلمه الله الا وحياً او من وراء حجاب، او يرسل رسولا» فالاول هو التعليم الالهى، والثانى هو الملكى، والثالث هو البشرى، فافهم ان كنت من اهله. ولا يفهم هذه الرموز الا من خرج طائر روحه الامرى من قلبه البشرى و نفسه فانه منطلق الطير، و انت بعد بيضة محبوسة فى القشر الصورى، لست من السيارين فى ارض الملكوت ولا من الطيارين فى جوار الجبروت.

وجه اخر من الفرق، انه قال تعالى : «و آتينا موسى الكتاب و جعلناه

هدى لبني اسرائيل»

و قال: «و انزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس» و قال فى حق القرآن : «ذلك الكتاب لا ريب فيه، هدى للمتقين» و الفرق ظاهر بين كتاب فيه هدى للناس ويستوون فى هداة الانبياء والامم، وبين كتاب فيه هدى الانبياء والمتقين من هذه الامة المخصوصين بالعبادة، كما قال: «ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا»

وجه آخر، قال: «و كتبنا له فى الألواح من كل شىء موعظة» و

قال فى حق القرآن : «فاوحى الى عبده ما اوحى» و قال : «يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم و انزلنا اليكم نوراً مبيناً».

والفرق عظيم بين الكتابة والوحى، و كذا بين الموعظة والبرهان ،

ثم انه جعل الله تشریف سائر الانبياء عليهم السلام، مثل تشریف هذه الامة -
المرحومة لمحمد صلى الله عليه وآله، حيث قال لهذه الامة: «اولئك كتب في
قلوبهم الايمان»، فشتان بين نبي تشرّف بكتابة الموعظة له في الالواح، وبين
نبي تشرّف امته بكتابة الايمان لهم في قلوبهم.

وجه آخر: القرآن تنزل على قلب الرسول، و سائر الكتب نازلة على
صدر الانبياء، و فرق بين تعلمهم الكتاب وبين تعلم نبينا الكتاب، فكانوا يتدارسون
الكتب، و خاتمهم صلى الله عليه وآله كان متخلقاً بالقرآن.

وجه آخر في الفرق بين ما افادله صلى الله عليه وآله، تنزيل الكلام،
و بين ما افادله عليهم السلام، انزال الكتب، فان افاد الانزال لهم الحكمة،
فقد افادله صلى الله عليه وآله، ان اوتى جوامع الكلم، و به فضل على الانبياء
عليهم السلام و بخمسة امور اخرى، لقوله صلى الله عليه وآله: «فضلت على الانبياء
بست» و كذا تحقق الفرق بين تصرف تنزيل الكلام على قلبه و تصرف الانزال
عليهم، فان كان انزال الكتب تصرف فيهم بان كان الكتاب مع احدهم نوراً من الله
يجيء به الى امته ليكون هدى لهم، كما قال تعالى: «قل من انزل الكتاب الذي
جاء به موسى نوراً و هدى للناس»، فان تصرف تنزيل القرآن على قلبه جعله
نوراً من الله يجيء الى الامة و معه الكتاب لقوله: «قد جائكم من الله نور» و هو
محمد صلى الله عليه وآله، و كتاب مبين، فشتان بين نبي يجيء و يكون هو
بذاته نوراً و معه كتاب، و بين نبي يجيء و يكون معه نور من الكتاب.

هذا و قد انكشف عليك من تضاعيف ما ذكرناه لك ان الكلام غير الكتاب و ان
الحكمة و النور و القرآن و الكلام الالهى يجرى مجرى الالفاظ المترادفة في لسان
هذا الكتاب، و انها جميعاً عبارة عن مرتبة العقل البسيط الذي فيه حقايق الاشياء
مجتمعة، و ان الكتاب عبارة عن مقام نفسى فيه صور العلوم التفصيلية و نسبة الاول
الى الثانى كنسبة الكيمياء الى الدنانير و كنسبة البذر الى الشجرة، بل كنسبة
المبدأ الفعّال الى مجعولاته.

قاعدة

في الاشارة الى عمدة مقاصد الكتاب الالهي و اصول معاقده و احكامه

اعلم اولاً، ان سر نزول القرآن و مقصده الاقصى و لبابه الاقصى، دعوة العباد الى الملك الاعلى، رب الاخرة والاولى، والغاية المطلوبة فيه تعليم ارتقاء العبد من حضيض النقص والخسران الى اوج الكمال والعرفان و بيان كيفية السفر الى الله طلباً لمرضاته و لقاءه و مجاورة لمقربيه، و تنعماً للروح السعيدة بما في حضرة ملكوته، و انسراحاً للنفس في روضات جنانه، و نجاة لها عن دركات الجحيم و مجاورة موزياتها و التعذيب بنيرانها و عقاربها و حياتها، و لاجل ذلك انحصرت فصوله و ابوابه و سوره و آياته في ثلاثة مقاصد هي كالدعايم و الاصول و الاعمدة المهمة، و ثلاثة اخرى هي كالرؤايف و المتممات و اللواحق و المعينات.

اما الاصول المهمة فاولها، معرفة الحق الاول و صفاته و افعاله.
و ثانيها، معرفة الصراط المستقيم و درجات الصعود الى الله و كيفية السلوك عليه و عدم الانحراف عنه.

و ثالثها، معرفة المعاد و المرجع اليه و احوال الواصلين اليه و الى دار رحمته و كرامته، و احوال المبعدين عنه و المعذبين في دار غضبه و سجن عذابه، و هو علم المعاد و الايمان باليوم الاخر.

و اما الثلاثة الاخيرة، فاحدها، معرفة المبعوثين من عند الله لدعوة الخلق و نجات النفوس عن حبس الجحيم و سوقهم الى الله، وهم قواد سفر الاخرة و رؤساء القوافل، و المقصود منه الترغيب الى الاخرة و التشويق الى الله.
و ثانيها، حكاية اقوال الجاحدين و كشف فضايحهم و تسفيه عقولهم في غوايتهم و ضلالتهم و تحريمهم طريق الهلاك، و المقصود فيه التحذير عن طريق الباطل و التثبيت على الطريق المستقيم.

و ثالثها، تعليم عمارة المنازل و المراحل الى الله و العبودية و كيفية

اخذا الزاد والاستعداد برياضة المركب و علف اندابة لسفر المعاد، والمقصود منه كيفية معاملة الانسان مع اعيان هذه الدنيا التي بعضها داخلية فيه، كالنفس و قواها الشهوية والغضبية برياضتها و اصلاحها حتى لا يكون جموحاً بل رياضة حمولة يصلح للركوب في السفر الى الآخرة والذهاب الى الرب تعالى، كما في قوله تعالى حكاية عن الخليل عليه السلام: «انى ذاهب الى ربي سيهدين» وهذا العلم يسمى تهذيب الاخلاق. وبعضها خارجة، اما مجتمعة في منزل واحد كالوالد والولد والاهل والخدم، و يسمى تدير المنزل، او في مدينة واحدة او اكثر، و يسمى علم السياسة و احكام الشريعة، كالقصاص والديات والاقضية والحكومات و غيرها، فهذه سنته اقسام من مقاصد القرآن و نحن نقتصر في هذا الكتاب على ايراد القواعد المتعلقة بالثلاثة المهمة التي هي بالحقيقة اركان الايمان واصول العرفان، وقد فتح على الله على قلبنا من ابوابها ما لم يذكر في شيء من المصنفات من اسرار الايات و رموز الكلام الالهى.

و اما قواعد العلوم الفرعية فقد نصب الله لها اقواماً قد استفرغوا جهودهم في تحصيلها و فنوا اعمارهم في شرحها و تفصيلها شكر الله حسنات مساعيهم و اثارهم جنات الاعمال جزاء بما كانوا يعملون.

فالمقصد الاول، و هو المعروف بمعرفة الربوبية مشتمل كما اشرنا اليه على ثلاث مراتب: معرفة الذات الالهية، ومعرفة صفاتها واسمائها، ومعرفة افعالها.

اما معرفة الذات، فهي اضيقها مجالاً، و ارفعها منالاً، و ابعدا عن الفكر والذكر، اندحقيقة الواجب، جل مجده، هوية بسيطة غير متناهية الشدة في النورية والوجود، و حقيقته عين التشخص والتعين، لا مفهوم له، ولا مثل ولا مجانس ولا مشابه، ولا حده، ولا برهان عليه، بل هو البرهان على كل شيء فلا اعرف من ذاته ولا شاهد عليه، بل هو الشاهد على الكل « اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد، وهو القائم على كل نفس بما كسبت، و هو القاهر فوق عباده، و عنت الوجوه للحى القيوم » و ليس للمعلول المقهور عليه ان يحيط بعلمه العلة له والقاهر عليه، والا، لانقلب المعلول علة، والمقهور

قاهرأ، و هو محال «ويحذر كم الله نفسه والله رؤف بالعباد» ولهذا ورد النهي عن التفكير في ذات الله، لقوله صلى الله عليه وآله: «تفكر وافسى آلاء الله، ولا تتفكروا في ذات الله» و لانه تحترق النفس في ادراك اشعة نور وجهه، فكيف في نور وجهه؟ فلا يمكن الوصول الى معرفة ذاته الابناء السالك عن نفسه، وباند كاك جبل انيته، حتى شهد ذاته تعالى على ذاته، كما قال بعض العارفين «عرفت ربي بربي، ولو لاربي ما عرفت ربي» و عن ابي عبد الله عليه السلام «من زعم انه يعرف الله بحجاب او بصورة او بمثال فهو مشرك، لان حجاب و مثاله و صورته غيره، و انما هو واحد متوحد، و كيف توحد من زعم انه عرفه بغيره. و انما عرف الله من عرفه بالله، فمن لم يعرفه به، فليس يعرفه و انما يعرف غيره» و لاجل ذلك لا يشتمل القرآن من معرفة الذات في الاغلب، الاعلى تقديسات محضة و تنزيهات صرفة و سلوب عن نقايص و امكانات كقوله: «لا اله الا هو» و كقوله: «ليس كمثله شيء» و كقوله: «والله الغنى وانتم الفقراء» و كسورة الاخلاص، او على تلويحات و اشارات الى التعظيم المطلق، كقوله: «سبحان ربك رب العزة عما يصفون» وقوله: «فسبح باسم ربك العظيم، وسبح اسم ربك الاعلى» وقوله تعالى «عما يصفون» او اضافات محضة كقوله: «بديع السموات والارض» وقوله: «وهو الذي في السماء الهوفى الارض اله».

و اما الصفات، فالمجال للفكر فيها افسح، و نطاق النطق فيها اوسع، لانه مفهومات عقلية يقع فيها الاشتراك، الا انها فيه على وجه اشرف واعلى، و ان مصداقها في الاول تعالى ذاته بذاته، وفي غيره ليس كذلك. و لاجل ذلك اشتمل القرآن على ذكر تفاصيلها في كثير من الايات، كما في قوله: «وهو السميع العليم» و قوله: «هو العزيز الحكيم» و كقوله: «الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر» وقوله: «هو الله الخالق البارئ المصور له الاسماء الحسنى» و في هذا القسم ايضا غموض شديد، و تعسر تام، ولا يمكن معرفة بعض الصفات، كالكلام والصفات التشبيهية، الا لاهل البصائر الثاقبة، كالسمع، و البصر، و الاستواء على العرش، و الابتلاء، و المماكرة، و التردد، و الذهاب، و المجيء، و الكراهة، و التأذى، و كالوجه، و اليد، و الجنب،

والقدم، و غير ذلك مما لا يعرفه الا الراسخون في العلم.

و اما الافعال، فبحر متسع اطرافه، و لكل احدان يخوض فيه ويسبح في غمراته بقدر غزارة علمه و قوة سباحته، لكن لا ينال بالاستقصاء اطرافه ، لانها مرتبطة بالصفات كالصفات بالذات، بل ليس في الوجود الاذاته و صفاته و افعاله التي هي صور اسمائه و مظاهر صفاته، لكن القرآن مشتمل على الجلى منها، الواقع في عالم الشهادة تصريحا و تفصيلا، و على الخفى منها، الواقع في عالم الغيب تلويحاً و اجمالاً.

فالاول، كذكر السموات و الارض و الكواكب و الشمس و القمر و الجبال و البحار و السحب و الامطار و ساير اسباب الكائنات، و الحيوان ، و النبات. لكن اشرف صنایع الله و اعجبها و اعظمها و ادلها على جلال الله و علوه و مجده، ما هو محجوب عن الحس، بل هو من عالم الملكوت، و هي الملائكة و الروحانيات و الروح و العقل و النفس و اللوح و القلم، بل العرش و الكرسي عند بعض، فان هذه كلها خارجة من عالم الملك و الشهادة، و من ادانى عالم الملكوت هي الملائكة العمالة الموكلة بعالم الارضين، و منهم كتبة الاعمال، و ملائكة جانب الشمال و كرام الكاتبين. قوله: «ما يلفظ من قول الالديه رقيب عتيد، و جاءت كل نفس معها سائق و شهيد» فالسائق للعمل و الشهيد للاعتقاد، «و قال قرينه هذا مالدي عتيد» و قوله: «وان عليكم لحافظين، كراما كاتبين، يعلمون ما تفعلون» و منهم اعوان ملك الموت و سدنة النيران، «خذوه فغلوه، ثم الحجيم صلوه، ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه» و منهم الساكنين في البراري و الجبال، و دونهم الجن و الشياطين المسلطين على جنس الانس الذين امتنعوا عن السجود لادم عليه السلام، و من اعاليهم الملائكة السماويون، اى، الذين عنديك لا يستكبرون عن عبادته و يسجدونه و له يسجدون، يسجدون له بالليل و النهار و هم لا يسمون. و اعلى منهم حملة العرش و الكروبيون، و هم العاكفون في حظيرة القدس، لا التفات لهم الى هذا العالم، بل لا التفات لهم الى غير الله، لذهولهم عن ذواتهم و استغراقهم في شهود الحضرة الالهية، و هم من اهل الفناء في التوحيد، و يقال لهم الملائكة المهمة، و لا يستبعدان يكون في

عباد الله من يشغله مطالعة جلال الله عن الالتفات الى نفسه فضلاً عن غيره .
 و قد ورد في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله: « ان لله ارضاً
 بيضاء، مسيرة الشمس فيها ثلاثون يوماً، هي مثل ايام الدنيا ثلاثين مرة، مشحونة
 خلقاً لا يعلمون ان الله يعصى في الارض، ولا يعلمون ان الله خلق آدم و ابليس »
 واكثر الخلق ادراكهم مقصور على عالم الحس و التخيل و انهما النتيجة
 الاخيرة من نتایج عالم الملكوت و هو القشر الاقصى من اللب الاصفى، و من
 لم يجاوز هذه الدرجة لا يعرف من القرآن الا ماله نسبة القشر الاخير من الجوز،
 والبشرة من الانسان. فهذه مجامع القسم الاول من الثلاثة للاصول، وقد انقسم
 الى ثلاثة اقسام، فهي مع القسمين الاخيرين اللذين احدهما معرفة النفس و احوال
 الاخرة و كيفية صعودها الى الله و مرورها على الصراط المستقيم و سلوكها
 درجات طريق الحق و هبوطها و انحرافها عن الصراط و سقوطها عن الفطرة،
 و مرورها على دركات الجحيم. و ثانيهما، معرفة المعاد و احوال يوم القيامة
 و البعث و الحشر و الصراط و الميزان و الحساب و الكتاب و الثواب و العقاب
 في الجنة و النار، فالمجموع خمسة اقسام نذكرها في اطراف ثلاثة.

الطرف الاول فى علم الربوبية وفيه مشاهد:

المشهد الاول

فى معرفة الحق الاول جل ذكره و وحدانيته و فيه قواعد:

قاعدة

فى اثبات وجوده «شهد الله انه لا اله الا هو»

اعلم ان اعظم البراهين واسد الطرق وانور المسالك واشرفها واحكمها هو الاستدلال على ذاته بذاته، وذلك لان اظهر الاشياء هو طبيعه الوجود المطلق بما هو مطلق، و هو نفس حقيقة الواجب تعالى، و ليس شىء من الاشياء غير الحق الاول نفس حقيقة الوجود، لان غيره اما مهية من الماهيات، او وجود من الوجودات الناقصة المشوبة بنقص او قصور او عدم، فليس شىء منها مصداق معنى الوجود بنفس ذاته، و واجب الوجود هو صرف الوجود الذى لا اتم منه و لاحدله و لانهاية و لا يشوبه شىء اخر من عموم او خصوص، او صفة غير الوجود بخلاف غيره.

فنقول : لولم يكن حقيقة الوجود موجوداً، لم يكن شىء من الاشياء موجوداً، لان غير حقيقة الوجود اما مهية من الماهيات، و معلوم انها من حيث ذاتها غير موجودة، او وجود ناقص غير تام، فلامحالة يلزمه تركيب و تخصيص بمرتبة معينة و حد خاص من مطلق الوجود، فيفتقر بالضرورة الى سبب به يتم

وجوده، و محدد يحدده بحد الخاص، ويخرجه من القوة الى الفعل، ومن الـ
مكان الى الوجود، اذ كل ما ليست حقيقته حقيقة الوجود فلا يقتضى ماهيته
وجود، ولا هويته حداً خاصاً من الوجود، فيحتاج الى قاهر عليه محدد له مفيد
لمرتبة المعين في الوجود، وذلك المقتضى يجب ان يكون مقدماً في الوجود
على الجميع تقدم البسيط على المركب، والواحد على الكثير، والتام على الناقص،
والغنى على الفقر، والفياض على المفاض عليه فحقيقة الحق الاول هو البرهان
على ذاته والبرهان على كل شيء، كما قال جل شأنه: «اولم يكف بربك انه
على كل شيء شهيد» فهذه سبيل الصديقين الذين يتوسلون به اليه ويستدلون
به عليه ويستشهدون بوجوده على ساير الاشياء لوجود الاشياء عليه، كما في
طريقة غيرهم من السالكين الذين يستدلون بوجود الاثر على الصفات وبالصفات
على الذات، وهى طرق كثيرة، اجودها منهجان:

احدهما، معرفة النفس الانسانية و فى انفسكم افلاتبصرون، وهذا
اجود الطرق بعد طريق الصديقين، لان المسلك هيهنا عين الطالب و فى طريقهم
عين المطلوب.

و ثانيهما، النظر فى الافاق والانفس، كما اشار اليه تعالى: «سنريهم
آياتنا فى الافاق و فى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق» و فى القرآن آيات كثيرة
فى هذا المنهج، قدمح الله على الناظرين فى خلق السموات والارض، واتنى
على المتفكرين فى آثار صنعه وجوده.

قاعدة

فى تحقيق الايمان بالله واليوم الاخر، قال الله تعالى: « آمن الرسول
بما انزل اليه والمؤمنون كل امن بالله و ملائكة و كتبه و رسله ... » و قال:
«ومن يكفر بالله و ملائكته و كتبه و رسله واليوم الاخر فقد ضل ضلالاً مبيناً»
دلت الايتان على ان الايمان يحصل بمعرفة هذه الامور و التصديق بها و قال:

«الذين امنو و كانوا يتقون، لهم البشرى فى الحيوة الدنيا وفى الآخرة لا تبدل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم» و قال: «ان الذين قالوا ، ربنا الله ثم استقاموا، تنزل عليهم الملائكة، الا تخافوا و لاتحزنوا و ابشروا بالجنة التى كنتم توعدون نحن اولياؤكم فى الحيوة الدنيا وفى الآخرة» دلت الايتان على ان المؤمن الحقيقى من يكون قلبه منزل كلمات الله و مورد الملائكة ، و قال تعالى: «الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور، و الذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات اولئك اصحاب النارهم فيها خالدون» و قال: «هو الذى انزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات الى النور» و قال: «يوم ترى المؤمنين و المؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم و بايمانهم...» و قال: «و الذين امنوا بالله ورسوله اولئك هم الصديقون و الشهداء عند ربهم لهم اجرهم و نورهم» و قال: «قد انزل الله اليكم ذكراً رسولا يتلوا عليكم آيات الله مبيّنات ليخرجكم من الظلمات الى النور» دلت الايات على ان الايمان نور عقلى يخرج به النفس من القوة و النقص الى الفعل و الكمال، و يرتقى من عالم الاجسام و الظلمات الى عالم الارواح و الانوار ، و يستعد للقاء الله تعالى، و ذلك النور هو المسمى عند الحكماء السابقين بالعقل بالفعل، و قالوا: ان النفس بسبب مزاوله العلوم العقلية اليقينية يصير ذاتها عقلاً قدسياً صائرة نوراً الهيا من حزب الملائكة المقربين.

تنبیه

و اعلم ان الايمان ايمانان

احدهما، تقليدى سمعى، كايمان العوام يصدقون بما يسمعون و يستمرون عليه و به يمتازون عن الحيوانات و فايدته فى الدنيا حقن الاموال و الدماء ، و ايمان كشفى قلبى يحصل بانسراح الصدر و تنور القلب بنور الله، كما اشار الله تعالى اليه «افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه، فويل للقاسية

قلوبهم عن ذكر الله» و ينكشف بذلك النور حقيقة الاشياء الاصلية على ماهي عليه، فيتضح حينئذ ان الكل من الله ابتداءً، والى الله مرجعه ومصيره. و هذا الصنف هم المقربون النازلون في الفردوس الاعلى، و هم على غاية القرب من الحضرة الربوبية. و هم ايضاً على اصناف. فمنهم السابقون، ومنهم من دونهم بحسب تفاوت معرفتهم بالله و صفاته و افعاله، و درجات العارفين غير محصورة، كما قال تعالى: « و يرفع الله الذين آمنوا و الذين اتوا العلم درجات » اذ الاحاطة بكنه جلال الله غير ممكن، و بحر المعرفة ليس له ساحل، فكل له درجة بقدر قوة غوصه و خوضه فيه، و اما المؤمن ايماناً تقليدياً فهو من اصحاب اليمين ان كان عمله صالحاً، فهو يثاب في الآخرة بحسب ميزان عمله و سلامة صدره من الغل و الغش، فمن ادى الفرائض و اجتنب الكبائر، فيدخل في الجنة، و كذا من اهمل الفرائض و ارتكب الكبائر، الا انه تاب توبة نصوحاً، فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له. و اما من لم يتب من الكبائر حتى مات، فأمره خطير، اذ ربما كان موته على الاصرار سبباً لزال ايمانه، فختم له بسوء الخاتمة، لاسيما اذا كان ايمانه تقليدياً، فان التقليد و ان كان جزماً فانه قابل للانحلال بأدنى شبهة، و العارف البصير ابعد عن ان يخاف عليه سوء الخاتمة، و كلاهما ان ماتا على الايمان يدخلان الجنة ولو بعد حين، و يعذبان عذاباً يزيد على عذاب المناقشة في الحساب بحسب قوة الاصرار و كثرة مدته و بحسب قبح الكبيرة، الا ان يعفو الله و يتجاوز عنه فانه غفور رحيم. و كما ان الايمان على ضريين، حقيقي و تقليدي، فالكفر ايضاً كفران، كفر عن جحود و عناد و انحراف عن منهج السداد، و هو مضاد الحق، لانه صفة و جودة و جهل مشفوع بالاصرار و الاستنكار مركب مع البغض و اللجاج، و كفر عن قصور و نقص و عدم استعداد، و كلاهما منشأ الخلود في النار، الا ان المنافق اشد عذاباً و اسوء حالاً من الكافر الفطري لمكنة استعداده و قوة نفسه.

و تفصيل المقام: ان الاشقياء على ضريين، اما المطرودون في الازل الذين حق عليهم القول، و هم اهل الظلمة و الحجاب الكلي لغلظ طبائعهم و كثافتها و انغمارهم في بحر الطبيعة، فهم المختوم على قلوبهم ازلاً، كما قال

تعالى « و لقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس، لهم قلوب لا يفقهون بها و لهم اعين لا يبصرون بها، و لهم آذان لا يسمعون بها، اولئك كالانعام بل هم اضل » و كما قال : « و جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه، و فى آذانهم و قرأ، و ان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذاً ابداً » و فى الحديث القدسى « هؤلاء خلقتهم للنار و لا ابالى » و اما المنافقون الذين كانوا مستعدين فى الاصل قابلين للنور بحسب الفطرة و النشأة، و لكن احتجب قلوبهم بالرین المستفاد من اكتساب الرزايل النفسانية الحاصلة من ارتكاب المعاصى و مباشرة الافعال السبعية و البهيمية و مزاولة المكائد الشيطانية حتى رسخت الهيآت الغاسقة و الملكات المضلة و ارتكمت على افئدتهم، فبقوا ساكنين حيارى تايهين فى تيه الجهالة و ظلمات الحيرة و حبطت اعمالهم و اتكست رؤسهم، فهم اشد عذاباً و اسوء حالاً و اردى مآلاً و اعصى جوهرأ من الفريق الاول، لمنافاة مسكة استعدادهم لاحوال مآلهم و وبالهم. و الفريقان هم اصحاب النار، لانهم اهل الدنيا، احدهما، اهل الحجاب، و الاخرى اهل العقاب. فالفريق الاول ما اشار تعالى اليهم بقوله: « ان الذين كفروا سواء عليهم اأندرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون، ختم الله على قلوبهم و على سمعهم و على ابصارهم غشاوة و لهم عذاب عظيم » و الفريق الثانى ما اشار اليهم بقوله: « و من الناس من يقول: آمانا بالله و باليوم الاخر و ما هم بمؤمنين، يخادعون الله و الذين آمنوا، و ما يخدعون الا انفسهم و ما يشعرون، فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً، و لهم عذاب اليم ».

فالفريق الاول من الاشقياء الذين هم اهل القهر الالهى، لا ينجع فيهم الانذار، و لا سبيل الى خلاصهم من النار » كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا، انهم لا يؤمنون، و كذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا انهم اصحاب النار » و هؤلاء سدت عليهم الطرق « و جعلنا من بين ايديهم سداً و من خلفهم سداً فاغشىناهم فهم لا يبصرون » و اغلقت عليهم الابواب، لان القلب هو اصل الابواب، و هو المشعر الالهى الذى هو محل الالهامات، و قد حجبوا عنه بختمه، و كذا السمع و البصر اللذان هما بابان للفهم و الاعتبار للانسان، و قد حرموا عن جدواهما، لامتناع نفوذ المعنى فيهما الى القلب، فلا سبيل لهم فى

الباطن الى العلم الكشفى الباطنى و لافى الظاهر الى العلم التعليمى الكسبى،
فحبسوا فى سجون الظلمات و عظم عذابهم و حجابهم.

والفريق الثانى من الاشقياء هم الذين سلب عنهم الايمان مع ادعائهم
له، لان محل الايمان هو القلب لا اللسان، قال الله تعالى : « قالت الاعراب آمنا،
قل لم تؤمنوا، و لكن قولوا اسلمنا، و لما يدخل الايمان فى قلوبكم » و معنى
قولهم فيما حكى الله عنهم « آمنا بالله و باليوم الاخر » ادعائهم علمى التوحيد
والمعاد للذين هما اشرف العلوم الالهية و اجل المعارف الربانية، فكذبهم الله
بقوله : « و ما هم بمؤمنين » فاشار الى ان علومهم خدع و تلبيسات يشتهب بها الجهل
بالعلم و يظهر بها الباطل بصورة الحق كما هو دأب المغالطين المماكرين على ما
قال تعالى : « و مكروا مكرأ كبارأ، انهم يكيدون كيدأ و اكيد كيدأ، فهمل
الكافرين امهلمهم رويدأ » لكن اهل البصيرة يعرفون و جوه الخلط و التلبيس،
و تدفعون خداع اصحاب الوهم و الظلمات، و اوهامهم بانوار الالهامات و
اضواء اليقينيات، كما قال : « ولا يحيق المكر السيء الا باهله، و يمحو الله
الباطل، و يحق الحق بكلماته » و فى القران آيات كثيرة مشيرة الى احوال
هاتين الطائفتين، اعنى الضالين الغاوين و المضلين المغوين المكذبين، كقوله
تعالى : « ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون ان شر الدواب عند الله
السمم البكم الذين لا يعقلون، ولو علم الله فيهم خيراً لاسمعهم، و لو اسمعهم
لتولوا و هم معرضون » و قوله : « بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه، و لما يأتهم
تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم، فانظر كيف كان عاقبة الظالمين » و قوله :
« و منهم من يستمع اليك أفانت تسمع الصم و لو كانوا لا يعقلون، و منهم من
ينظر اليك، أفانت تهدى العمى و لو كانوا لا يبصرون ».

قاعدة

في توحيدته تعالى و احديته و صمديته

البرهان على و احديته ايضا ذاته، كما دلت عليه آية «شهد الله» فانك قد علمت انه حقيقة الوجود و صرفه، و حقيقة الوجود امر بسيط لامهية له ولاتركيب فيه اصلا، فثبت انه احد، صمد، و كلما هو احد صمد فهو واحد فرد لا شريك له و لاتعدد فيه، اذ لا يتصور كثرة في صرف حقيقة شيء، و كلما هو حقيقة نفس الوجود الصرف الذي لا اتم منه فلا يمكن فرض الاثنينية فيه فضلا عن جواز وقوع المفروض، اذ تفاوت الوجودات المحضة و الانوار الصرفة بنفس الاتمية و الاشدية و مقابلهما، فلو فرض و جودان بسيطان، لا بد و ان يكون احدهما اتم و اشد من الاخر، فيكون الاخر معلولا، لما مر ان كل ناقص معلول، اذ لو كانا تامين غير متناهيين في الشدة، لزم ان يكون كل منهما نفس حقيقة الوجود و اشد من الاخر، فلزم ان يكون حقيقة واحدة من جهة ماهي تلك الحقيقة متكررة، اذ لا ميمز هناك زائداً على نفس الوجود. و ايضا : كل اثنين فائنينيتهما اما من جهة الذات و الحقيقة، كالسواد و الحركة، و اما من جهة جزء الحقيقة خارجاً، كالانسان و الفرس، و اذهناً، كالسواد و البياض. او من جهة كمالية و نقص في نفس الحقيقة المشتركة، كالسواد الشدايد و السواد الضعيف، او بسبب امر زايد عارض كالكتاب و الامى، و شيء من هذه الوجوه لا يتصور ان يكون منشأ لتعدد الواجب. اما الاول، فالاتحاد حقيقة الوجود، و اما الثانى، فلبساطتها، و اما الثالث، فلتمامية الذات الواجبة، و كون كل ناقص محدود معلولا لغيره، و اما الرابع، فلاستحالة كون الواجب متأخراً عن مخصص خارجى، بل كل ما فرض مخصصاً من كم او كيف او غير ذلك، يجب ان يكون متأخراً الوجود عن حقيقة الوجود، فان ذات الواجب يجب ان يكون متعينة بذاتها، فذاته شاهدة على وحدانية ذاته.

و الايات الدالة على وحدانيته تعالى كثيرة، منها قوله : « و قل

الحمد لله الذى لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك فى الملك» و منها « ذلك بان الله هو الحق، و ان ما يدعون من دونه هو الباطل، و ان الله هو العلى الكبير» و منها قوله: «سبحان الله و تعالى عما يشركون» و منها قوله: «هو الله لا اله الا هو» و قوله: «لا تدع مع الله الهاً آخر، لا اله الا هو» و قوله: «قل انما يوحى الى، انما الحكم اله واحد» و قوله: «لا تتخذوا الهين اثنين، انما هو اله واحد فاي اى فارهبون» و قوله: «قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمداً الى يوم القيامة من اله غير الله يأتىكم بضياء افلا تسمعون» الى قوله: «افلا تبصرون».

ومن البراهين الدالة على الواحدية والاحادية قوله تعالى: «قل هو الله احد الله الصمد» و قد علمت ان معنى الواحد هو الذى يمتنع من وقوع الشركة بينه وبين غيره، و معنى الاحد هو الذى لا تركيب فيه ولا اجزاء له بوجه من الوجوه، فالواحدية عبارة عن نفى الشريك، والاحادية عبارة عن نفى الكثرة فى ذاته . و معنى الصمد الغنى الذى يحتاج اليه كل شىء، و هذا دليل على انه احدى الذات، اذ لو كان له جزء لكان مفتقر الى غيره فلم يكن غنياً، و قد فرض غنياً، هذا خلف، و كل واحد فردانى لاشريك له، اذ لو كان له شريك فى معنى ذاته لكان مركباً عن ما به يمتاز، و ما به يشترك، فيكون مركباً، و لو كان له شريك فى ملكه لم يكن غنياً يفتقر اليه غيره، فصمديته دليل احديته، و احديته دليل فردانيته فى ذاته و ملكه، و قوله: «لم يلد ولم يولد» دليل على ان وجوده المستمر الازلى ليس بقاءه بالنوع و بتعاقب الاشخاص التى ينحفظ بها بقاء النوع كالانسان الطبيعى المستمر نوعه بتوارد الافراد المتماثلة، و كذا غيره من الامور الطبيعية المستمرة انواعها بتجدد الامثال، و ان كانت على نعت الاتصال. و قوله: «و لم يكن له كفواً احد» دليل على انه لا يمكن انه يوجد فى مرتبة وجوده موجوداً، اذ كل موجود سواء معلول له مفتقر اليه، متأخر وجوده عن وجوده تعالى، فلما كفى له و لاند ولا ضده، ان نسبة الكل اليه كنسبة الاشعة والاظلال الى ذات الشمس المحسوسة لو كانت نوراً قائماً بذاته.

قاعدة

في توحيده في الالهية كما في وجوب الوجود

قال تعالى: «والمحكم اله واحد لا اله الا هو» اله العالم واحد لا شريك له في الالهية وبراهينه كثيرة، فمن جملة الطرائق فيه النظر في وحدة العالم، فانه قد ثبت بالبرهان ان العالم كله شخص واحد وحدة طبيعية بعض اجزائه اعلى واشرف من بعض، فالكل حيوان واحد ناطق مسمى بالانسان الكبير، وان عالم الاجسام بمنزلة بدنه وعلنه، و عالم الارواح بمنزلة روحه وسره، والمجموع منتظم في سلك واحد، ولا يمكن تعدد العالم الجسماني ولا تعدد العالم الروحاني، الاعلى سبيل احاطة بعضها بعضاً، و عليه بعضها لبعض و ارتباط بعضها لبعض كارتباط الجسم بالروح، فاذا كان كذلك ثبت وحدة اله العالم، لان الالهية لا يتم الا يكون الباري صانعاً للعالم فاذا كان العالم واحداً كان اله العالم وصانعه واحداً لا شريك له في الالهية كما لا شريك له في ذاته، كما قال: «افى الله شك فاطر السموات» وقال: «وما كان معه من اله اذ اذهب كل اله بما خلق ولعلي بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون، عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون، قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم، سيقولون لله قل افلاتتقون قل من بيده ملكوت كل شيء و هو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فاني تسحرون، لو كان فيها الهة الا لله لفسدتا» وذلك لان تشخص المعلول بتشخص فاعله المفيض لوجوده، اذ الوجود في كل شئ عين تشخصه، وتشخصه عين وجوده، فمفيض وجوده مفيض تشخصه، و كما لا يكون لشئ واحد تشخصه وجودان ولا تشخصان، فكذلك لا يكون له موجودان مشخصان، لان انحاء الوجود والتشخص متباينة متنافية، والاتصاف بكل منهما يقتضى نفى الاتصاف بغيره، فكذا الحال في الاتصاف بمبدأ به وجود و تشخص، فاذا فرض لشئ واحد وجودان فهما متفاسدان، اذ لا ترجيح لاحدهما على الاخر، فهذا معنى الآية لا الذي توهمه

بعضهم من وقوع العربة والنزاع بين الهين مفروضين، لانه كلام خطابي بل شعري، جل جناب القرآن عن امثال هذه النقصانات .
و يؤيد ذلك قوله: « ام جعلوا الله شركاء خلقوا كخلقه، فتشابه الخلق عليهم، قل الله خالق كل شيء و هو الواحد القهار » .

قاعدة

في توحيدته تعالى في حقيقة الوجود

قال الله تعالى: « كل شيء هالك الا وجهه » وقال: « الله نور السموات والارض » و النور و الوجود حقيقة واحدة لافرق بينهما الا بمجرد الاعتبار والمفهوم، و كذا الظلمة والعدم، فمعنى نور السموات والارض وجودهما، وقال: « ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم، ولا خمسة الا هو سادسهم، وهو معكم اينما كنتم، ونحن اقرب اليه من حبل الوريد » .

برهان ذلك : ان الباري جل ذكره بسيط الذات احدى الوجود كما مر، وان واجب الوجود بالذات واجب الوجود من جميع الجهات فلا يوجب فيه جهة مكانية فلو فرض في ذاته فقد شيء من الاشياء الوجودية، او امكان امر من امور الثبوتية، لم يكن واجب الوجود من جميع الوجوه، فيلزم ان يكون فيه حيثيتان مختلفتان، حيثية وجوب وجود شيء و حيثية امكان وجود شيء آخر او امتناعه ، فيلزم التركيب في ذاته ولو به حسب العقل ، و هو ممتنع ، فلا بد ان يكون كل وجود وكل كمال وجمال رشحاً من رشحات بحر جماله ولمعة من لمعات نور كماله ، فجميع الوجودات ثابتة له على وجه اعلى و اشرف و لاسلب له لاسلب الامكان الذي هو معنى سلبى بسيط، فصفاة السلبية كلها راجعة الى سلب النقصان، والسلب المندرجة كلها تحت سلب الامكان، قال : « لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة » ولم يقل ثالث اثنين، اذ لم يصيروا بذلك كفاراً ، بل هو ثالث الاثنين

و رابع الثلاثة و خامس الاربعة و سادس الخمسة و هكذا، كما دلت عليه الاية المذكورة، و هي قوله تعالى: «ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم... الاية» و ذلك لان وحدته ليست عددية، بل وحدة اخرى جامعة لجميع الاحاد و الاعداد، فلو كانت وحدته عددية لكانت داخلة في باب الاعداد، فلم يكن حينئذ فرق بين ان يقال ثالث ثلاثة او ثالث اثنين، و لم يكن احد القولين كفراً دون الاخر، بخلاف ما اذا كانت وحدته خارجة عن باب الاعداد، فكان القول حينئذ بكونه ثالث الثلاثة او رابع الاربعة كفراً و باطلا، اذ ثالث الثلاثة داخل في عدد الثلاثة و كذا رابع الاربعة داخل في الاربعة و هكذا .

ثم لما كانت وحدته نحواً آخر مغايراً لسائر الوحدات و ليست من جنسها، فهي مع كونها مغايرة لها جامعة لها مقومة اياها، فلكونه تعالى كذلك، صح ان يقال : انه رابع الثلاثة، فاذا انضم الى الثلاثة واحد من جنسها، صار هو سبحانه خامس الاربعة، و هكذا الى غير النهاية. و هذا مما يخفى دركه ، الاعلى الراسخين » فهو الاول و الاخر و الظاهر و الباطن ، و هو بكل شيء محيط». و في كلام سيد الموحدين امير المؤمنين عليه السلام «مع كل شيء لابمقارنة و غير كل شيء لابمزايلة» .

واعلم ان لنا بعدا لكشف و الشهود براهين متعددة على هذا المطلب تركنا ذكرها، اذا لاتأثير في ذكرها لغير ذوى بصائر قلبية و من كان ذا بصيرة قلبية يكفيه ما اوردها من البرهان المذكور، لان من يتنور باطنه بنور الحق الاول، فيشاهد انه مع كونه واحداً غير قابل للتكثير و الانقسام ، انبسط على هياكل الموجودات ، و وسع بجميع ما في الارض و السماوات ، و لا يخلو منه شيء من الاشياء و لاذرة من ذرات الكائنات، و هو مع كونه مقوماً لكل وجود، مستغن مقدس عن كل موجود، لا يلحقه من معيته لسائر الاشياء نقص و لا شين، و لا تغير و لا تكثر و انقسام، كالنور الحسى الواقع من الشمس على الروازن و الثقب و على النجاسات و القاذورات من غير ان يتكثر ذاته و يتلوث بشيء منها او يمتزج بها، فاذا كان حال النور الحسى، هكذا ، فما ظنك بحال نور الانوار العقلية في انبساطه على الاشياء و عدم مخالطته بها.

تنبيه مشرقى

ومما ينبهك على ان وجوده تعالى وجود كل شئى، ان وجوده عين حقيقة الوجود وصرفه من غير شوب عدم وكثرة، فلو لم يكن وجوداً لكل شئى لم يكن بسيط الذات ولا محض الوجود، بل يكون وجوداً لبعض الاشياء وعدمًا للبعض، فلزم فيه تركيب من وجود و عدم، و خلط بين امكان و وجوب، وهو محال. فاذن يجب ان يكون وجوده تعالى لكونه صرف حقيقة الوجود، وجوداً لجميع الموجودات « لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصيتها » فلا يخرج من كنه ذاته شئى من الاشياء، لانه تمام كل شئى ومبدئه وغايته، وانما يتعدد ويتكثر وينفصل لاجل نقصاناتها وامكانياتها وقصوراتها عن درجة التمام و الكمال، فهو الاصل والحقيقة فى الوجودية، وما سواه شئونه وحيثياته، و هو الذات، وما عداه اسمائه وتجلياته، وهو النور، وما عداه ظلاله ولمعاته، و هو الحق، وما خلا وجهه الكريم باطل « كل شئى هالك الا وجهه، ما خلقنا السموات والارض الا بالحق ».

المشهد الثاني

في صفاته و اسمائه و فيه قواعد:

قاعدة

في توحيد صفاته الكمالية

اعلم ان صفات الله مجردة، اي غير عارضة لماهية اصلا، وكل صفة منه حق صمد فردي يجب ان يكون قد خرج فيه جميع كمالاته الى الفعل لم يبق شئ منها في ممكن القوة والامكان، لانه لاجهة فيه سواء، فكما ان وجوده تعالى حقيقة الوجود من غير شوب عدم وامكان، فيكون كل الوجود وكله الوجود فكذلك جميع صفاته الكمالية التي هي عين ذاته، فعلمه حقيقة العلم، وقدرته حقيقة القدرة، وما هذا شأنه يستحيل فيه التعدد، والالكان الشئ قاصراً عن ذاته، فيكون علمه علماً بكل شئ وقدرته قدرة على كل شئ، و ارادته ارادة لكل شئ، وهكذا في جميع ماله من الصفات. فالعلم هناك واحد و مع وحدته يجب ان يكون علماً بكل شئ. ولا يعزب عنه شئ من الاشياء الكلية و الجزئية، اذ لو بقى شئ من الاشياء لا يكون ذلك العلم علماً به، ولا شك في ان العلم به من جملة مطلق العلم - فلم يخرج جميع العلمية في ذلك الى الفعل، و قد قلنا ان ذلك واجب ضروري و الا لم يكن صرف حقيقة العلم ، بل علماً من جهة و جهلاً من جهة اخرى، ففيه شوب تركيب من علم و جهل و وجود و عدم و وجوب و امكان «فهو تعالى بكل شئ عليم» وكذا قدرته

حقيقة القدرة، فلا يخرج عنها شئ من المقدورات، والا لم يكن قدرة محضة، بل قدرة من وجه وعجزاً من وجه «والله على كل شئ قدير، له ما فى السموات وما فى الارض» و قوله: «والله خالق كل شئ» و قوله: «وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى» و قوله: «قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم» وهكذا قياس ارادته لقوله صلى الله عليه وآله: «ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن» و قوله: «وماتشؤون الا ان يشاء الله» و قس عليه ساير صفاته الكمالية .

فعليك بهذه القاعدة الشريفة التى علمنا الله بها من لدنه، فانها عظيم الجدوى فى باب التوحيد الخاصى، لكن يجب عليك ان تعلم ان هذه القاعدة انما يجرى فى الحقايق الكلية والمعانى الكمالية العامة التى يعرض للموجود بما هو موجود، ولا مدخل فى حدها تخصيص بمادة معينة او استعداد خاص او تجسم او تغير كالانسانية، حيث انها عبارة عن جوهر مخصوص بنمو واغتذاء وحس وحرارة، وهو لامحالة مغاير للفلكية والنارية والفرسية وغيرها، فلا يمكن ان يكون حقيقة شاملة لكل شئ و يكون انسانية لكل شئ. و كالسواد فانه عرض مخصوص ينفعل عنه البصر الذى هو ايضاً قوة مخصوصة فى مادة وضعية مخصوصة، فلا يمكن ان يكون السواد سواداً لكل شئ. و السر فى ذلك، ان كل حقيقة من هذه الحقايق المختصة ليست محض تلك الحقيقة، بل هى بالضرورة ممتزجة بغيرها من الاعدام والنقايس والمضادات ، فالانسان مثلاً لا يمكن ان يوجد فى الخارج بصرف الانسانية من غير مخالطة اشياء مباينة له مخالفة لمعناه، فلامحالة يتعين فى ذاته بأن يكون مبايناً لسائر الانواع، وذلك بخلاف الامور الشاملة، كالوجود والعلم والقدرة والحيوة وغيرها، اذ يمكن ان يكون من افراد مفهوم الوجود وجود بسيط، هو محض حقيقة الوجود من غير ان يكون معه شئ مباين للوجود، فيكون لامحالة وجوداً لكل شئ لا يعوزه شئ من الاشياء، وكذا من افراد العلم علم هو محض حقيقة العلم لاحتثية له مغايراً للعلم، فيكون علماً بكل شئ، و على هذا القياس القدرة والحيوة والارادة.

فان قلت: مفهوم العلم غير مفهوم القدرة و مفهومهما غير مفهوم

الارادة ومفهومات هذه الثلاثة غير مفهوم الحيوية، فكيف يكون الجميع في حق الواجب تعالى حقيقة واحدة بسيطة لاتغاير فيها .

قلنا: الاختلاف في المفهوم لا ينافي البساطة الحققة، لان قولنا صفات الواجب عين ذاته، معناه ان وجوده بعينه وجود هذه المعاني، وحيثية ذاته بعينها حيثية ساير الصفات، وهي ليست بامور زائدة من حيث وجودها وحيثيتها على وجود الواجب وحيثيته، وليس معناه ان هذه الالفاظ مترادفة لهما مفهوم واحد، والا لم يكن حملها مفيداً. و قول امير المومنين عليه السلام « كمال التوحيد نفي الصفات عنه » ليس المراد نفي معانيها عن ذاته، والا يلزم التعطيل، وهو كفر فضيح، بل معناه نفي كونها صفات زائدة على ذاته بحسب الوجود والحقيقة. فعلى هذا صح قول من قال : ان صفاته عين ذاته، وصح قول من قال : انها غيره. وصح قول من قال : انها لا عينه ولا غيره، لو علم ما حققناه. فكن على بصيرة في هذا الامر ولا تكن من الغافلين .

قاعدة

في تحقيق اسمائه تعالى

قال الله سبحانه : « ولله الاسماء الحسنى، فادعوه بها، وذرا الذين يلحدون في اسمائه ».

و اعلم ان العلم بالاسماء الالهية علم شريف دقيق و معرفة لطيفة غامضة، وبه فاق ابونا آدم عليه السلام على الملائكة حيث قال: « وعلم آدم الاسماء كلها، ثم عرضهم على الملائكة، فقال انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين، فلما انباهم باسمائهم، قال الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات و الارض و اعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون » ويستفاد من هذه الايات احكام علمية شريفة.

منها، ان المراد من الاسم ليس كما فهمه المتكلمون من انه لفظ موضوع في اللغة بازاء معنى من المعاني، يدل على ذلك امور:

احدها ، قوله : « والله الاسماء الحسنى » فوصفها بالحسنى من قبل الله مشعر بانها ليست من قبيل الهيئة العارضة للصوت ، اذ لاشرافة معتد بها لبعض الالفاظ على بعض ، اذ كلها من نوع واحد ، فكما لافرق بين لفظ الايمان والكفر والنور والظلمة في الحسن والقبح من حيث انها هيآت مسموعة ، بل في مدلولاتها و معانيها التي وضعت هذه الالفاظ بازائها .

و ثانيها ، قوله تعالى : « سبح اسم ربك الاعلى » اذ معلوم ان الاسم مما يسبح به لا مما يسبح له .

وثالثها ، ان الذى صار سبباً لمزية منزلة آدم ، عليه السلام ، على الملائكة لم يكن مجرد حفظ الالفاظ ، بل الاسم هو ما يعرف به حقيقته وحده ، كمفهوم الحيوان الناطق للانسان ، فقد يكون لشيء واحد في الوجود والهوية والذات مفهومات كثيرة كلها موجودة بوجود واحد ، كالجوهر ، والجسم ، والنامى ، والحساس ، والناطق ، والموجود ، والممكن ، والمتحيز والمتقدر ، والتممكن ، وغير ذلك في باب الانسان ، فانها مع كثرتها بحسب المعنى و المفهوم صارت ذاتاً واحدة موجودة بوجود واحد . فالمراد من الاسم فى عرف العرفاء هو المعنى المحمول على الذات والفرق بين الاسم والصفة ، كالفرق بين المركب والبسيط بوجه ، فان الاسم كالابيض والصفة كالبياض ، والفرق بين العرضى والعرض عند محققى اهل النظر ، ان المأخوذ « لابشرطى » هو العرضى والمأخوذ « بشرط لاشيء » هو العرض ، فالسمى قديكون واحداً والاسماء كثيرة وهى محمولات عقلية وليس المراد بها الالفاظ ، لانها غير محمولة حملاً اتحادياً ، وهذه الالفاظ التى هى بازائها اسماء الاسماء عندهم ، واما تلك المحمولات فهى بالحقيقة علامات و معرفات للذات الموسومة بها .

واعلم ان عالم الربوبية عظيم الفسحة جدا ، فيه جميع ما فى عالم الامكان على وجه اعلى واشرف مع ما يزيد عليها مما استأثره الله بعلمه ، ومن لم يكن عنده علم الاسماء ، تعذر عليه اثبات عالميته تعالى بجميع الموجودات ، لانها بحسب وجوداتها الخاصة متأخرة عن مرتبة ذاته تعالى ، مع انه تعالى عالم بجميعها علماً مقدماً على وجوداتها الامكانية ، فلو لم يكن الممكنات

على كثرتها و تفصيلها موجودة بوجود واحد في مرتبة الذات الاحدية، لم يكن علمه تعالى بخصوصياتها وماهياتها مقدماً عليها ثابتاً له قبل وجودها.

و منها، انه وقعت الاشارة الى ما ذكرناه من كيفية علمه بالموجودات من جهة اشتمال اسمائه تعالى على كل شيء، بقوله تعالى: «فلما انبئهم باسمائهم قال: الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض، واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون» كانهم حيث لم يحصل لهم العلم بالاسماء، لم يعرفوا كيفية علمه تعالى بكل خفى وجلي وجزئى وكلى. وسبب اختصاص الانسان بهذا التعليم دون الملائكة وغيرهم، ان حقيقة الانسان مظهر جامع لمظاهر كل الاسماء، بخلاف غيره من الموجودات، فان كل واحد منها مظهر لبعض الاسماء، كالملائكة للسبوح والقدوس والسلام ونحوها، والشياطين للمضل والمتكبر، والعزير، والجبار ومايجرى مجريها، والحيوانات مظاهر للسميع والبصير والحى والقدير و اشباهها، والنار مثلاً للقهار، والهواء اللطيف، والماء للنافع، والارض للصبور والادوية السمية للضار، والدنيا للاول، والاخرة للآخر، وعلى هذا القياس، فلو لم يكن الانسان مما يوجد فيه مظاهر جميع الاسماء والصفات لم يكن من شأنه العلم بالاسماء ومعرفة الاشياء كماهى، والملائكة كل منهم له مقام معلوم، فالقاييم منهم لايركع والراكع منهم لايسجد.

و منها، ايراد ضمير نوى العقول فى قوله: «انبئهم باسمائهم» مع ان المراد بها ليس اسماء الملائكة بل الاسماء كلها، كما دل عليه سياق الاية . ففيه اشعار بما ذهب اليه اساطين الحكماء الاقدمون، من ان لكل نوع من انواع الموجودات جوهر نورانى عقلى هو كلى ذلك النوع و تمام حقيقته و مثاله القاييم عندالله فهى المظاهر الاولى للاسماء الالهية والصور النوعية الخارجية، هى المظاهر الثانية ومظاهر المظاهر، كما بين فى مقامه على نحو البيان الحكيمى البرهانى، وليس غرضنا فى هذا الكتاب الا اشارة اجمالية الى اسرار بعض آيات القرآن. واما ايراد البراهين على وجه مبسوط مشروح فهو موكول الى سائر كتبنا و تفاسيرنا سيما كتاب الاسفار الاربعة.

فاذا نقرر ما ذكرناه، فنقول: اسماء الله تعالى بالحقيقة هى المحمولات

العقلية المشتملة عليها ذاته الاحدية لايتعلق بها جعل وتأثير، بل هي موجودة بالاجعل الثابت للذات، ولها احكام ثابتة و آثار لازمة هي مظاهرها، وربما يطلق عند العرفاء الاسم ويراد بها المظهر لانه ايضاً فرد من معنى ذلك الاسم، كما في قوله تعالى : « قل كل يعمل على شاكلته » واليق المجعولات بان يعرف بها ذاته تعالى ويكون مظاهراً لاسمائه وصفاته، هي كلمات الله التامات والارواح العاليات التي هي بمنزلة اشعة نور وجهه وكماله، ومعرفات جماله و جلاله، فهي الاسماء الحسنى، والله اسم للذات الالهية باعتبار جامعيته لجميع النعوت الكمالية، و صورته الانسان الكامل، و اشير بقوله صلى الله عليه و آله : « اوتيت جوامع الكلم » والرحمن هو المقتضى للوجود المنبسط على الكل بحسبما يقتضيه الحكمة ويحتمله القوابل على وجه البداية، والرحيم هو المقتضى للكمال المعنوى للاشياء بحسب النهاية، ولذا قيل : « يا رحمن الدنيا ورحيم الآخرة » بمعنى بسم الله الرحمن الرحيم بالصورة الكاملة الجامعة للرحمة الخاصة والعامة التي مظهر الذات الالهية والاسم الاعظم مع جميع الصفات. والى هذا المعنى اشار النبي صلى الله عليه وآله : « اوتيت جوامع الكلم » وبقوله : « بعثت لاتيتم مكارم الاخلاق » اذالكلمات هي حقايق الموجودات و اعيانها و خصوصاً صورها المجردة، كما سمي عيسى كلمة من الله وسميت المفارقات العقلية كلمات الله التامات، ومكارم الاخلاق كمالاتها وقواها التي هي مصادر افعالها، وجميعها محصورة في الحقيقة الجامعة الانسانية.

قاعدة

في تعيين الاسم الاعظم ومظهره

لاشك ان الاسم الاعظم ينبغي ان يكون معناه مشتملا على جميع المعاني للاسماء الالهية على الاجمال، وكذا مظهره يجب ان يكون حقيقة مشتملة على مجموع حقايق الممكنات التي هي مظاهر الاسماء ولا يصلح من الاسماء

لهذه الجمعية الاسماءية الا الاسم الله، كما ذكر، وكذلك الحي القيوم، الا ان الاول بحسب الوضع العلمى والثانى بحسب الوضع اللقبى، لاشتماله على جميع معانى الاسماء الالهية تضمناً او التزاماً، ولاجل ذلك كل ذكر او دعاء قيل ان فيه الاسم الاعظم. فهو مشتمل لامحالة على احدهما او عليهما جمعياً، كقوله تعالى: «الله لا اله الا هو الحي القيوم» وانما قلنا: ان الحي القيوم مشتمل على جميع الصفات الكمالية و النعوت الالهية، لان اسمه الحي مشتمل على جميع الاسماء الذاتية، فيدل على وجوب الوجود ووجوب الابداء، ومستلزم من الارادة والقدرة والسمع والبصر والكلام، والقيوم لكون معناه مبالغة فى القيام لادامة الموجودات على وجه التمام عدة ومدة وشدة، فهو مشتمل على جميع الاسماء الفعلية كالخالقية والرازقية والكرم والجدود و اللطف والرأفة والرحمة والعطوفة والابداع والتكوين والانشاء والاعادة والتقديم والتاخير والارسال والاتزال والبعث وغير ذلك من صفات الفعل. فاذا تجلى البارى بعبد بهاتين الصفتين فالعبد يكشف عند صفة الحي معانى جميع اسمائه وصفاته الجمالية، وعند تجلى اسمه القيوم معانى اسمائه وصفاته الجلالية، اذ يرى عنده فناء جميع المخلوقات لان قوامها و قيامها بقيومية القيوم الحق لا بانفسهم، فلا يرى فى الوجود الا الحي القيوم. و ايضاً قد تحقق و انكشف من قاعدتنا الممهدة المذكورة فى توحيد صفاته، ان حياته حقيقة الحياة، و حقيقة الحياة يجب ان يكون حياة كل شىء، فلو لم يكن كذلك لم يكن حياته صرف الحياة. و كذا قيوميته يجب ان يكون محض حقيقة القيام والاقامة فلا قايم ولا مقيم الا بقيامه واقامته، فهذان الاسمان هما الاسم الاعظم لمن تجلى له، فمن ذكرهما بلسان العيان لا بلسان البيان فقط، فقد ذكر الله باسمه الاعظم الذى اذ دعى اجاب و اذ اسئل به اعطى. و كذا الذاكر اذا غاب عن ذاته فعند غيبته عن ذاته و فناءه فى عظمة الوجدانية، بكل اسم دعا ربه يكون الاسم الاعظم. ولذلك لما سئل ابو يزيد عن الاسم الاعظم قال: ليس له حد محدود، ولكن فرغ بيت قلبك لوحدانيته فاذن كل اسم هو الاسم الاعظم.

قال صاحب الفتوحات المكية فى الجواب عن اسئلة الحكيم محمد بن على الترمذى : الاسم الاعظم الذى لامدلول له سوى عين الجمع وفيه الحى القيوم، فان قلت هو الله قلت لا ادرى، فانه يفعل بالخاصية وهذا اللفظ انما يفعل بالصدق اذا صار صفة للمتلفظ به، بخلاف ذلك الاسم. و قال فى موضع اخر منها. و معلوم عند الخاص و العام، ان ثمة اسماء عاماً يسمى الاسم الاعظم و هو فى آية الكرسى و اول آل عمران، و من الاسماء ما هي حروف مركبة ومنها ما هي كلمات مركبة مثل الرحمن الرحيم هو اسم مركب كبعليك. واعلم ان الحروف كالعقاقير لها خواص بانفرادها ولها خواص بتركيبها .

قاعدة

فى علمه تعالى بذاته و بغيره

كل وجود لا يشوبه عدم ولا يغطيه حجاب و غشاوة ولا التباس ولا يغشاه الظلمات، فهو مكشوف لذاته حاضر غير غائب عن ذاته، فيكون ذاته علماً و عالماً بذاته و معلوماً لذاته، اذ الوجود والنور شيء واحد ولا حجاب له الا العدم والقصور، فكل وجود بحسب سنخه يصلح ان يكون معلوماً، وانما المانع له ذلك اما العدم والعدمى كالهيولى الاولى لتوغلها فى الابهام، او الخلط بالعدم الذى هو اصل الظلمات، كالجسم وما يحلله، اذ كل جزء من الجسم محجوب عن صاحبه غائب عن جزء آخر، و كذا كل بعد و حجم و كل ذى بعد و حجم مكانى اوزمانى، كالحركة و مامعها حكمه هذا الحكم، سواء كان بالذات او بالعرض، كالسواد والبياض وغيرها من الوضعيات المادية، فالكل مما لا يتعلق به ادراك، وانما المدرك من كل منها صورة اخرى وجودها غير هذا الوجود المادى الوضعى الواقع فى جهة من جهات هذا العالم، فكل ما وجوده وجود صورى غير منقسم الذات الى امور منفصل بعضها عن بعض، فهو معلوم الهوية مدرك الذات بالفعل لا يمكن انسلاب الشعور عن ذاته، ولا يحتاج فى

كونه مشعوراً به الى عمل من تجريد او تلخيص، بل وجوده وجود ادراكي، وهو حي بحيوة ذاتية، وهكذا جميع الصور الاخرية سواء كانت محسوسة او معقولة، والواجب جل ذكره لكونه برىء الذات عن شوب العدم والجسمية والتركيب والامكان، فهو فى اعلى مرتبة المدركية والمدركية والعاقلية والمعقولة، ولانه مبدأ وجود العقلاء وفياض الصور العلمية على ذواتهم وواهب الروح والحيوة على الكل، فيكون عاقلاً لذاته ولساير الاشياء فان العلم بالعلة يوجب العلم بالمعلول . قال تعالى: «الايعلم من خلق، وهو اللطيف الخير» قوله: «وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الارض و لا فى السماء ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا فى كتاب مبين» وقوله: «ولا يعزب عنه مثقال ذرة فى السماوات ولا فى الارض» الى قوله: «فى كتاب مبين» .

قاعدة

فى مراتب علمه تعالى بالاشياء اجمالاً و تفصيلاً

فمنها، العناية وهى العلم بالاشياء الذى هو عين ذاته المقدسة ، وهو العقل البسيط لا تفصيل فيه ولا اجمال فوقه. و العناية علم تفصيلى متكرر، وهى نقش زايد على ذاته تعالى عند اصحاب ارسطاطاليس واتباعه من المشائين. والتحقيق انها غير زائدة على الذات وليس لها محل لما اشرنا اليه سابقاً من ان حقيقة الوجود يجب ان يكون كل الاشياء على وجه مقدس عقلى واليه والاشارة بقوله: «وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو» .

و منها، القلم واللوح، فالقلم موجود عقلى متوسط بين الله وبين خلقه فيه جميع صور الاشياء على الوجه العقلى، وهو ايضا عقل بسيط، الا انه دون الحق الاول فى البساطة والشرف. وايضا : الحق الاول واحد حقيقى بسيط من كل وجه والعقول الفعالة متعددة كثيرة. والى تلك الاقلام اشار تعالى بقوله: «وان من شىء الا عندنا خزائنه و ما ننزله الا بقدر معلوم» و قوله:

«ولله خزائن السموات والارض» وانما سمي العقل الفعال قلماً، لان شأنه تصوير الحقايق فى الواح النفوس وصحايف القلوب، وبه يستكمل النفوس بالصور العلمية، ويخرج ذاتها من القوة الى الفعل، كما بالاقلام ينتقش الالواح والصحايف و يتصور مادتها بصور الارقام و نقوش الكتابة.

واما اللوح، فهو جوهر نفسانى وملك روحانى يقبل العلوم من القلم، ويسمع كلام الله عنه.

و منها، القضاء والقدر، فالقضاء عبارة عن وجود جميع الموجودات بحقايقها الكلية وصورها العقلية فى العالم العقلى مجتمعة ومجملة على سبيل الابداع، وتلك مرتبطة بالحق الاول، موجودة فى صقع الالهية، لاينبغى عدها من جملة العالم بمعنى ما سوى الله، بل الحق انها معدودة من لوازم ذاته الغير المجعولة، لانها صور علمه التفصيلى بماعداه، ولذلك قال: «وان من شىء الا عندنا خزائنه» فالعالم كله جوده ورحمته وخزائن جوده ورحمته يجب ان يكون قبل الجود والرحمة، فلو كانت تلك الخزائن من جملة جوده، اى من مخلوقاته ومقدوراته، فلا بد لها ايضاً من خزائن سابقة عليها، فظهر ان خزائن الله ليست من جملة المصنوعات والافاعيل، بل هى سرادقات نورية و لمعات جمالية و جلالية.

واما القدر، فهو قدران: قدر علمى، و قدر خارجى، فالاول عبارة عن وجود تلك الاشياء مقدره مصورة بشخصياتها وجزئياتها فى قوة ادراكية ونفس انطباعية. واما الثانى، فهو عبارة عن وجودها فى موادها الخارجية مفصلة واحداً بعد واحد مرهونة باوقاتها وازمنتها، موقوفة على موادها و استعداداتها، متسلسلة من غير انقطاع، كما قال تعالى: «وان تعدوا نعمة الله استعداداتها، متسلسلة من غير انقطاع، كما قال تعالى: «وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها» وقال: «وما ننزله الا بقدر معلوم» و اشار الى القدر العلمى بقوله «انا كل شىء خلقناه بقدر» وقوله: «يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب» و سياتى لك مزيد توضيح و تفصيل لهذا المقام.

قاعدة

في ان صدور الاشياء المكونة عن علمه تعالى

فالذى يعقله العاقلون ويعرفه الحكماء الالهيون في كيفية صدور الاشياء المتجددة عن علمه ، ان الرحمة الالهية والعناية الربانية لالم يجز انقطاعها على عدد، و لم يمكن وقوفها عند حد يبقى ورائه الامكان الغير المتناهي على القوة والكمون من غير ان يخرج الى الوجود والظهور، و عالم الاجسام المادية عالم ضيق قصير الفسحة قليل الوسعة، اذ لا يسع الصور الغير المتناهية دفعة، بل المكان الواحد لا يسع الجسمين ولا المادة الواحدة لصورتين في زمان واحد فضلا عن غير المتناهي، قدر بلطف قدرته وعلمه زماناً غير منقطع الطرفين، ومادة ذات قوة انفعالية غير متناهية في الانفعال التجددى، كما ان الواهب ذو قوة غير متناهية في الفعل، وحيث لا بد في دوام تجدد الفيض من امر متجدد الذات، ضرورى الحركة والتغير في ذاته، فاوجد البارى بوسايط عقلية اشخاصاً فلكية دوارة باذن الله دائمة الدوران لاغراض علوية وغايات قدسية كمالية يتبعها استعدادات وانفعالات غير متناهية في مادة سفلية ينضم الى فاعل غير متناهي التأثير، وقابل غير متناهي القبول، فانفتح بذلك باب نزول البركات وتواتر الرشحات، وقطرات امطار الرحمة من بحار خزائن السموات على الدوام «وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها» فتصير الصور كلها موجودة في جميع ذلك الزمان على التعاقب التدريجى واحدة بعد واحدة في موادها الخارجية على نعت الاتصال التعاقبى ، والمادة مستكملة بها. ثم لا يخفى ان اشرف الحوادث ومامعها مما يتعلق بالهيولى هي النفوس الانسية الناطقة ولم يمكن حدوثها الامع الابدان، ولم يمكن خروج جميع ما هو الممكن منها من القوة الى الفعل دفعة واحدة، لان عددها غير متناه و عدد الابدان الموجودة معها متناهية، لوجوب تناهى الابعاد و جهات

اقتضاء العلل متناه ايضاً، فلا بد من وجود مدة غير منقطعة، وادوار غير متصرفة ليحصل بحسب الادوار والحركات واستعدادات القوابل المتعاقبات، نفوس ناطقة قرناً بعد قرن و نسلا بعد نسل، ليتم الازل بالابدو يكمل البداية بالنهاية، ولا يصير نعمة الله بتراء، ولا جوده منقطعاً و فضله معطلاً. ولذلك قال: «وما كان عطاء ربك محظوراً» و قال: «مانفتد كلمات الله» و قال: «قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي، لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً».

فاذا تقرر هذا، فالقضاء كما اشير اليه عبارة عن وجود جميع الموجودات فى العالم العقلى. مجتمعة بعد وجودها فى العناية الالهية مجملة ومحلها القلم. والقدر عبارة عن وجودها التفصيلى فى كتاب المحو و الاثبات وفى مواد الخارجية الجارية بسواد مداد الهيولى الظلمانى، كما جاء فى التنزيل «وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو» اشارة الى وجودها على النحو البسيط فى العناية الالهية. و قوله: «و ان من شىء الا عندنا خزائنه» اشارة الى وجودها فى الخزائن العقلية على سبيل الانحفاظ دائماً. وقوله: «وما ننزله الا بقدر معلوم» اشارة الى المرتبتين الاخيرتين القديرتين، فالمتنزل هو القدر الخارجى، لكونه آخر الترتلات، والمتقدر المعلوم هو القدر العلمى، و هو سبب للقدر الخارجى، كما دلت عليه بقاء السببية فالجواهر العقلية ومامعها موجودة فى القضاء والقدر مرة واحدة باعتبارين، والجواهر الجسمانية ومامعها موجودة فيهما مرتين. فظهر مما ذكرنا ان علمه تعالى محيط بجميع الاشياء الكلية والجزئية، لان كل شىء من لوازم ذاته بوسط او بغير وسط، يتأدى اليه بعينه قضاؤه وقدره الذى هو تفصيل قضاؤه تأدياً واجباً، اذ كل مالم يجب وجوده او لا لم يوجد اخيراً، فالعناية الالهية هى احاطة علمه البسيط الذى هو نفس وجوده بالكل، وبالواجب ان يكون عليه الكل، حتى يكون على غاية الجودة والنظام، وابلغ الكمال والتمام واحسنه، وبان ذلك واجب عنه تعالى وعن احاطة علمه به، ليكون الموجود على وفق المعلوم على اكمل الوجوه فى النظام، فعلمه سبحانه بكيفية الخير و الصواب فى ترتيب وجود عالمى الغيب والشهادة هو منبع لفيضان الكل.

قاعدة

في شمول قدرته و انبساط وجوده وسعة رحمته على الاشياء

قال تعالى: «وهو على كل شيء قدير» و قال: «و رحمتي وسعت كل شيء» و قال: «والله واسع عليم».

اعلم ان موجودية الممكنات بهوية الحق الاول، وبه قوام كل شيء و حياة كل حي، كما ان بالروح الانساني و هو خارج عن هذا العالم وجود اجزاء البدن و قوام آلاته و قواه، و به حياة كل عضو من الاعضاء و حسه و حر كته، الا ان الروح قد ينفعل عن البدن ويستعين به وبآلاته و اعضاءه في تحصيل الكمالات، بخلاف الباري الاول، فانه غنى عن العالمين، وهو مبدء وجوب وجود الاشياء بذاته، وهو واسع لها منبسط على كلها، لمام ان بسيط الذات لا يعزب عنه و عن علمه الذي هو عين ذاته شيء، فالاشياء كلها بالقياس اليه واجبات، و ان كانت بالقياس الى انفسها ممكنات، فلو فرض شيء من الاشياء مسلوباً عنه تعالى من حيث هو هو، فحيثية كونه هو غير حيثية كونه ليس بكذا، و الا لكان شيء واحد من جهة واحدة هو ولا هو. مثلاً لو فرض ان ذاته «الف» و قد صدق عليه انه ليس «بب» فنقول حيثية كونه «الف» هل هي بعينها حيثية كونه ليس «بب» ام لا، فعلى الثاني يلزم في ذاته شيء دون شيء، فلم يكن واحداً محضاً، وهذا خلف. وعلى الاول يلزم ان يكون المعقول من كونه - الف - هو بعينه المعقول من كونه ليس - بب - وهو محال، لان المعقول من الاول هو الثبوت، ومن الثاني هو السلب، ويستحيل ان يكون المعقول من السلب نفس المعقول من الايجاب و ان كان كل منهما مضافاً الى شيء آخر، فان المضاف اليه معناه خارج عن معنى المضاف و الاضافه، فالتخصيص به تخصيص بامر خارج و التخصيص بالامر الخارج لا يغير حقيقة الشيء في نفسها، فاذن لو كان معنى ثبوت - الف - بعينه معنى سلب - ب - لكانت طبيعة الثبوت بعينها طبيعة السلب، فيكون الشيء غير

نفسه وهو محال .

فقد ثبت ان الاول تعالى لكونه بسيط الحقيقة يجب ان يكون كل-
 الاشياء الوجودية على وجه اعلى و اشرف، و لهذا ورد من الاذكار الشريفة
 « يا هو يا من هو يا من لا هو الا هو » فاذا كان هذا هكذا، فجميع الموجودات
 آثار ذاته، فالقدرة بالحقيقة الاقدرته، كما لا وجود الالمة من وجوده. و كما
 لا ينافى كونه اصل الوجود تعدد الموجودات المصحوبة بالنقايس والامكانات،
 كذا لا ينافى كونه مؤثراً في جميع المقدورات ثبوت الوسايط من القادرين
 بينه و بين المقدورات، فان الابداد كالوجود مترتب ذودرجات ومراتب بعضها
 اعلى و بعضها ادون، قال تعالى: « الا انهم في مرية من لقاء ربهم، الا انه بكل
 شيء محيط » ، و قال: « هو الذي في السماء اله و في الارض اله »
 و قال: « هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء » وقال: « افرايتم ما تحرثون
 انتم تزرعون ام نحن الزارعون » و قال: « افرايتم النار التي تورون انتم
 انشأتم شجرتها ام نحن المنشؤون » اشارة الى ان الافعال المنسوبة الى القوى-
 المؤثرة، كالمصورة في تصوير الاعضاء وتشكيلها، و كالماء و النار في التسخين
 و التبريد، و كالانسان في افاعيله الصادرة عنه، و غير ذلك كلها بالحقيقة صادرة
 عنه تعالى واقعة بتأثيره مع كمال وحدانيته و فردانيته، فكل ما هو مقدر و
 مجعول لفاعل، فهو من حيث صدوره عن ذلك الفاعل صادر عن الحق تعالى،
 كما ان وجود كل ممكن من حيث وجوده شأن من شؤون الحق و وجه من
 وجوهه، و لذلك نسب الافعال اليه تعالى من حيث نسب الى مبادئها المباشرة
 لها كما في قوله: « قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم » و قوله: « و ما رميت اذ رميت
 و لكن الله رمى » و قال ايضاً: و « لكل وجهة هو موليها، فاستبقوا الخيرات »
 وفيه دلالة على ان الوجود كله خير، لكن الخيرات متفاوتة بعضها اشد، و
 بعضها اضعف، فبعضها خير محض لا يشوبه شر بوجه من الوجوه اصلاً، و بعضها
 مشوب بشر او شرور قليلة او كثيرة بالاضافة، فالخير الذي في عالم الجسم ليس مثل
 الخير الذي في عالم الروح، بل عالم الامر خير كله و عالم الخلق لا يخلو من
 شر او شرور، و مع ذلك خيره غالب على شره، لان وجوده خير و عدمه شر

محض، والانسان من جملة المخلوقات، له ان يسلك سبيل القدس وصراط الحق و يتطور في الاطوار الوجودية و يستبق في الخيرات حتى تزول عنه الشر بالكلية و يدخل في دار السلام، و لذلك امر الله لنا في الاستباق في الخيرات و الافتراق من الشرور و الظلمات و الدخول في دار السلام، كما في قوله تعالى: « ادخلوها بسلام آمنين » و قال : « الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور ».

قاعدة

في تحقيق كلامه تعالى

اعتقادنا في الكلام انه ليس كما زعمته الاشاعرة من انه معان نفسية قائمة بذاته تعالى و سموها الكلام النفسى، ولا كما ذهب اليه المعتزلة من انه خلق اصوات و حروف دالة على المعانى في جسم من الاجسام، و الا لكان كل كلام كلام الله و هو باطل. و لا يكفي تقييده على قصد اعلام الغير من قبل الله، او على قصد الالتقاء من عنده، و لو اريد بغير واسطة فهو غير ممكن و الالم يكن اصواتاً و حروفاً، بل حقيقة التكلم انشاء كلمات تامات و انزال آيات محكمات و اخر متشابهات في كسوة الالفاظ و العبارات، و الكلام قرآن و هو العقل البسيط و العلم الاجمالي، و فرقان و هو المعقولات التفصيلية، و هما جميعاً غير الكتاب، لانهما من عالم الامر و عالم القضاء، و مظهرهما و حاملهما القلم و اللوح المحفوظ، و الكتاب من عالم الخلق و التقدير و محله عالم القدر الذهنى و القدر العينى، و الا و لان غير قابلين للنسخ و التبديل، لانهما فوق الزمان و المكان بخلاف الكتاب لانه موجود زمانى، و محله لوح قدرى نفسانى هو لوح المحو و الاثبات، او مواد خارجى، و كلاهما متغيران، و الكتاب يدركه كل احد، و القران لا يمسه الا المطهرون من ادناس البشرية. و ربما يقال: الكتاب للفرقان فانه بالنسبة الى القران كتاب منزل، او باعتبار انه منزل ايضاً في صورة مكتوبة

فى لوح القدر، بل الذى بين اظهرنا كلام منزل من عند رب العالمين، منزله -
الاول القلم الربانى، والثانى اللوح المحفوظ، والثالث لوح القدر و سماء -
الدينا، والرابع لسان جبرئيل تلقاه الرسول الامين، صلى الله عليه وآله، فى
جميع المقامات، تارة اخذه من الله بلا واسطة ملك، كما قال «ثم دنى فتدلى
فكان قاب قوسين او ادنى، فاوحى الى عبده ما اوحى، ما كذب الفؤاد ما رأى
افتمارونه على ما يرى» و تارة بواسطة جبرئيل «و ما ينطق عن الهوى ان هو
الاوحى يوحى علمه شديد القوى ذومرة فاستوى و هو بالافق الاعلى» وتارة
فى مقام غير ذلك المقام الشامخ الالهى «ولقدر آه نزلة اخرى، عند سدرة
المنتهى، عندها جنة المأوى، اذ يغشى السدرة ما يغشى، ما زاغ البصر وما طغى،
لقد رأى من آيات ربه الكبرى» و تارة كان يسمع كلام الله فى هذا العالم -
الحسى، و انه لتنزيل رب العالمين، نزل به الروح الامين على قلبك لتكون
من المنذرين بلسان عربى مبين، و انه لفى زبر الاولين. و من هذا المقام ما كان
فى اول البعثة فى جبل حراء، او فى جبل فاران، فاتاه جبرئيل عليه السلام بصورة
محسوسة وسمع منه «اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرأ و
ربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم» كما سمع موسى كلامه
تعالى النازل فى طور سيناء «اذ رأى ناراً، فقال لاهله امكثوا، انى آنست ناراً
لعلى آتيكم منها بقبس أو اجد على النار هدى، فلما اتيتها، نودى يا موسى،
انى انا ربك، فاخضع نعليك انك بالوادي المقدس طوى، وانا اخترتك فاستمع
لما يوحى، اننى انا الله لا اله الا انا فاعبدنى» و من منازل كلام الله تعالى ما يدون
فى الكتب والقراطيس، بيدولكل احد و يتكلم به كل متكلم و يقرؤه كل
قار و يسمعه كل مستمع، كما فى قوله تعالى «وان استجارك احد من المشركين
فاجره حتى يسمع كلام الله» ثم قد اختص محمد صلى الله عليه وآله، من بين
ساير الانبياء عليهم السلام بتلقى الوحي والكتاب بأن جاوز مقامات الانبياء
كلها و جاوز منازلهم كلهم فى السموات السبع دون البلوغ الى مقام الافق
الاعلى او ادنى، كما اخبر النبي صلى الله عليه وآله عن ليلة الاسرى حيث قال:
ورأيت آدم فى السماء الاولى، ويحيى فى الثانية...» الى ان قال: «ورأيت

ابراهيم عليه السلام في السماء السابعة» فجاز عن مقاماتهم جميعاً الى كمال القرب و غاية الوصول.

وقال تعالى في حق علماء امته واولياء ملته «لايزال العبد يتقرب الى بالنوافل حتى احببته، فاذا احببته كنت سمعه الذي به يسمع...» وهذا هو حقيقة الوصول والايصال، لكن الفرق بين النبي والولى في ذلك ان النبي مستقل بنفسه في السير الى الله تعالى والوصول اليه، ويكون حظه في كل مقام بحسب استعداده الا تم الاكمل، والولى لايمكنه السير الا في متابعة النبي صلى الله عليه وآله، وتسليكه اياه في سبيل الله، كما قال: «قل هذه سبيلي ادعوا الى الله على بصيرة انا ومن اتبعنى» ويكون حظه في كل من المقامات بحسب استعداده وقوة فطرته فافهم جدا .

قاعدة

في دوام امره وخطابه للمكونات

قال الله تعالى: «وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر» وقال: «انما امره اذا اراد شيئاً ان يقول له كن فيكون» و لاشك ان ارادته ازلية و تخصيص بعض الاشياء بتعلق الارادة في اوقاتها المعينة الجزئية عند حضور استعداداتها، انما هو لاجل قصور قابليتها عن القبول الا تم ونقصاناتها الذاتية عن الوجود الدائم، واذا كانت الارادة دائمة فالقول واحد والخطاب دائم، وان كان المقول له والمخاطب حادثاً متجدداً، و قد اخبر تعالى عن جهل اهل العناد بانهم الذين لا يعلمون ان الله متكلم بالقول الثابت، والمتكلمية صفة من صفاته وكل صفة من صفاته واحدة مستمرة ثابتة لم يزل ولايزال، اذ لاكثره و لازوال في عالم الوحدة، فكلامه الذي هو امره متعلق بجميع المكونات امر التكوين وهو خطاب بكلمة كن، وهى كلمة وجودية، فسمعت اعيان المكونات خطابه و دخلت في باب الوجود بامر واذنه، واطاعت السموات قوله وكلمته ودعوته «ايتها طوعاً او كرهاً،

فسمعنا كلمته، واجابنا دعوته، واطاعتنا قوله، وقالنا اتينا طائعين» ويتناول المكلفين امر تكليف وتشريع، والى ذلك اشار بقوله : «قال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله او تأتينا آية» و ما علموا ان الله يكلمهم على الدوام، ولكن «لهم آذان لا يسمعون بها، وانهم عن السمع لمعزولون، ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم» كما اسمع قوماً آخرين اخبر عنهم بقوله «و اذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق» فالسمع الحقيقي ما هو قرين معرفة القلب لاصطكاك الصماخ بالهواء الخارج، وكل قلب يكون حياً بحيوية المعرفة، يسمع كلام الحق. واما القلوب الميتة بموت الجهل فحالهم كما قال تعالى فيهم : «انك لاتسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء» ولو اسمعهم الخطاب بمقارعة الهواء لسمعهم الظاهر، وقلوبهم موتى، لتولوا عنه وهم معرضون، كما اسمع نقرأ من قوم موسى خطابه تعالى، فلم ينفذ الى بواطنهم نور كلامه ولم يطبقوا اسماعه، فبعد ما رأوا من عظيم الايات، وان الله اماتهم ثم احياهم حرفوا وبدلوا، فما يغنى الايات والدلالات، وان وضحت عن حق عليهم القول و لزمهم الشقاوة و طبع على قلوبهم، و قال الله تعالى فيهم : «و لقدذرنا لجهنم كثيراً من الجن والانس، لهم قلوب لا يفقهون بها، و لهم اعين لا يبصرون بها، و لهم آذان لا يسمعون بها...»

و اعلم ان بازاء هؤلاء من كل امة قوماً وقع بينهم و بين الله مكاملة حقيقية، يكلمهم الله وينظر اليهم وهم يسمعون كلامه بسمع قلبى بلا واسطة تعليم بشرى خارجى، فيكون الفهم لازماً لسمعهم، وقدورد عن النبي صلى الله عليه وآله «ان فى امتى محدثين مكلمين» و لا يشترط ان يكون هؤلاء - انبياء تشريع ورسالة، لان الرسالة قد انقطعت و ابوابها قد غلقت و ختمت ببعثة نبينا، صلى الله عليه وآله، و ما بقى الا الهامات من الحق و اعلامات و تعليمات، و اليهم الاشارة بقوله صلى الله عليه وآله : «ان لله عبداً ليسوا بانبياء يغبطهم النبيون» اى ليسوا بانبياء تشريع، بل هم فى الشريعة تابعون لمحمد، صلى الله عليه وآله،

وقد علمت ان التكلم الحقيقى ليس من شرطه ان يكون بكسوة

الالفاظ والحروف، ولا ايضاً من شرطه تمثل المتكلم بصورة شخصية، بل اللقاء كلام معنوى الى قلب مستمع من الله، قوله عز وجل : « ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا و هم لا يسمعون، ان شر الدواب عند الله، الصم البكم الذين لا يعقلون ، ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون » دلت هذه الاية على ان المراد بالسمع هو التعقل وهو السمع الباطنى، كما ان المراد بالبصر هو الرؤية الباطنية. قوله : « ويرى الذين اوتوا العلم الذى انزل اليك من ربك هو الحق ويهدى الى صراط العزيز الحميد، افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى » ففى الايتين دلالة على ان اولى العلم هم الذين يعرفون الحق ويرون بنور عرفانهم، ان المنزل على الرسول علوم حقيقية و معارف الهية، و لولا ان وقع لهم بالسمع الباطنى مقارعة الكلام المعنوى ، و بالبصيرة الباطنية مشاهدة آيات الملكوت، لم يعرفوا حقيقة الكلام المنزل على الرسول و انه الحق من ربه.

قاعدة

فى السر الحروف المقطعة القرآنية

اعلم ان الانبياء عليهم السلام، وضعوا بامر الله حروف التهجى، اعنى حروف الجمل بازاء مراتب الموجودات ، وقد وجد فى كلام امير المؤمنين عليه السلام، ما يدل على ذلك، و اذا كان كذلك فينبغى ان يكون الالف اشارة الى المبدأ الاول، لانه اول الاحاد و مبدأ الافراد و الاعداد، و ان يكون الباء اشارة الى عالم العقل، و لذلك قيل : ظهرت الموجودات من باء بسم الله. اذهى الحروف التى تلى الالف الموضوعه بازاء ذات الله. فهى اشارة الى العقل الكلى و هو اول ما خلق الله، المخاطب بقوله تعالى : « ما خلقت خلقاً اكرم على ولا احب الى منك، بك آخذ و بك اعطى، و بك اتيب و بك اعاقب » و هذا حديث متفق على روايته جميع فرق الاسلام بحسب المعنى، و ان وقع الاختلاف فى صورة اللفظ. و المراد به جملة عالم العقل، لما بينا فى مقامه، ان العقول القادسات

كلها موجودة بوجود واحد، والتعدد فيها باعتبار مراتب الشدة والضعف، بل بحسب تفاوت الاثار الصادرة من الله بتوسطها وتوسط جهاتها في القرب والبعد من الله وبحسب قوة النورية والوجود وضعفهما .

وبالجملة، الكل كأنها شيء واحد ذو درجات متفاوتة متصلة بعضها ببعض، منطوية بعضها في بعض. وان يدل بالجييم على النفس الكليه وعالمها، وبالذال على الطبيعة السارية في الاجسام واحداها وانواعها من الصور - النوعية للافلاك والعناصر والمركبات الطبيعية، فهذه حروف اربعة لموجودات اربعة مترتبة في الوجود والايجاد، اذا اخذت من حيث ذواتها ووجوداتها. واما اذا اخذت من حيث اضافتها ومبدأيتها، فبالحرفى ان يدل بالهاء على - البارى، وبالواو على العقل، وبالزاء على النفس، وبالحاء على الطبيعة، وبقي الطاء للمادة الجسمية وعالمها. وليس لها وجود فاعلى و اضافة الى مادونها، لانها قابلة محضة وقوة استعدادية صرفة، فيها نفذت رتبة الاحاد وعالم الابداع للباسيط والافراد. ثم ينبغى ان يكون المأخوذ من اضافة الاول الى العقل، والعقل ذات غير مضافة الى ما بعده مدلولاً عليه بالياء، لانه من ضرب - ه - فى - ب - ولا يحصل من اضافة البارى الى العقل او العقل الى النفس عدد يدل عليه بحرف واحد، لان ضرب - ه - فى - ج - يه - و ضرب و فى - ج - يح - و ان يكون الامر و هو من اضافة الاول الى العقل مضافاً مدلولاً عليه باللام و هو من ضرب ه فى و، و يكون الخلق و هو من اضافة البارى الى الطبيعة بماهى مضافة مدلولاً عليه بالميم، وهو من ضرب ه فى ح لان الحاء دلالة الطبيعة مضافة و يكون التكوين وهو من اضافة البارى الى الطبيعة، و هى ذات مدلولاً عليه بالكاف، و يكون جميع نسبتى الامر والخلق اعنى ترتيب الخلق بواسطة الامر، اعنى اللام والميم ومدلولاً عليه بحرف عين. وجميع نسبتى الخلق والتكوين كذلك اعنى الميم والكاف مدلولاً عليه بالسين، و يكون مجموع نسبتى طرفى الوجود و التكوين اعنى، ل و م، مدلولاً عليه بالصاد، و يكون اشتمال الجملة فى الابداع اعنى ضرب ي فى نفسه مدلولاً عليه بق، و هو ايضاً من جمع ص وى، و يكون ردها الى الاول وهو مبدء الكل ومنتهاه على انه اول وآخر،

اعنى انه فاعل و غاية كمايين فى الالهيات مدلولاً عليه بالراء ضعف ق .
 فاذا تقرر هذا فلنرجع الى بيان المطلوب، فنقول : ان المدلول عليه
 بالم هو القسم بذات الاول، ذى الامر والخلق، وبالراء القسم بالاول، ذى -
 الامر والخلق الذى هو الاول والاخر والمبدأ والغاية، وبآلمص القسم بالاول،
 ذى الامر والخلق والمنشئ للكل، وبص القسم بالعناية الكلية وبق ، القسم
 بالابداع المشتمل على الكل بواسطة الابداع المساوى للعقل، و بكهيعص ،
 القسم بالنسبة التى للكاف، اعنى عالم التكوين الى المبدأ الاول وبنسبة الابداع
 الذى هو، سى، ثم الخلق بواسطة ص ر لوقوع الاضافة بسبب النسبة الى ر، و
 هوع، ثم التكوين بواسطة الخلق والامر وهو ص، فبين ك وه ضرورة نسبة
 الابداع، ثم نسبة الخلق والامر، ثم نسبة التكوين والخلق والامر، و يس، قسم
 باول الفيض وهو الابداع و آخره وهو التكوين، و حم، قسم بالعالم الطبيعى
 الواقع فى الخلق وحمعسق، قسم بمدلول وسايط الخلق فى وجود العالم الطبيعى
 بالخلق بينه و بين الامر بنسبة الخلق الى الامر، و نسبة الخلق الى التكوين ،
 بان نأخذ من هذا ونرده الى ذلك قسم به بالابداع الكلى المشتمل على العوالم
 كلها، فانها اذا اخذت على الاجمال لم يكن لها نسبة الى الاول غير الابداع
 الكلى الذى يدل عليها بق و طس يمين بعالم الهيولى، الواقع فى التكوين ،
 ون ، قسم بعالم التكوين، و عالم الامر اعنى ن، لمجموع الكل. و لا يمكن
 ان يكون للحروف دلالة غير هذا البتة.

وهذه جملة ما ذكره بعض حكماء الاسلام فى سر هذه الحروف المجملة،
 وهى اجود ما قيل فى هذا الباب و احكم، والله الهادى الى طريق الصواب و
 هو اعلم .

قاعدة

فى ان العالم الربوبى و الصقع الالهى عظيم جداً

و اعلم ان حقايق الاشياء كلها و صورها العلمية الاصلية موجودة

عند الله تعالى واجبة بوجوبه الذاتى باقية ببقاء الله لا ببقاء انفسها، وهى واحدة من حيث الوجود بحيث لاكثره فى وجودها و ان كانت كثيرة من حيث معانيها و اعيانها التى هو صور اسماء الله و صفاته، كما قال الله تعالى «وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو» و قوله تعالى : «لاتبدل لكلمات الله» و قوله : «وان من شىء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم» و قوله : «وما من غائبة فى السماء والارض الا فى كتاب مبين» و قوله : «وان كل لما جميع لدينا محضرون» و قوله: «ويمح الله الباطل و يحق الحق بكلماته، انه عليم بذات الصدور» و قوله : «ام عندهم خزائن رحمة ربك، ام هم المسيطرون» و قوله: «وما قدروا الله حق قدره، والارض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه» و لاشك ان قبضته و يمينه مقدمتان عن التغير والدثور ، و معنى الاية «ما قدروا حق قدره» اى اليهود و من يحذو حذوهم، او يجرى مجريهم ممن لم يعلموا ارتفاع ذاته عن عالم المفارقات فضلا عن عالم الاجسام، فشبوه ونسبوه الى المثل والنظير والصاحبة والولد «فقلت لليهود: عزيز بن الله، و قالت النصرى المسيح بن الله» و ايضا : نسبو اليه التعطيل فى الافاضة والامساك عن الجود، ان «قلت لليهود يدالله مغلولة غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا بل يدها مبسوطتان ينفق كيف يشاء» فيداه غير زايلتين، بل دائمتان قائمتان بالجود والرحمة. و قوله تعالى : «واشرق الارض بنور ربها» اى ارض الآخرة، وهى الاعيان الثابتة المنورة بنور الوجود الفايض عليها من ذات الله تعالى، والمراد بها ذات النفس الكلية المنورة بنور العقل الكلى المتحدة به الصايرة اياه بحسب الاستكمال الذاتى، و من حيث التفصيل نسبتها اليه نسبة القابل الى المقبول و نسبة ما بالقوة الى ما بالفعل. و يحتمل ان يكون المراد بأرض الآخرة، جملة النفوس الانسانية القابلة لفيضان النور العقلى الالهى على ذواتها و عقولها الهيولانية، او النفوس الحيوانية الخيالية من الانسان القابلة للانوار الحسية التى يتمثل بها عند النفس، الاشباح الاخرية والصور الشخصية المثالية .

قاعدة

فى ان صور المكونات الموجودة فى هذا العالم مرتسمة متمثلة فى نفوس السموات و فى قواها المنطبعة على الوجه الجزئى، و الاشارة الى معنى القضاء والقدر، واللوح والقلم.

اعلم ان العالم الجسمانى كله بمنزلة انسان كبير، وان جوهر السماء بمنزلة ام الدماغ من بدن الانسان، وطبقاتها بمنزلة تجاويف الدماغ. وكما ان الدماغ الانسانى لمكان الروح النفسانى الذى هو الطف الاجرام الكونية مظهر يظهر فيه الصور الادراكية والاشباح العينية والاشخاص المثالية للنفس، وكما ان المرأة الخارجية مظهر يظهر بسببها الصور المبصرة للنفس، فهكذا الروح الدماغى للطافتها و صفائها مرآة روحانية للنفس لماحقق فى موضعه، ان الصور الادراكية سواء كانت كلية او جزئية عقلية او حسية غير حالة فى جرم مادى كونى، و لا ايضا قائمة بمادة جسمية، فكذلك جوهر السماء و جرمها اللطيف مرآة يظهر فيها الصور الموجودة فى نفسها الكلية من عالم الامر. و بيان ذلك، ان العالم الروحانى بجوهره المجرد القدسى مخزن القضاء الربانى، و كذلك العالم النفسانى بجرمه السماوى مظهر لقدره، اذ الصور الالهية التى فى عالم القضاء فى غاية الوحدة والصفاء، لا ينفصل ولا تتمثل فى معلوميتها لغيرها لشدة نوريتها، كمرآة مضيئة ترد البصر عن ادراك ما فيها من الصور بشاعها، كما قال تعالى: «و عنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو» فينتسخ من تلك الصور بالعقل الكلى الذى بمنزلة القلم الناسخ فى لوح النفس الناطقة الكلية التى هى قلب الانسان الكبير، كما ينسخ بالقلم فى اللوح صوراً معلومة مضبوطة بعلمها و اسبابها على وجه كلى، كما يظهر فى قلوبنا عند استحضارنا للمعلومات الكلية، كالصور النوعية و كبريات القياس عند الطلب للامر الجزئى المنبعث عنه العزم على الفعل، و هو اللوح المحفوظ لانضباط تلك

الصور فيها و انحفاظها عن التغير، كما قال : «وعندنا كتاب حفيظ» و قال :
«انه لقرآن كريم في لوح محفوظ» ثم ينبعث ويتمثل منها في النفوس السماوية
الجزئية التي هي قواها الخيالية نقوشاً و مثالا جزئية مشخصة بهيات واشكال
و اوضاع معينة مقارنة لاقوات معينة، مثل ما يوجد في الخارج كما يتمثل في
خيالنا الصور الجزئية وصغريات القياس مثلاً، ليحصل بانضمامها الى تلك الكليات
والكبريات رأياً جزئياً ينبعث عنه ارادة و قصد جازم الى الفعل المعين ،
فيجب عنه الفعل، و ذلك العالم هو لوح القدر، اى مرآته و مظهره، و هو خيال
العالم، و السماء الدنيا التي تنزل اليها الكاينات الجزئية او لامن غيب الغيوب،
ثم يظهر في عالم الشهادة على وجه يطابق لما فيها، و تلك الصور والنقوش
من قوى النفس الناطقة السماوية كالصور الخيالية من قوة الخيال لنفوسنا ،
و كل منها كتاب مبين، لقوله تعالى: «ولاحبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا
يابس الا في كتاب مبين، و مامن غائبة في السماء والارض الا في كتاب مبين ،
و ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها»
وقوله: «و مامن دابة في الارض الا على الله رزقها، و يعلم مستقرها و مستودعها،
كل في كتاب مبين» و حصول تلك الصور المعينة الموقته بوقتها المعين في
موادها الخارجية هو القدر الخارجي، كما قال: « و ما ننزله الا بقدر معلوم»
ولاشك ان وقوعها في الخارج عند حضور ذلك الزمان ضرورى و لا مرد
لحكمه، و لا دافع لقضائه، لانها موجودة قبل وقوعها الخارجي في عالم آخر،
و ذلك العالم هو عالم الملكوت العمالة باذن الله، اى المسخرة لامره المطيعة
لكلمته المدبرة لامور العالم بتحريك المواد و اعدادها و تهيئة القوابل و
استعداداتها، و حامل القدر بما فيه هو عالم الملكوت، كما ان لوح القضاء بما
فيه هو عالم الجبروت .

قاعدة

في كيفية نزول القضاء من عند الله و بروز الاحكام من مكامن الغيب الى مظاهر الشهادة.

اعلم انه تعالى قد عظم امر السماء، و جعلها واسطة الارزاق و قبلة الدعوات، و رفع الحاجات، قال : « و في السماء رزقكم و ما توعدون » اذ جعلها منشأ الحركات الكلية، و حدوث الكائنات، و تولد النباتات و الحيوانات ، سيما نوع الانسان الفائق بنفسه الناطقة، العارفة لربها على ساير الاكوان، و ذلك لاجل انه جعلها ذوات نفوس ناطقة كاملة متشوقة الى لقاء الله، عاشقة لملكوته الاعلى، طايفة حول كعبة الجلال، فلها ادراكات و ارادات عقلية بنفوسها الكلية، و لها ايضاً ادراكات و ارادات بنفوسها الحيوانية الجزئية، كحال نفوسنا المدركة للكليات المريدة ارادة كلية من جهة العقل، و المدركة للجزئيات المريدة ارادة جزئية من جهة قوة التخيل، كل بحسب مرتبة و مقام، و كل منها يشناق الى جوهر قدسى مفارق، هو مفيض وجودها و مكملها القريب، تقرباً اليه و تشبهاً به، لادراكها لذلك الكمال الذي من شأنها التشبه به ، و الخروج من القوة الى الفعل بسببه، و التقرب الى المبدأ الاعلى بواسطته، فان النفس بحسب الكمال العقلي بالقوة و الامكان، و شأنها ان يخرج من- القوة الى الفعل، و من الامكان الى الوجود، و هذا الخروج لامحالة بحركة، و الحركة لا يكون الا لتعلق بمادة جسمانية، لان المفارق عن الجسم بالكلية المجردة عن المادة رأساً لا حركة له، فحركة السماء نفسانية تابعة لحركة جسمانية، فلا بد فيها من ارادة كلية و اخرى جزئية. اما الاولى، فلان اغراض الفلك ليست كاغراض الحيوان العنصرى شهوية او غضبية، او لاجل طلب غذاء او لدفع آفة او عدو، اذ اجسادها ليست مخلوقة من العناصر المتضادة المتكونة من مادة ناقصة غير مستكملة بالصورة حتى يحتاج الى التكميل و التعديل و التصوير، و ليس لصورة جسمها ضد و لانفسها مرض، فليس لها شهوة و لا غضب، لان حركتها

ليست لاجل غرض جسماني بل لاجل مقصد علويّ ونيل كمال قدسي يكون من شأنها الوصول اليه ولا يمكن الا بالسعي والتوجه لنفوسها و ابدانها، لما علمت ان فعل النفس و حركتها لا يكون الا مع البدن، فلا بد لاجرامها ان يتحرك ضرباً من الحركة. و حركة الاجسام منحصرة في ان يكون في اربع مقولات، اما في الاين اوفى الكم اوفى الكيف اوفى الوضع ، لكن الفلك لا يمكن ان يكون له حركة الا الوضعية فقط، لانه بالفعل في جميع ما يمكن له من المقدار والاين والكيف، الا الوضع بمعنى النسبة الى الغير، فيطلب وضعاً كلياً يستعد به لذلك الكمال و ينضم الى ادراكه الكلي ادراكات جزئية متقدمة بعضها و متأخرة بعضها .

فينبعث من ارادتها الكلية ادراكات جزئية، فيتبعها اشواق جزئية يوجب حركات جزئية، يقع الوصول بها الى مرادات جزئية، نسبة الارادة الكلية الى الاراده الجزئية كسببة المراد الكلي الى المراد الجزئي، ولما علمت ان المراد الكلي للفلك التشبه بجوهر كامل عقلي، بل الاتحاد والسيرورة اياه لا مجرد تحصيل معنى التشبه، فانه امر ذهني لا وجود له في الخارج، وما لا وجود له لا يكون مقصوداً حقيقياً. فالمراد الكلي جوهر كامل عقلي، والمراد الجزئي احد جزئياته وهو جوهر نفساني جزئي، فدايماً يتجدد للنفس الفلكية امثال ويتصل كل منها الى العالم الاعلى ويتحد بالجوهر المفارق ويوجد بدله. ونحن قدينا في ساير كتبنا ان طبيعة كل جسم التي هي مبدء حركته و سكونه وساير صفاته الذاتية وافعاله الطبيعية، امر متجدد سيالدايماً، فكذلك طبيعة الفلك امر متجدد سيال. و ايضا قدينا ان الحيوانية في الفلك ينبعث في كل حين من عالم الطبيعة الى عالم الملكوت العقلي و يحشر الى الملاء الاعلى و يوجد بدلها نازلا الى الفلك من ذلك العالم، وهكذا يتواردا امثال النفسانية و يتجدد الاشكال والاوزاع والطبايع والمواد الجسمانية في هذا العالم في كل وقت، و تنشأ الاخرة من الدنيا الى ان يرث الله الارض و من عليها والله خير- الوارثين، والخلق غافلون عن ذلك، لتشابه الامثال، كما قال الله تعالى: «افعيينا بالخلق الاول، بل هم في لبس من خلق جديد» ومن ههنا يعلم ان العالم حادث

كله افلاكه و كواكبه و بسايطه و مر كباته حدوثاً زمانياً، وان اشخاصها الفلكية والعنصريه كلها متبدلة، اما الفلكيات فعلى نهج الاتصال، واما العنصرىات فعلى نهج الانفصال، و صورها العقلية ثابتة عند الله باقية فى علم الله، فان علم الله مصون عن التغير والتصرم، كما قال تعالى: «ما عندكم ينفدو ما عند الله باق» و هى كلمات الله التامات التى لا تبديد ولا تنفد، وقال تعالى: «لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي و لو جئنا بمثله مداداً» .

والحاصل، ان كل حركة سماوية شوقية دورية يحصل للمتحرك بها فى كل آن وضع جديد يفيض بذلك الوضع على نفسه من مبدئه العقلى المتشوق اليه صورة عقلية هى كماله و اشراق نورى توجب لها بقاء بعد فناء و حياة جديدة بعد موت و ليساً بكمال بعد خلع فيتجدد منه حركة اخرى و شوق جديد الى كمال آخر، فينطبع من تلك الصورة العقلية فى قوتها الخيالية صورة حيوانية جزئية اخرى مع لذة جزئية اخرى، فينبعث منها شوق جزئى و اهتزاز و طلب لوضع جزئى يحاكى به الصورة النفسانية المحاكية لتلك الصورة العقلية، فيتخصص بذلك الوضع الارادة الاولى الكلية فى ذلك الوقت المعين و ينزل بحسب كل وضع شخصى و ارادة جزئية من تلك المبادئ العقلية ثم النفسانية على مواد هذا العالم بحسب استعداداتها المتعاقبة التابعة للاوضاع السماوية صور تتكامل بها تلك المواد و يتهيأ لقبول الصور التالية لهذه الصور الحاصلة التى سيحدث بالوضع اللاحق السماوى لهذا الوضع الحاصل، و على هذا القياس يتعاقب الحركات و يتوارد الاوضاع فيتوالى الصور على جواهر السموات و يتلاحق اتصال النفوس بغاياتها و معشوقاتها العقلية، ففى كل آن لها حشر جديد و قيامة ساعة قائمة و رجوع الى الله .

عقدة وحل

فان قيل: كيف يكون الحركة المتقدمة علة للمتأخرة و الوضع السابق علة للوضع اللاحق، و العلة يجب ان يكون مع معلولها، و الحركة المتقدمة

لا تبقى مع الحركة المتأخرة، والوضع السابق لا يبقى مع الوضع اللاحق .
 قلنا: ان النفوس المحركة لها ارادة كلية سابقة لحركة دائمة لغرض عقلي دائم، ولها ارادة جزئية من نقطة كذا الى نقطة كذا، اى من وضع شخصى الى وضع شخصى آخر، والارادة علة للحركة، والحركة علة للوصول الى ذلك الوضع والى الغرض الجزئى الاخر، فلا يزال الوصول مع الارادة الكلية علة للارادة الجزئية لغرض جزئى آخر، ولا يتوقف ارادة جزئية على نفس تلك الحركة التى توقفت عليها - وان توقفت على غيرها من نوعها - والالزم الدور المستحيل، ولا يتصرم الارادة الكلية السماوية و ان تصرمت جزئياتها، ويدل دوامها على دوام السماوات وتترهما عن الكون والفساد، وعلى هذا الوجه من جهة التضاد بين المتفاسدات من الكائنات كما دل على ذلك قوله تعالى: « فالذين عند ربك يسبحون الليل والنهار وهم لا يسأمون » وقوله: « يسبحون الليل والنهار لا يفترون، ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ».

وهم و انارة

و لعلك تقول تجدد الالزم و دثوره دليل تجدد الملزوم و دثوره ، كما ان عدم الالزم مستلزم لعدم الملزوم، ولا شك ان ارادة الفلك و حر كته و وضعه لازم لطبيعته و نفسه، و اذا تجددت الارادة والحركة والوضع، فبالضرورة يكون للفلك فى كل وقت نفس اخرى وطبيعة اخرى و وجود اخر، فلما لم يكن لكل فلك الا ذات واحدة ثابتة لها، و وجود واحد شخصى، فلا محالة لم يكن لها من ماهية كل لازم الاشخص واحد مستمر بالعدد. و ايضا : لما يلزم من تبدل الالزم تبدل الملزوم، فيلزم ان يكون عالم الاجرام الفلكية عالم - الكون والفساد .

فنقول : لما كان تجدد النفوس الفلكية وطبايعها على نعت الاتصال و المتصل الواحد موجود بوجود واحد ضرباً من الوحدة، وان كان على سبيل التدرج، وكذا اوضاع الفلك وضع واحد متجدد نسبة ذلك الواحد الى المتجددات

الوضعية كنسبة الحركة التوسطية الى الحركة القطعية، فهكذا طبيعة الفلك شخص واحد من حيث لها وحدة مستمرة جامعة محفوظة بواحد عقلي هو عقله المدبر له المقيم لنفسه باذن الله تعالى، و ان كان له في كل وقت تشخص آخر، فبذلك الواحد العقلي والحافظ القدسي صح القول بان الفلك له ذات واحدة باقيه غير دائرة و لا كائنة فاسدة، فيكون له في كل آن هوية اخرى غير الهوية السابقة، وصح القول بانه يحدث في كل آن منه شخص آخر لابقاء له في زمانين، ولهذا اطبقت الشرايع الحققة في القول بحدوث العالم جملة لانه في كل آن يحدث منه شخص غير الذي كان قبله و بعده .

و بالجملة ، فالعالم العقلي مصون عن التغير والفساد، و لكل موجود في عالم الطبيعة صورة باقية في القضاء الالهى و اللوح المحفوظ عن المحو والزوال، و له صورة ادراكية فى كتاب المحو والاثبات، و له ايضاً صورة اخرى مادية غير ادراكية فى المادة الهيولانية التى من شأنها الدثور والاضمحلال، و هى القدر الخارجى، و الاولى هى القدر العلمى، و كل منهما قابل للتغير و التبدل، ففى الاولى المحو والاثبات، و فى الاخرى الكون والفساد، و هكذا عند المحققين. و عند بعضهم، ان القدر هو الثانية دون الاولى، و يرون ان المحو والاثبات لا يكونان الا فى المواد العنصرية، و الصور الجزئية المنطبقة فى الفلكيات ثابتة ابدأ بحالها من غير استحالة، و التحقيق يصادمه من جهة العقل و القرآن جميعاً. و قوم جوزوا المحو والاثبات فى الصور الادراكية الفلكية دون الصور المادية الخارجية. و نحن باذن الله و توفيقه نرى، ان - المحو والاثبات فى نفوسها و فى اجرامها جميعاً فيقع فى الواح نفوسها المحو والاثبات اولا و يتبعها الكون والفساد فى مواد اجرامها ثانيا، ثم فى ساير المواد الجزئية العنصرية، و لاشك ان الثانى لازم للاول و كذا الثالث للثانى. و من نظر الى احوال عقله و نفسه و بدنه نظراً وجدانياً، يجد ان عقله امر ثابت من اول العمر الى آخره، و ان كلا من نفسه الحيوانية و بدنه الطبيعى فى التبدل و السيلان، و كما ان بدنه الطبيعى لاجل الحرارة الغريزية و الخارجية فى الذوبان و الاستحالة و السيلان، فكذلك هوية نفسه الجزئية الحيوانية المدركة

بادراك حضوري المشعور بهاله على الوجه الجزئي ليست الامتجددة، حتى ان الحاضر الان من ذاته الشخصية ليس بعينه هو الهوية العينية الحاضرة له فيما سبق من الزمان. فاذاً نعلم جزماً بان مع حكمنا باستمرار ذاتنا ضرباً من الاستمرار، ان هويتنا الحاضرة عندنا الان غير هويتنا التي كانت منذسنة، كذا ايام الصبي والشباب، وان هذا الحضور غير ذلك الحضور وان هذا الحاضر الان غير ذلك الحاضر من قبل، اذندرك نفسنا التي الان بعلم شهودي وجودي، والتي كانت حاضرة لنا في الامس مثلاً ندرك نحو وجودنا الامسي بعلم ذهني حصولي. نعم نعلم استمرار ذاتنا على نعت الاتصال التجديدي، ولنا كتاب حفيظ يحفظ السابق واللاحق والغايب والحاضر من هويتنا وهو جوهرنا المنطقي، و كأن شيئاً من هذا الامر لاح - لبهمنيار - حيث انكربقاء الذات في الانسان وباحث مع شيخه - ابي علي بن سينا - في ذلك الا انه لم يسهل له التفصي عما ذكره الشيخ في المفاوضات بينهما بقوله: فلست انا المسؤول عنه، فلم يلزمني جوابك.

و كان بهمنيار ان يقول له ان للنفس الانسانية مرتبتان في الوجود : احديهما، متصلة بالطبيعة البدنية والاخرى متصلة بالجوهر العقلي مستمدة منه، فبوجهها الذي يلي الطبيعة ويتعلق بالبدن وتدر ك الجزئيات الزمانية، يكون متبدلة غير باقية، وبوجهها الذي يلي العقل، تكون ثابتة باقية مستمرة، وحالها تين المرتبتين من ذات الانسان كحال الحركة التوسطية المستمرة والحركة القطعية المتجددة.

وبالجملة العالم العقلي محفوظ عن التغير والانقطاع، والعالم الطبيعي متجدد كاي فاسد، والنفس مترددة بين العالمين، و لها وجه الى الطبيعة ووجه الى العقل، فبوجهها الطبيعي تدر و تضمحل، و بوجهها العقلي يحشر الى عالم العقل و مأوى الارواح و يرجع الى الله تعالى.

حكمة عرشية

اعلم ان السابقين الاولين من الفلاسفة الكاملين، كأرسطو واتباعه،

رأوا ان نفوس الافلاك منطبعة لاغير، والمتأخرون منهم كابي على بن سينا و
من يحذو جذوه، ذهبوا الى انها مجردة فقط. وبعض المتأخرين رأى ان الفلك
ذانفسين، احدهما، منطبعة والاخرى مجردة.

والذى لاح لهذه الفقراء بنور الهداية الربانية، ان لكل من الافلاك
هوية واحدة نفسانية جامعة لمرتبتى التجرد والتجسم، فلها نشأتان: احديهما،
عقلية باقية عندالله، والاخرى، نفسانية جزئية متجددة فى كل وقت. فبالنظر
الى الجهة العقلية قالت الفلاسفة: ان العالم قديم، وبالنظر الى هويتها المتجددة
قالت اصحاب الشرايع الحققة: ان العالم حادث. والقول الفصل هو الذى نطق
به الكتاب الالهى: «ما عندكم ينفد وما عندالله باق» ولو اجتمعت فصحاء العالم
كلهم على ان يأتوا بمثل هذا الكلام الفصيح المعرب عن هذا المعنى اللطيف
والمطلب الشريف على هذا الوجه من الوجازة والبيان، لما قدر واعلى ذلك
«والله يقول الحق وهو يهدى السبيل» .

تعليم تمثيلى

اعلم ان صورة العالم كصورة الانسان، فكما ان لافعال الانسان من
لدى صدورها منه وبروزها من مكنن غيبها الى مظاهر شهادتها اربع مقامات
و مراتب، لكونها اولا فى مكنن روحه الذى هو غيب غيوبه فى غاية الخفاء
والبطون كانه غير مشعوره، ثم يتنزل الامر منه الى عين قلبه عند استحضارها
واخطارها بالبال كلية، ثم يتنزل الى مخزن خياله ولوح قدره مشخصة جزئية،
ثم يتحرك اعضائه عند ارادة اظهارها فى الخارج فيظهر فى مادة جسمانية ذات
وضع شخصى، وهذا آخر تنزلاتها. فكذلك لما يحدث فى هذا العالم من
الحوادث، اذالمقام الاول بمثابة القضاء البسيط الاجمالى، والثانى بمثابة صور
اللوح المحفوظ ومعدنه العرش الاعظم، والثالث بمثابة نقش القدر ومحل السماء
الدنيا اعنى السموات السبع من حيث نفوسها الانطباعية الخيالية على ما نراه،
والرابع بمثابة الصور الحادثة فى المواد الخارجية. ولا شك ان النزول الاول

لا يكون الا بارادة كلية، والنزوال الثانى بارادة جزئية تنضم الى الارادة الكلية، فيتخصص و يصير جزئية، فينبعث بحسب ملايمتها و منافرتها رأى جزئى و شوق جزئى يستلزم ارادة جازمة داعية الى اظهارها فى الخارج، ويبرز من الغيب الى الشهادة. فحركة الاعضاء بواسطة الاعصاب والرباطات فى الانسان الصغير، بمثابة حركة السماء بواسطة الاشعة والانوار فى الانسان الكبير، وظهور الفعل فى الخارج هو القدر الخارجى، و كما ان سلطان الروح الكلى الذى هو روح العالم الكبير لا يكون الا فى العرش، فهو من عالم الكبير بمنزلة الدماغ منا، و كما ان مظهره الاول فينا هو القلب الذى هو منبع الحياة والحرارة الغريزية، فكذلك مظهره فى العالم هو الفلك الرابع الذى ارتكز فيه الشمس، وهى سلطان الكواكب النورية ومعطى الاضواء والانوار الحسية ومنبع حيوة العالمين، فهى من العالم بمنزلة القلب الصنوبرى منا. واما القلب المعنوى الذى هو محل الايمان و المعرفة والحكمة و هو المذكور فى لسان الشريعة والقرآن كقوله تعالى: «لمن كان له قلب اولقى السمع و هو شهيد» و قوله: «فويل للقاسية قلوبهم» وقوله: «ولما يدخل الايمان فى قلوبكم» فهو النفس الناطقة من الانسان لتقلبها فى الاطوار، و كونها تارة مع الطبيعة، وتارة مع العقل، وهى متجاذبة الى الجانبين، مترددة بين النشأتين، كما ورد فى الحديث عن النبى، صلى الله عليه وآله وسلم: «قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن يقبلها كيف يشاء» وروح هذا الفلك الرابع بمنزلة النفس الحيوانية منا المتعلقة بالبخار اللطيف الدخانى المنبعث من القلب الذى حيوته، كانه ذاتية كالا اجسام الاخروية التى حيوتها ذاتية لاواردة عليها من خارج، كما سينكشف فى مباحث المعاد وبهذا الروح يحيى جميع الاعضاء و هو كجرم الفلك، ولذلك وصف الله السماء بالدخان لنطافته، وقبوله النارية والنورية بسرعة، وهو، اى الفلك الرابع البيت المعمور المشهور فى الشريعة انه فى السماء الرابعة الذى اقسام الله به فى التنزيل فى قوله: «والطور و كتاب مسطور فى رق منشور والبيت المعمور والسقف المرفوع والبحر المسجور» و لهذا جعلت مقام عيسى روح الله، و كانت معجزته احياء الموتى لغلبة روحانيته وتجرده وقوة حياته ونورانيته. والطور يراد به العرش،

والكتاب المسطور بالقلم الاعلى، هو صورة القضاء الاول البسيط الثابت في الروح الاعظم الاول، والرق المنشور هو النفس الكلية المدبرة للعالم، والسقف المرفوع هو السماء الدنيا على المعنى الذي سبق. فان هذه السموات الجسمانية بازاء سموات عقلية روحانية في العالم الاعلى العقلي، فهي السموات العلى في الحقيقة. اذ لا شك ان عالم الاجسام كله بالنسبة الى عالم الروحانيات بمنزلة الارض السفلى والمنزل الادنى، والبحر المسجور هو بحر الهيولى انسيالة الممتلية بالصور الطبيعية الكاينة الفاسدة المتواردة عليها على التعاقب كما موج البحر، وانما وصف بحر الهيولى بالمسجور، لان هذه الطبايع الجسمية والصور الكونية باطنها نار الجحيم وهي نار كامنة في كل جسم، وان كان مثل الماء والارض والجبال، الا انها منغمرة في بعضها بحيث لا يبرز الا بجهد جهيد وتحريك وسحق شديد، بخلاف البعض الاخر و لذلك ما من جسم طبيعي الا وينقلب الى النار بالحركة والتلطيف والخضضة، و اهل الكشف يشاهدون النار الكامنة في بواطن الاجسام الطبيعية كلها رطبها ويابسها وباردها وحارها، ويرون النار الاخروية في باطن جواهر الدنيا، كما قال تعالى في حق آل فرعون: «اغرقوا فادخلوا ناراً» وقوله: «ادخلوا آل فرعون اشداً العذاب» وعن بعض الصحابة رأى بحراً فقال يا بحر، متى تصير ناراً؟

المشهد الثالث

في دوام الهيته وجوده ورحمته و كيفية صنعه و ابداعه و فيه قواعد:

قاعدة

اعلم ان جماعة من المتكاسين الخائضين فيما لا يغيثهم، زعموا ان
اله العالم كان في ازل الازال ممسكاً عن وجوده وانعامه، واقفاً عن فيضه واحسانه،
ثم سرح له في ان يفعل، فشرع في الفعل والتكوين والتقويم، فخلق هذا الخلق
العظيم الذي بعضه مكشوف بالحس والعيان وبعضه معلوم بالقياس والبرهان.
و هذا الرأي من سخييف الراء ومن قبيح الاهواء، فان صفات الحق تعالى عين
ذاته وكمالاته الفعلية التي هي مبادئ افعاله كالقدرة والعلم والارادة والرحمة
والجود كلها غير زائدة على ذاته تعالى، وكذا الغاية في فيضه وجوده، والداعي
له على ذلك ليس الا نفس علمه بالنظام الاكمل الذي هو عين ذاته، فان ذاته
هو النظام المعقول الواجب الذي يتبعه النظام الموجود الممكني، لا كاتباع
الضوء للمضيء واتباع السخونة للجوهر الحار. والذي دعاهم الى هذا الظن
القبيح المستنكر، ما توهموا ان حدوث العالم حسبما اتفق عليه اهل الشرايع
الحقة من اليهود والنصارى والمسلمين تبعاً لاجماع الانبياء عليهم السلام،
يستدعي ذلك، ولا يستصح الابنسية الامسك عن الجود و تعطيل الفيض الى الله
المعبود. وقد اوضحنا السبيل واقمنا الدليل كما استتقف انشاء الله تعالى حسبما
فصلنا في كتبنا ورسائلنا، على ان العالم بكله وجزئه حادث زمني، و ذلك

لاينافى كونه تعالى قائماً بالقسط والعدل والجود والكرم ازلا و ابدأ .

و ربما توهموا ان مختاربه تعالى اوجبت تجددالفاعلية واستيناف الفعل بعد مالم يكن. و هذا ايضاً من تلفيقات الاوهام و مختلقات الذهن التي من قبيل اضغاث الاحلام، فان اختياره جل ذكره اجل و ارفع من النمط الذي تصوروه من طرفى الجبر و الاختيار، اذ لم يفهم جمهورهم من الجبر الا فى الطبايع العديمة الشعور، و لامن الاختيار الا فى القصد الذى يكون فى الحيوان بعد حصول الداعى عقيب القدرة التي شأنها القوة الامكانية المتساوية نسبتها الى الضدين و الطرفين، و هذه لا يوجد الا فى الناقصين فى القدرة المفتقرة فى كونها مبدأ للفعل الى انضمام الداعى من الخارج. و اما القدرة الازلية فليست كما زعموه و جلت و تقدمت عما اعتقدوه فى حقها، لانها عين الارادة و عين الداعى الذى هو علمه تعالى بالكل على الوجه الاتم الاعلى، فهو تعالى بنفسه قادر مريد خالق لما يشاء كيف يشاء فاعل لما يريد كيف يريد فكان خالقاً لم يزل و لا يزال، فاعلا للعالم كما يعلم فى الابد و الازال، فيكون الخلق قديماً و المخلوق حادثاً و العلم قديماً و المعلوم متجدداً، و كذا الارادة و الافاضة و الرازقية كلها مستمرة ازلية، لكن المرادات و المفاضات و الارزاق حادثة متجدة «ولن تجدلسنه الله تبديلاً» لعدم تغييره فى ذاته و كمالات ذاته و ما يقتضيه صفاته الكمالية «ولن تجدلسنه الله تحويلاً» اذ لا محول لفيضه و اعطائه و لا مبطل لقيوميته و انشائه و لا مبدل لكلماته. قوله: «لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم» و قوله: «لا يبدل القوى لى» و قد علمت ان قوله ابداعه و امره كلمته و تكوينه. و قوله: «ومن آياته ان تقوم السماء و الارض بأمره» و امره دايم، و الامر الدائم لا يتغير و لا يوجب تغيير الأمور فى ذاته تغيير الامر، كما لا يوجب تغيير الامر لان الامر من عالم الالهية و البقاء و الأمور من عالم الخلق و الفناء و الدثور .

و اياك ان تشتهه عليك و تلتبس ما قرناه من تجدد الخلق و التكوين مع بقاء الامر و الابداع بكلام الاشاعرة، اتباع ابي الحسن الاشعري، حيث قالوا: ان العلم قديم و التعلق حادث و كذا القدرة قديمة و تعلقها بالمقدورات حادثة.

فستان بين ما ذكره وبين ما قررناه فان الذي تخيلوه لا يمكن تصحيحه على نمط البيان العلمى، لان مبناه على الارادة الجزافية التى ذهبوا اليها، وعلى ابطالهم القول بالعلة والمعلول. و ايضا : كون العلم والقدرة و غيرهما من الصفات التى تلزمها الاضافة قديمة ومتعلقاتها حادثة غير معقولة بناءً على مذهبهم من انقطاع الفيض وتخصيص آن من الانات باول الحدوث. وكذا قول جمهور قدماء المعتزلة بكون علمه تعالى بالاصح علة مقتضية لوجود العالم فى الوقت الذى وجد فيه دون غيره من الاوقات، وليس يلزم من هذا تخلف المعلول عن العلة المقتضية، لان الذى اقتضاه العلم بالاصح هو وجود المعلول على هذا الوجه، فلم يلزم تخلف اصلا. وكذا قول بعضهم بان الداعى ذات الوقت على سبيل الاولوية او على سبيل الوجوب، اذ لا وقت قبله ونحو ذلك من الملفقات الكلامية التى لا جدوى فيها الاتضيق الوقت. فان كون الصفات الفعلية قديمة والاثار اللازمة حادثة انما يستقيم ويستثبت اذا كان نحو وجود الخلق والمواد الجسمانية وطبايعها متجددة منقضية بحيث لا بقاء لها زمانين، لان شأنها التجدد والحدوث وما هيتهما يقتضى الزوال والانصرام والانقضاء، كالحركة والزمان، لكن معنى الحركة نفس المعقول من تجدد شىء وخروجه من القوة الى الفعل تدريجاً بالمعنى الذهنى المصدرى .

واما الذى كلامنا فيه فهو نفس الموجود الذى وجوده بعينه يخرج من القوة الى الفعل على التدريج، و هو من مقولة الجوهر الذى يقع فيه و به الحركة الذاتية والحدوث والتجدد من لوازمه الغير المجعولة بجعل مستأنف يتخلل بين الشىء وموصوفه، فالجاعل القديم بقدرته القديمة وبنحو ثباته يفعل الجوهر الجسمانية، وهى من حيث اصل ذاتها و ثبات وجودها الذى هو عين الحدوث والتجدد مرتبطة بالفاعل و بقدرته التامة، و لالمية لها فى نحو حدوثها وتجددها اذ لا يتصور لها وجود خارجى الاعلى هذا النحو فلا صنع للفاعل الا فى افاضة الوجود عليها على الوجه الاتم الابلاغ، لا فى كونها حادثة الوجود ناقصة الكون متجددة الهوية و الذات، اذ الذاتى لا يعلل، فعلى هذا الوجه صح القول بان القدرة والارادة والجود ازلية والعالم حادث، لاعلى

ما لفقوه، كما لا يخفى على ذى بصيرة. قوله: «ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا، ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده» قوله: «خالدين فيها ما دامت السموات والارض» وقوله: «عطاء غير مجدون» وقوله: «وما كان عطاء ربك محظوراً» .

قاعدة

فى تحقيق كلماته التامات

اعلم ان بين البارى جل مجده وبين العالم وسائط نورية واسباباً فعالة هى كانهما فوق الخلق ودون الخالق، لانها حجب الهية وسرادق نورية واضواء قيومية كأضواء هذه الشمس المحسوسة، كانهما برزخ بين الذات النيرة وبين الاشياء المستنيرة بها، وتلك الوسائط قد يعبر عنها بكلمات الله وبالكلمات التامات كما ورد عنه صلى الله عليه وآله فى الادعية والاذكار «اعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، وقوله: اعوذ بكلمات التامات التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر كل شيطان مرید» وانما وقعت الاستعاذة من الشرور بكلمات الله، لانها من عالم الامر، وهو خير كله لاشرفيه، وكل ما فى عالم الخلق كالأجسام وعوارضها اللازمة والمفارقة كلها مملو بالشرور والنقايس والافات. قوله: «لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مداداً» فالكلمات اشارة الى ذوات نورية بها يصل فيض الوجود الى الاجسام والجسمانيات، والبحر اشارة الى هيوالى الاجسام التى شأنها القبول والتجدد. وانما يتلاحق استعداداتها بتجدد الفيض بحسب تواردانفعالاتها واستعداداتها، وانما يتلاحق استعداداتها بمدد بعد مدد من العوالى، فشان المواد النفاذ والانقطاع، وشان الكلمات الافاضة بعد الافاضة، ولشك ان الوسائط هويات وجودية بسيطة وذوات مجردة عن المواد الجسمية مرتفعة عن عالم الازمنة والامكنة، وكل مجرد امر روحانى وجوده عين العلم والادراك، فهى لامحالة عقول قدسية وارواح عالية، قال الله

تعالى : « وكلمته القاها الى مريم وروح منه » وهي متصلة بالحق الاول اتصال الشعاع بالشمس، ولهذا اضيفت اليه تعالى بقوله : « وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً، لا مبدل لكلماته » و انما وصفت بانها تامات، اذ جميع مالها من الكمال هو بالفعل، ليس فيها شوب قوة استعدادية ولا كمال ينتظر ولا احوال مترتبة الحصول. و قد يعبر عنها بعالم الامر كما يعبر عن الاجسام ومامعها بعالم الخلق، قال تعالى : « الا له الخلق والامر » فجميع ما في عالم الاجسام انما يصدر عن المبدأ الا على بواسطته. وقد يعبر عنها بقوله تعالى : « انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون » و قال : « لقد حق القول على اكثرهم فهم لا يؤمنون » و الاسماء متكثرة و المسمى واحد باعتبار حيثيات مختلفة، فمن حيث يقع بها اعلام الحقايق من الله، يقال لها الكلمات، و من حيث يجب بها وجود الكائنات كل في وقته، يقال امر الله و قضاؤه الحتمي، و من حيث يكون بها حياة الموجودات يقال لها روح « قل الروح من امر ربي » و هي في ذاتها واحدة « وما امرنا الا واحدة » و انما يتعدد، بتعدد انواع الاثار « و اوحى في كل سماء امرها » او باعتبار جهات فيضانها على الاشياء، او باعتبار تعلقاتها بها، فيتكثر بتكثرها، كالوجود حقيقة واحدة تتكثر بتكثر الماهيات، لابان يكون للمهيات تأثير في الوجود، بل باعتبار اتحاد المهية بالوجود.

و بالجملة كلمات الله امر موجود روحاني مؤيد للانبياء بالوحي ، قال الله : « و كذلك اوحينا اليك روحاً من امرنا » و ملهم للاولياء بالكرامة، و محيي لقلوب السالكين من المؤمنين بالايمان، و ايدهم بروح منه، و هو والد نفوس المكرمين، « و كلمته القاها الى مريم وروح منه » و هذا هو الروح نفوس المكرمين، « و كلمة القاها الى مريم وروح منه » و هذا هو الروح العلوي الذي قيل : انه لم يقع تحت ذل كن. لانه نفس كلمة كن، و هو بعينه نفس الامر، لانه امر الله الذي به يوجد الاشياء، و لاشبهة في ان قول الحق و كلامه فوق الاكوان و اعلى منها، اذ بها يقع الفعل و التأثير و التكوين. فكيف يقع تحت الكون و قال : « و كلمة الله هي العليا » .

قاعدة

فى ان الله سبحانه فاعل لما سواه و موجد لما عداه على اربعة انحاء:

الاول، الابداع و هو ايجاده لافعال تولاهها بذاته، وهى الابداعات. و معنى الابداع هو ايجاد الشئ عن العدم، اى ايجاده لامن شئ، لست اقول من لاشئ واليه اشار بقوله: «بديع السموات والارض» وقوله: «انما امره اذا اراد...».

والثانى، التكوين، و هو ايجاد افعال استعبد فيها ملائكته و سماها قوم: التكوينية.

والثالث، التدبير وهو اخراج الشئ من النقص الى الكمال اخراجاً غير محسوس، و هو معنى الربوبية، كقوله «الحمد لله رب العالمين» و قوله: «رب السموات والارض» وبذلك وصف الله تعالى ملائكته بقوله: «فالمدبرات امرأ». فالمقسمات و هم ثلاثة اضرب: ضرب اليهم القيام بالاجرام السماوية، و قيل هم اسرافيل و ميكائيل و جبرئيل و رضوان والمحتفون بالعرش الموصوفون بقوله: «حافين من حول العرش» وقوله: «الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم» و ضرب اليهم تدبير الاركان الهوائية، كالملائكة الباعثة للرياح والموجبة للسحاب الموصوفين بقوله «ويسبح الرعد بحمده و الملائكة من خيفته» و كما وصفه النبي صلى الله عليه وآله فى صفة الجنين «انه تعالى يبعث ملكاً فينفخ فيه الروح» و كالحفظة كما فى قوله: «له معقبات من بين يديه و من خلفه يحفظونه من امر الله» و قوله: «يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين...» الى قوله: «يمدكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين».

والرابع، التسخير، و هى افعال سخر الله تعالى لها موجودات هذا العالم، كالاضاءة للشمس والانارة للقمر والاحراق والاذابة للنار والترطيب للماء، وبالجملة ما سخر الله له شيئاً من الاجسام كالافلاك والعناصر والجمادات والنباتات وغير ذلك. و نبه عليه بقوله «و سخر الشمس والقمر» و قوله:

« و سخر لكم الفلك لتجرى فى البحر و سخر لكم الليل والنهار » الى غير ذلك من الايات .

الخامس، الصناعة و هى المهنة و هى التى استعبد الانسان فيها و استخلفه، وهى الاشياء التى يحتاج صنعة اكثرها الى ستة اشياء. الى عنصر يعمل منه، والى مكان، والى زمان، والى حركة، والى اعضاء، والى آلة. وهذا الضرب خص الانسان به ولم يستصلح لها الملائكة كما استصلح الملائكة لامور لم يستصلح لها الناس، و جعل لكل ملك مقاما معلوماً « ومامنا الاله مقام معلوم » و كذا جعل لكل من اصناف الناس مقاما معلوماً كما نبه بقوله: « قل كل يعمل على شاكلته » و قوله: « كل حزب بما لديهم فرحون » و قوله صلى الله عليه وآله: « كل ميسر لما خلقه » و لكن عامة الملائكة، لا يعصون الله فى ما امرهم، و يفعلون ما يؤمرون، لبساطتهم و عدم تركبهم من امشاج. والناس فيما امروا و كفوا بين مطيع و عاص، فهم على القول المجمل ثلاثة اضراب: ضرب اخلوا بامرهم و انسلخوا عما خلقوا لاجله و اتبعوا خطوات الشيطان و عبدوا الطاغوت. و ضرب وقفوا بغاية جهدهم حيثما وقفوا كالموصوف بقوله: « وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هوناً ». و ضرب تردوا بين الطريقين كما قال: « و خلطوا عملاً صالحاً و آخر سيئاً » فمن رجح حسناته على سيئاته، فهو موعود بالاحسان اليه. و على الانواع الثلاثة دل بقوله: « و كنتم ازواجاً ثلثة، فاصحاب اليمينية ما اصحاب اليمينة » و على هذا قسم فى آخر السورة و قال: « فاما ان كان من المقربين، فروح و ريحان و جنة نعيم... ».

و كثير من الناس يعصون الله و لا ياتمرون له و لكن يستعملهم الله تعالى بغير ارادة للسعى فى تصرفه من حيث لا يشعرون، كفرعون فى اخذ موسى ابناً له و تربيته اياه، و كجمعه السحرة فى ايمانهم بالله و بموسى، و كاخوة يوسف فى فعلهم بيوسف ما افضى به الى ملك مصر و تمكنه مما مكن فيه، و يكون مثلهم فى ذلك كما قيل:

قصدت مسائتى فاجتلبت مسرتى و قد يحسن الناس من حيث لا يدرى
فيكون فعله محموداً و فاعله مذموماً، كما قيل: رب امرء اناك لا يحمد
الفعال فيه و يحمد الافعال .

قاعدة

فى عالم امره تعالى.

اول الصوادع عن ذاته تعالى بذاته يجب ان يكون اشرف المكنات و افضل المفطورات و اكرم المربوبات، و هى الصور المجردة الالهية والانوار المفارقة العقلية دون شىء من الجواهر الجسمانية وطبايعها وقواها التى هى من عالم الظلمات و معدن الشياطين والشور والافات ، فان الواهب الحق والجواد المطلق لا يترك الاشرف ويفعل الاخس، بل يجب ان يصدر من فيض جوده الاشرف فالاشرف الى ان ينتهى الى الاخس فالاخس، فما من شىء من الممكنات سواء كانت شريفاً او خسيساً، عالياً او دنياً، روحانياً او جسمانياً الا ويجب ان يسع اليه رحمته ولا يقصر رداء جوده و كرمه ان يشمله، اذ لا منع فى فاعليته ولا راد لقضائه ولا قصور فى احسانه ولا دافع لامره، لكن يجب فى قضية البرهان ان يصدر عنه الاشياء على حسن الترتيب والنظام وجودة الهيئة والتمام على حسب توسيط وسايط فى جوده و وسايل لكرمه و فيض وجوده ، عبر عنها تارة بالملكوت لقوله : « و كذلك، نرى ابراهيم ملكوت السموات و الارض ليكون من الموقنين » و تارة باليمين المقدس « والسموات مطويات بيمينه » و تارة باليد المبسوطة المنسوبة اليه تعالى « يد الله فوق ايديهم »، قالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا، بل يداه مبسوطتان، ينفق كيف يشاء » و تارة بالاعين الالهية « واصنع الفلك باعيننا ووحينا » و تارة بمفاتيح الغيب « وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو » و تارة بالخزائن لاختران الصور العلمية فيها « وان من شىء الا عندنا خزائنه » و تارة باسمه تعالى « تبارك اسم ربك، سبح اسم ربك » و تارة بجنود الرب « و ما يعلم جنود ربك الا هو » لانها مرتفعة الذوات عن ان يحيط به ادراك الجن والانس ولذلك قال « ويخلق ما لا تعلمون » و اليهم الاشارة بقوله : « و ما لا تبصرون » .

والعقل الاول اول ما يفتح به باب الفيض والابداع، ونسبته الى سائر الجواهر الروحانية نسبة آدم الى اولاده. و قال النبي صلى الله عليه و آله :

« اول ما خلق الله العقل » وهذا العقل له وجه الى الحق، لانه يجب به وجوده، ووجه الى ذاته، لانه هوية صادرة عن الحق الاول مغايرة له، فلا بد له من ان يتضمن معنى النقص والامكان، والالم يكن بين المفيض والمفاض عليه فرق، فلتضمنه جهة الخير والوجوب يصدر بواسطته عقل آخر دونه في الرتبة، ولتضمنه معنى النقص والامكان، يصدر منه جوهر جسماني فيه الامكان الاستعدادي، وهو اول الافلاك واعلاها، وهكذا صدر عن كل عقل بحسب جهتيه جوهر قلبي و جرم سماوي، الاشرف من الاشرف، والاخس من الاخس، حتى استوفى عددا الكرات الى فلك القمر، و عددا العقول الى عقل اخير. والحق انها متكثرة جداً حسب تكثر الانواع الطبيعية، حتى يكون لكل كرة سماوية او كوكبية و لكل نوع من الطبائع النوعية البسيطة كالنار والهواء والماء والارض، والمركبة كانوا المعادن والنباتات والحيوانات، عقل فعال ذو عناية وتدبير و حفظ لافراد ذلك النوع.

ففي عالم الارواح العقلية كثرة وافرة خارجة عن احصائنا و ضبطنا لا يعلم عددها الا الله كما قال : « وما يعلم جنود ربك الا هو » واليهما الاشارة بقوله تعالى « والصفات صفاً فالمدبرات امرأ » وقوله « السماء بنيناها بايد... » وقوله: « وخلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاماً » فللحق الاول ايد عمالة فعالة لاجوارح جسمانية، بل ذوات نورية هي وسائط جوده وجهات فاعليته، و افاضته على الاشياء وهي كانها في طريق الايجاد مباد فعالة لهذه الانواع، فهي كما انها مباد لوجود طبائع الاشياء وحر كاتها، كذلك هي غايات لوجود هذه الطبائع و استكمالاتها، بها يتم ذواتها و يكمل وجوداتها، ولاجلها يفعل آثار حر كاتها و استحالاتها، و بها يتم النظام و يكمل الخلق، و للتشوق اليها يدور الافلاك ويتواجد الاملاك ليلا ونهاراً، سراً و جهاراً، وبسبب ذلك تعمر الدنيا و يدوم الحرث والنسل « صنع الله الذي اتقن كل شىء » اشارة الى النظام المحكم و القوام الاتم الادوم، و لاجل وجود هذه المقومات العقلية للانواع الطبيعية كلها قال: « ماترى في خلق الرحمن من تفاوت » واليهما الاشارة بقوله: « والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره، الا اله الخلق والامر » وذلك لان

هذه الطبايع النوعية هي ظلال و قوالب لتلك الذوات النورية والارواح المهيمة العقلية، و هي ظلال و قوالب للاسماء الالهية التي هي عند محققى العرفاء بمنزلة ارباب الارباب لتلك الاعيان الثابتة النوعية العقلية، و تلك الاسماء كلها موجودة بوجود واحد الهى هو الغيب المطلق و غيب الغيوب ، و ما فى هذا العالم شهادة مطلقة.

واما الاسماء والاعيان العقلية و كذا الصور المثالية، فكل منها غيب بالنسبة الى ما تحتها، و شهادة بالنسبة الى ما فوقها. و قد علمت ان امره تعالى يجب ان يكون موجوداً مفارقاً عن الاكوان الخلقية فهو لامحالة متقدم على عالم الاكوان الخلقية «ان فى ذلك لايات لقوم يعقلون» وهم العارفون بكيفية صنعه تعالى فى الابداع والايجاد و ادامته وحفظه للاشياء حسبما يحتمله الاشخاص والانواع، فمنها ما يحتمل الدوام الشخصى ويمكن حفظه بالعدد، ومنها ما لا يحتمل الا الدوام النوعى ولا يمكن حفظه الا بالنوع لا بالعدد، يديمه بالنوع و يحفظ نوعه بالصور العقلية التى حقيقته ثابتة فى صقع عالم الربوبية وبتوارد الامثال التى هى كالاظلال والاشباح. فما من شىء من الموجودات الكونية الا وله ظاهر و باطن، فظاهره قشر ظلمانى، و باطنه لب نورانى على اختلاف الاشياء فى الشرافة والخستة، فالمنسوب الى الله من كل شىء لبه و لطيفه و باطنه النورانى لا قشره و ظاهره الكدر الظلمانى لان الظلمة والكدورة منشأهما العدم والنقصان و منبعضهما الامكان «فسبحان الذى بيده ملكوت كل شىء واليه ترجعون، له ما فى السموات وما فى الارض.» اى لطايفها و ارواحها و لذلك عقبه بقوله : «كل له قانتون».

قاعدة

فى ان جميع الموجودات متوجهة نحو الخير الاقصى و المبدأ الاعلى طالبة للحق، سالكة فى طريقه، مشتاقه الى لقاءه.

قال الله تعالى: «الم تر ان الله يسجد له من فى السموات ومن فى الارض والشمس والقمر والنجوم والشجر والدواب و كثير من الناس»، وهذا سجود

فطرى ذاتى عن تجلٍ وقع من قبل الله لهم، فاحبوه وانبعثوا الى الخضوع له تقرباً
اليه بعبادة ذاتية وحرارة جبليّة نحوّه من غير تكلف. وقال ايضاً «الم تر ان
الله يسبح له من فى السموات والارض، والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه»
فلزم ذلك و ثابر عليه و داوم. و هذا ايضاً تسبيح فطرى و ثناء ذاتى انبعث
عن ذواتهم و بواطنهم التى هى عند ربهم، فيسرى حكم السجود الفطرى
والصلوة الحقيقية والتسبيح الذاتى الى ظواهرهم وامثالهم واطلالهم كما فى
قوله: «اولم يروا الى ما خلق الله من شىء يتفيؤ ظلاله عن اليمين والشمال
سجداً لله وهم داخرون» ومن لطايف كلامه انه قال فى الايتين السابقتين
«الم تر» مخاطباً لنبيه، و فى هذه الاية «اولم يروا» بلفظ الجمع المراد به عامة
الانس و كل عاقل، وذلك لان متعلق الرؤية فيهما هو الله من حيث كونه مسجوداً
ومسبحاً له، و فى هذه متعلق الرؤية ما خلق الله، ولا شك فى ان تلك الرؤية
مرتبة عظيمة مختصة بالنبي صلى الله عليه وآله شهوداً و عياناً، فهى له صلى الله
عليه وآله عيان كشفى، ولنا ايمان علمى، فاشهده الله تعالى سجد كل شىء
و تسبيحه كما اعلنا بمتابعة دينه و كتابه.

وبالجملة دلت الايات ان لهذه الموجودات حتى الجبال والشجر
و الدواب عبادة ذاتية لله و نسك فطرى، ثم قال متمماً لما سبق: «ولله يسجد
ما فى السموات وما فى الارض من دابة» اى ممن يدب عليهما، يعنى اهل السموات
والارض اشارة الى حركتها الذاتية الفطرية حسب ما بيناه بالبرهان. وقوله:
«والملائكة و هم لا يستكبرون» يعنى الملائكة التى ليست فى سماء و لارض
لا يستكبرون عن عبادة ربهم. ثم وصف المأمورين منهم انهم يفعلون ما يؤمرون،
ثم قال: «الذين هم عند ربك يسبحون له بالليل و النهار و هم لا يسأمون»
اى لا يملون، لان مبدئ حركتها و سعيها ليس قوة جسمانية او غاية حيوانية
شهووية او غضبية بل تشوقاً الى الله و تقرباً عنده و تخلصاً من الم فراق و نار
الاشتياق، كل ذلك يدل على ان العالم كله فى مقام الاستقامة على الصراط و
العبودية والخضوع، الاكل مخلوق له قوة الفكر و تسلط الوهم و اغواء
الشیطان، و ليس الا النفوس الانسانية النطقية من حيث اعيان تلك النفوس ،

واما ابدانهم وهياكلهم فهي ايضا كسائر العالم في التسييح والعبودية الذاتية، فاعضاء البدن كلها مسبحة ناطقة، الا ترى انها يشهد على النفوس المسخرة لها يوم القيامة من الجلود والايدي والارجل والالسنه والسمع والبصر وجميع القوى فالحكم لله العلي الكبير .

و من الايات الدالة على الحركات الذاتية للموجودات نحو البارى جل ذكره قوله تعالى : « قل سيروا في الارض، فانظروا كيف بدء الخلق ، ثم الله ينشأ النشأة الاخرة، ان الله على كل شيء قدير، يعذب من يشاء ويرحم من يشاء واليه تعلقون» وقوله : «وله اسلم من في السموات والارض طوعاً وكرهاً، و اليه ترجعون و من آياته ان تقوم السماء و الارض بأمره، ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون» وقوله : «ثم استوى الى السماء ، فقال لها وللارض اثنيا طوعاً او كرهاً، قالتا اتينا طائعين» قوله: «طوعاً» وقع حالا عن السماء في اتيانها، فان حركات السماء ارادية نفسانية تقربا الى الله تعالى، كما بين في مقامه، من ان نفوسها يحرك اجرامها لاجل غايات عقلية و معشوقات قدسية هي اشعة وانوار للهوية الالهية نور الانوار، و لها اتصالات بها و استشراقات بانوارها، و كل منها يتصل بمعشوقه العقلي و يتحد به. و قوله: « كرهاً» اشارة الى حال الارض في اتيانها، فانها لكثافة طبيعتها و بعد مناسبتها لعالم قدس الحق لا تصير صالحة للتوجه الى حضرة الاحدية والعبودية والانابة الى الله الابعد استحالات و انقلابات بالقسر والجبر من جهة قوى محركة خارجية كالغازية و النامية فيصير غذاءاً للنبات مصورة بصورته، ثم للحيوان مصورة بصورته صايرة اياه، ثم يدخل في باب الانسانية و هو باب الله الاعظم ، فاذا دخلت في هذا الباب تطيع الله وتحشر اليه فصارت مطيعة بعدما كانت متعصية، و كذلك كل حركة قسرية فانها تصير بعد اعداد القاسر طبيعية صادرة عن الطبيعة المقسورة، ولهذا قال «قالتا اتينا طائعين» فحال السماء في توجهها الى الله كحال المؤمن الفطري في عبادته وعبوديته، و حال الارض كحال المؤمن الذي كان او لا كافراً، ثم تاب عن كفره و آمن وعمل الصالحات. وقوله: «انا نحى ونميت والينا المصير» وقوله : «لله ملك السموات والارض وما بينهما والينا

المصير» و قوله : «ومن آياته خلق السموات والارض و ما بث فيها من دابة وهو على جمعهم اذا ايشاء قدير» اشارة الى ان جميع ما فى العالم الجسمانى سيعود فى حر كاتها الذاتية الطبيعية والاستحالات الجوهرية والعرضية الى عالم الامر العقلى والمقام الواحد الجمعى. واطلاق الدابة على ما فى السماء من الكواكب وغيرها و على ما فى الارض من المعادن والنباتات وغيرها لاجل انها حيوانات سماوية او ارضية دائمة الدؤب والسعى الى الله، ان ما من جوهر جسمانى ذى طبيعة فلكية او عنصرية الا وله حركة رجوعيه ذاتية الى الله كما قال «يوم تمور السماء موراً، و تسير الجبال سيراً» فالسما و السماوى كالارض والارضى فى هذه الحركة الذاتية كما برهن عليه فى موضعه .

الطرف الثاني

في افعاله سبحانه و كيفية صدورها عنه و رجوعها
اليه تعالى و فيه مشاهد :

المشهد الاول

في حدوث هذا العالم و كون وجوده و وجود كل ما فيه
مسبوqa بالعدم الزماني

اعلم ان الحادث بعد ما لم يكن لا بد له من مرجح لاستحالة حدوث
شيء لاعن سبب، و ذلك المرجح لا بد ان يكون حادثاً كله او شيء من تمامه
والالدام الترجيح فدام الاثر، فلم يكن حادثاً، وقد فرض حادثاً، هذا خلف.
ثم نعود الكلام الى مرجح المرجح فاما ان يتسلسل علل حادثه مجتمعة لالي
نهاية، و هو باطل لما علمت ان الباري جل اسمه مبدأ سلسلة الممكنات كلها ،
و هو ازلي غير حادث، او يكون اسباباً متعاقبة كل منها سبب للاحقه، و هذا
هو المتعين عند جمهور الفلاسفة، وهذا لا يمكن تصحيحه الا بان يكون قبل كل
حادث امور نحو وجودها الحدوث والتجدد والانقضاء. ولا يكفي في ذلك نفس
الحركة العرضية.

اما اولاً، فلان الحركة امر عقلي لا وجود لها في الخارج ، و ما لا
وجود له لا يصير سبباً من اسباب وجود الشيء الحادث.

و اما ثانياً، فلان وجود الاعراض بعد وجود الجواهر، فاذا كان جواهر،
العالم ثابتة في ذاتها، مستقرة في انفسها فمن اين تحدث صفة متجددة بها يتخصص
حدوث حادث؟ فاذن لا بد ان يكون من جملة الجواهر الموجودة جوهر سيال

متجدد في ذاته، نحو وجوده الانقضاء والتجدد بحيث لا يتصور له في وجوده ثبات واستمرار، ولا في عدمه ثبات واستمرار، اذ كل ما كان عدمه ثابتاً، فوجوده ممتنع، وكلما لم يكن عدمه ثابتاً، فوجوده ليس الوجود الانقضاء والتجدد، وذلك الجوهر لا يمكن ان يكون جوهرأ غير مادي و لاجسماني، والالم يكن فيه قوة استعدادية، بل هو جوهر مادي فيه ضرب من القوة و ضرب من الفعل، و ماهو الا الطبيعة السارية في الاجسام، فكل حادث بالذات او بالعرض يستدعي ان يكون قبله حوادث غير متناهية الى حد وبعده ايضاً حوادث كذلك لا يتصرم، والا، عاد الكلام عند انصرامه، و هذه الحوادث الغير المنقطعة و لا المتصرمة لا يجوز ان يكون اموراً متفاصلة، و الا يلزم تنالي الانات، و يعود الكلام في بداية كل منها، بل متصلة واحدة بوحدة هي وحدة الكثرة، و ثبات هو عين الزوال، و اجتماع هو اجتماع المتفرقات، و ما هذا شأنه يجب ان يكون امرأ متجدد الهوية و الذات، و وجوده نفس الاتصال التجددي، و هي الحركة الفلكية عند الفلاسفة، اذ لا يحتمل من الحركات الدوام الا الوضعية المستديرة، و عندنا هي الطبيعة الجرمية التي يقع فيها لما اشرنا اليه من ان الحركة نفس مفهوم التغير، و معناها اضافي لوجود له الا في الذهن، فلا يصير سبباً للحوادث، بل المتجدد بالذات و ما به التجدد هو امر متبدل الهوية في الخارج حادث الوجود بالذات. فاذن قد ثبت ان الطبيعة الجوهرية الفلكية حادثة الوجود في كل حين، و انما الحدوث نفس وجودها، و ما كان الحدوث نفس وجوده لا يحتاج في حدوثه الى علة غير ذات فاعله الجاعل لاصل مهيته، لا في صيرورته حادثاً، لان التدرج في وجوده من صفاته اللازمة لذاته و الصفة الذاتية للشئ لا يفتقر الى جاعل، و الذاتى لا يعلل.

فاذن قد ثبت ان العالم الجسماني لا شتماله على الطبيعة الهيولانية حادث بجميع ما فيه و مامعه لا يتصور له قرار في آنين و لابقاء في زمانين، و لا ينقطع ايضاً الى مبدأ جسماني و لا ينتهي كذلك، بل من الله ابتداءؤه و الى الله انتهاؤه .

و مما يجب ان يعلم ان الحجة المذكورة لا يلزم منها وجود حوادث

غير متناهية وجوده، اذ مالا وجود له بالفعل لا يوصف باللاتناهي كما لا يوصف بالتناهي ايضاً، و فرق بين قولنا : هذه الحوادث ليس لها ابتداء معين على سبيل الحكم السلبى، و بين قولنا: ان الحوادث غير متناهية حكماً ايجابياً عدولياً، اذ الاول لا يستدعى وجود الموضوع المحكوم عليه، بخلاف الثانى. فقول من قال : العالم قديم، والحوادث فيه غير متناهية، قول باطل، اذمالاتجمعية له من الاعداد لا يوصف باللاتناهي ايضاً، و لا بالتناهي الامبلغ حاضر منه فى قوة مدركة جزئية. و فى الكتاب الالهى آيات كثيرة دالة على دثور العالم و خرابه و اضمحلال وجوده مع بقاء صورها العلمية عند الله القديم جسماً رآه كبراء الحكماء و اساطينهم الاقدمين ما خلا اصحاب ارسطو و من لحقهم الى يومنا هذا، فان مسألة حدوث العالم مع اثبات الصانع و توحيد و توحيد صفاته احدى المسائل الشريفة التى من الله علينا بتحقيقها و فضلنا على كثير من خلقه تفضيلاً، و هى مما استفدناه من كتاب الله و سنة نبيه، صلى الله عليه و آله، لا من الافكار البحتية، « الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله ».

اما الايات فمنها قوله تعالى: « بل هم فى لبس من خلق جديد » و قوله: « وترى الجبال تحسبها جامدة و هى تمر مر السحاب، صنع الله الذى اتقن كل شىء » فان اتقانها ببقاء ذاتها فى علمه تعالى، و حفظه اياها بتوارد الامثال. و قوله: « يوم تبدل الارض غير الارض و السماوات فان لجميع الموجودات الطبيعية حركة جوهرية ذاتية و تحولا من صورة الى صورة، حتى يقع لها الرجوع الى الله بعد صيرورتها غير نفسها بحسب الصورة السابقة، و تحولها الى نشأة اخرى، ولو كانت هذه الطبايع ثابتة الجوهرية مستمرة الهوية لم ينتقل هذه الدار الى دار الاخرة، و لم يتبدل الارض غير الارض، و لا السماوات غير السماوات، كما دلت عليه الاية، و لم يرث الله الارض و من عليها، و لم تصر الارض مقبوضة يوم القيمة و السماوات مطويات بيمينه، كما فى قوله تعالى : « و الارض جميعاً قبضته يوم القيامة و السماوات مطويات بيمينه » و منها قوله: « و نفخ فى الصور فصعق من فى السماوات و من فى الارض » دل على ان كل ما فى السماوات و الارض يفنى و يزول بالنفخ الاسرافيل

فى الصور ، وينطوى يوم القيامة فى يمين الرحمن ، اعنى الجنة العالية تحت قهر الكبرياء و سطوة عالم الجبروت. وانما عبر عن هذا الفناء بالصعق لابل موت و نحوه، تنبيهاً على ان لها ضرباً من الحياة عند الله لا عند انفسهم، كمن صار مغمى عليه، فانه زالت عنه الحيوية الحسية وبقى له ضرب من الحيوية فى مقام اعلى من بدنه و قوة حسه و حر كته، ولهذا قد يعود ويسرى الحيوية الى اعضائه من ذلك المبدأ النفسانى.

ومنها قوله تعالى : « ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد » وقوله : « وما نحن بمسبوقين على ان نبدل امثالكم و ننشأكم فيما لا تعلمون » و قوله : « يوم يبعثهم الله جميعاً ».

والبعث من نشأة طبيعية الى نشأة اخرى لا يمكن الا بالانقلاب الجوهرى و تبدل الذات، لان النشأتين الاولى والاخرة متخالفتان فى النوع متباينتان فى نحو الوجود لافى الاوصاف والاعراض، والا لم يكن كل منها برأسه عالماً تاماً، وقد علمت استحالة تعدد العوالم بالعدد مع اتحادها فى النوع، فاذن جوهر الاخرة نوع آخر من الوجود مباين لجوهر الدنيا، فزوال جوهر نشأة الدنيا دليل على حدوثها، اذ ما ثبت قدمه امتنع عدمه. فاذأ ثبت ان جميع - الموجودات الطبيعية منبعثة الى نشأة اخرى متوجهة الى الدار الاخرة بالسير الحثيث والحركة الذاتية الجوهرية .

فثبت ان الدنيا دار الانتقال و منزل الارتحال و معبر الى دار القرار و محل الابرار. و منها قوله تعالى : « انا الى ربنا لمنقلبون » ، و قوله تعالى : « يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحاً فملاقيه » اشارة الى الانتقال الفطرى للجوهر الطبيعى الى الله، و يستوى فى هذا التوجه الذاتى والحركة المعنوية المؤمن والكافر والمطيع والعاصى، اذ كلها مأمور بهذا الايتان والسفر الى الله والدار الاخرة، و هذا التوجه الطبيعى الى الدار الاخرة لا ينافى الشقاوة والعذاب، اذ منشأ العذاب ايضاً تأكد الوجود وفعلية الذات و زوال الالتباس و رفع الغشاوة و كشف الغطاء و حدة البصر كما فى قوله : « فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد » فالنفوس الشقية عند كشف الغطاء ينتبهون من نوم -

الطبيعة و رقدة الدنيا فيطلعون على نتایج معاصيهم و جهالاتهم و خسران نفوسهم، فيتأذون ويتألمون غاية الاذى والالم، فيلحقهم الندامة والحسرة، و يكون حالهم حال من لسعة العقارب والحيات عند سكرة الشديد والخدر، فاذا زال عنه السكر و افاق عن سكره و خدره، اصبح متألماً متأذياً غاية الالم و الاذى، كما سيأتى توضيحه فى مباحث المعاد.

و بالجملة نشأة الاخرة اشرف من نشأة الدنيا، مع ان عذاب الاخرة اشد واقوى، و امر وادهى، لتأكد الوجود و شدة الادراك و قوة الحس و حدة البصر .

و منها قوله تعالى : « هو الذى خلق السموات و الارض فى ستة ايام، ثم استوى على العرش... » هذه الايام ليست من ايام الدنيا التى يتم كل منها فى دورة الشمس بحركة الفلك الاقصى، بل من ايام الاخرة و ايام الربوبية التى كل يوم منها مواز لالف سنة من ايام الدنيا المعدودة لقوله تعالى : « و ان يوماً عند ربك كالف سنة مما تعدون » فهذه الستة الايام هى ستة آلاف سنة من زمن آدم عليه السلام مبدأ خلق الكائنات بحسبما يعده اهل التواريخ و يضبطه المنجمون الى بعثة الرسول الخاتم صلى الله عليه وآله و نزول القرآن، فالله سبحانه اخبر عن خلق المكونات فى هذه المدة، و ذلك لان الحوادث التدريجية الوجود زمان حدوثه بعينه زمان ثبوته و استمراره، اذ لبقاء له الا لحدوث - التجددى .

فعلم بالبرهان و القرآن جميعاً، ان هذا العالم الجسمانى بكله حادث مسبوق بالعدم الزمانى و لبقاء للجسم الطبيعى، لانه فى ذاته لا يخلو عن الحدوث، و ما لا يخلو فى ذاته عن الحدوث فهو حادث الهوية، تدريجى الذات متغير - الكون، لكن الحقايق النوعية ثابتة الوجود فى علم الله فعلمه تعالى بالاشياء ثابتة غير متغير و المعلومات متكثرة متغيرة، كما ان قدرته ازلية و المقدورات حادثه، كما قال الله : « ما عندكم ينفدو ما عند الله باق » .

و اعلم ان ايام الالهية غير ايام الربوبية لان اليوم الالهى هو يوم ذى المعارج مدته توازى خمسين الف سنة، كما قال : « سأل سائل بعذاب واقع

للكافرين ليس له دافع، من الله ذى المعارج، تعرج الملائكة و الروح اليه فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة فاصبر صبراً جميلاً» و قال مشيراً الى يوم الربوبية «يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه فى يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون» و ذلك لان وراء هذه النشأة الدنياوية نشأتان اخرويتان: احديهما، صورية حسية و هى المنقسمة الى جنة محسوسة و نار محسوسة، والاخرى، مغنوية و هى عالم الحضرة الالهية، مرجع الارواح العقلية و الاعيان الثابتة، ففى كل الف سنة يرتقى الصور الكونية الارضية على التدرج الى عالم النفوس السماوية المدبرة لاجرامها، ثم فى كل سبعة الف سنة و هو اسبوع واحد من ايام الربوبية ينتقل جميع صور ما فى السموات و ما فى الارض الى عالم الاخرة و يقوم قيامته وسطى على النفوس بنفخة الفزع، ثم فى مدة خمسين الف سنة و هى سبعة اسابيع التى كل منها سبعة آلاف سنة مع الكبايس و الكسورات يقع الفناء الكلى للارواح بنفخة الصعق و ينتقل الامر كله الى الواحد القهار.

وبيان ذلك: ان الله خلق الوجود ثلاثة: دنياً و برزخاً و اخرى، فخلق انجسّم عن الدنيا و النفس عن البرزخ و الروح عن الاخرة، و جعل الوسائط الناقلة لتنوعات عالم الانسان ثلاثة، ملك الموت و نفخة الفزع و نفخة الصعق، فالموت للاجسام و نفخة الفزع للنفوس و نفخة الصعق للارواح، فاذا اراد الله تعالى نقل الانفس من الدار البرزخ حين كمل اليوم البرزخى للادمى و هو سبعة ايام من ايام الربوبية التى كل منها منسوب الى احدى الكواكب السيارة، نقلت الانفس من البرزخ بنفخة الفزع و يعاد اليها الاجسام الدنياوية، قال الله تعالى: «ونفخ فى الصور ففزع من فى السموات و من فى الارض الامن شاء الله و كل اتوه داخرين» و قوله: «كل اتوه داخرين» اشارة الى ان نفخة الفزع مختصة بنقل الانفس الى الارواح، و قوله: «ينشئ النشأة الاخرة» اشارة الى ان نشأة اخرى تكون بعد صعق الارواح، حين يقول سبحانه: «لمن الملك اليوم...» فلا يجيبه احد و يجيب نفسه لنفسه فيقول: «لله الواحد القهار».

وهذا الصعق هو نهاية الاجل المسمى عنده وهو الاجل الروحاني الذي بدؤه قبل الاجسام بالفى عام، و نهايته هذا الصعق المشار اليه، ثم يجيئ هذا الصعق بالنفخة الثانية بمزيد اقتضاء التجلى الاكمل فى المظهر الاعظم للاسماء الالهية الباطنية التى نبه عليها بقوله صلى الله عليه وآله « فاحمده بمحامد لا عرفه الان » .

فمن التجلى الاعظم، ظهر المظهر الاعظم، ومن المظهر الاعظم ظهرت الاسماء الباطنة، و عن ظهور الاسماء الباطنة اتسع العرش و لاتسع العرش تضاعفت الحملة فصارت ثمانية، لقوله: « ويحمل عرش ربك يومئذ ثمانية » وعن تضاعفها بدلت السماء غير السماء والارض غير الارض لقوله: « واشرقت الارض بنور ربها » فتوسعت دائرة دار الآخرة، وعن توسيعها انشئ الانسان انشاء الآخرة الروحانية، فكانت الروح هى المشهودة المباشرة للاحكام والمؤثرة للآثار، والنفس و الجسم من لوازمها وآثارها، والامدادات من الله صارت متصلة بهما بواسطة الروح، و دخل المؤمن الجنة على الخلق القوى وعلى احسن تقويم، فهذا ماجرى على لسان القلم، وان لم يكن مناسباً لطور اهل البحث عصمنا الله عن جحود المنكرين و عناد المستكبرين والله الهادى الى سبيل اهل اليقين و به الاستعاذة من شر الشياطين وجنود ابليس اجمعين.

حكمة ايمانية وحجة قرآنية

الكتب الالهية والايات الكلامية قايلة بان العالم باسره حادث زمانى، لان الغرض من خلق العالم ليس نفسه بل هو اشرف منه، فان الطبايع الجسمانية وما فى حكمها لا يمكن ان يكون هى الغاية الاقصى فى الوجود، بل البرهان الحكيمى ناهض على ان للطبايع غايات اخرى هى اعلى منها، وكما هو اعلى من الطبيعة الكونية لا يكون وجوده فى هذا العالم بل فى عالم آخر.

فثبت بالبرهان ان هذا العالم باسره واقع تحت الفساد ويلحقه العدم والانقراض، وما يلحقه العدم والانقراض فهو حادث زمانى لامحالة، فالعالم

وكل ما فيه حادث زمانى، والغرض الاقصى من خلق السموات وادارة الافلاك و تسيير الكواكب و جريان الامور على وفق القضاء الالهى و القدر الربانى بتبليغ الاشياء الى غاياتها الذاتية و خيراتھا الاصلية، وازالة شرورها و نقايتها عنها، ليكون العالم كله خيراً محضاً لا شرفيه و نوراً لا ظلمة فيه و تماماً لانقص فيه ويكون الدين كله لله، اذ لا شك ان الدنيا طافحة بالشرور و الافات مشحونة بالمحن و الالام، و النقايس و الاعدام «يا بى الله الا ان يتم نوره و لو كره الكافرون».

فالغرض من اصل الابداع وجود البارى و فيضه ان يصل كل ناقص الى كماله، و تبلغ المادة الى صورتها، و الصورة الى معناها و نفسها، و ان تلحق النفس الى درجة العقل و مقام الروح، و هناك الراحة المطلقة و الطمأنينة التامة و السعادة القصوى و الخير الاعلى و النور الاتم، و هذا هو المقصد الاقصى و اللباب الاصفى فى بناء الارض و السماء و جرى سفينة الهيولى فى طوفان الدنيا، و لاجله مجىء الانبياء و الرسل من ملكوت السماء بالوحى و الانباء و الكتاب و الدعاء، ليزول الشر و ينقرض الظلمة و اهلها و يعود الكاينات الى مابده منه، فيصير لاحقاً به فيتم الحكمة و تصعد الكلمة و تكمل الخلقة، و تزول الدنيا و تقوم القيامة و تجىء الساعة و ينمحق الشر و اهلها، و ينقرض الكفر و حزبه، و يحق الحق بكلماته و يبطل الباطل. فاحفظ يا حبيبي بهذا العلم المخزون و السر المكنون الذى لا يمسه الا المطهرون.

فمن الايات الدالة على دثور العالم و زواله و انقطاعه قوله تعالى :
« اذا السماء انشقت، و اذنت لربها و حققت، و اذا الارض مدت و اقلت ما فيها و تخلت و اذنت لربها و حققت.... » فانشقاق السماء لخروج روحها و نفسها عن مضيق هذه النشأة الناقصة استماعاً و اجابة لداعى الحق. ليصير متحققة بالوجود الحقانى بعد الموت عن الوجود الطبيعى و النفسانى، و المعنى، انها فعلت فى انقياد هال الله حين اراد انشقاقها فعل المطواع الذى اذا ورد عليه الامر من جهة المطاع، انصت له و ادغن و لم ياب و لم يمتنع، كقوله تعالى :
« اتينا طايعين » و مد الارض انبساطها و زوال كل اعوجاج و امتتاء و عقد و

تضاريس كالجبال الرواسى والاشجار وسائر المر كبات، والقاء ما فيها من
 الجثث و الموتى و القشور بنزع صفوها الخالص من عكرها، فالقشر يرمى
 واللب يرقى، وعند ذلك لم يبق منها عين ولا اثر اذلحق الخير بالخير، و
 رجع الشر الى البوار. وقوله : « اذا الشمس كورت و اذا النجوم انكدرت
 و اذا الجبال سيرت و اذا العشار عطلت، و اذا الوحوش حشرت و اذا البحار سجرت
 و اذا النفوس زوجت... » هذه كلها اشارة الى تبدل النشأة الطبيعية لجواهر هذا
 العالم الى النشأة الاخرية، و خروج الارواح من هذه الاجسام العظام الى ما عند
 الله و قيامها و حشرها الى مبدئها الاعلى. فتكوير الشمس اندراس طبيعتها و
 نفاذ قوتها الجسمانية، لان تلك القوة متناهية وجوداً و تأثيراً، فلا بد من انقطاعها،
 فاذا انصرفت القوة المحركة للجسم، بطلت صورته و زالت حيوته الحسية و بعثت
 الى الدار الاخرة. و كذا انكدار النجوم دلالة على انطماس طبيعتها بخروج
 روحها الى الاخرة عند انقطاع آجالها الطبيعية، فان بطلان اللازم و تبدله،
 لازم لبطلان الملزوم و تبدله، فانكدار النجوم كناية عن زوال نشأتها، و تسيير
 الجبال، تجديد صورتها بالحركة الجوهرية و تبدلها فى كل آن، و تسجير
 البحار، احوالها الى النار الاخرية، و ترويح النفوس انما يكون بالعقول
 اذا كانت من الكاملين المقربين عند استكمالها و خروجها من القوة الروحانية
 الى الفعل، او بصور حور العين ان كانت من اصحاب اليمين.

واما النفوس الشقية، فترويحها يكون بالشياطين، او بالابدان
 الحيوانية المناسبة لاخلاقهم و ملكاتهم البهيمية والسبعية كما فى قوله :
 « فوربك لنحشرنهم و الشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا » و قوله :
 « احشروا الذين ظلموا و ازواجهم و ما كانوا يعبدون من دون الله » و قوله :
 « و اخر من شكله ازواج » و قوله : « ياليت بينى و بينك بعد المشرقين فبئس
 القرين » و قوله : « اذا السماء انفطرت و اذا الكواكب انتثرت و اذا البحار
 فجرت » كلمة اذا، يراد بها وقت قيام القيامة. و حينئذ يكون الاجسام الطبيعية
 مدروسة، و صورتها مطموسة، و بواطنها مكشوفة، و ارواحها قائمة، كما ان
 اليوم بعكس ذلك فان الاجسام هيئنا مشهودة بارزة و الارواح كامنة مستورة،

والاجسام محسوسة بالفعل والارواح موجودة بالقوة.
و بالجمله هذه الدار دار الحرث و الزراعة و السعى، و الاخرة دار
حصد الثمار والوصول الى نتايج الاعمال والافكار وتولد مواليد الارواح
عن بطون امهات الاشباح. قوله: «واذا الصحف نشرت، واذا السماء كشطت و
اذا الجحيم سعرت واذا الجنة ازلفت، علمت نفس ما احضرت».

تنبيه

قوله : «علمت نفس ما قدمت واخرت» كل ذلك اشارة الى فناء
الدنيا وانقطاع نشأتها وبروز مكانها وخروج هويات ما فيها الى النشأة
الآخرة .

قاعدة

خلق العالم الكبير وبعثه كخلق العالم الصغير وبعثه «ما خلقكم و
لابعثكم الاكنفس واحدة» ولكل منها جسم وروح، فالخلق للجسم و البعث
للروح، فكما ان اعضاء البدن واجزاء الشخص متبدلة مستحيلة كآينة فاسدة
وروحه باقية، الا انها فى اوائل النشأة ضعيفة الوجود بالقوة شبيهة بالعدم،
ثم يخرج فى ايام الحيوه البدنيه من القوة الى الفعل ويشتد وجود الروح
ويستكمل ويقوى على التدريج ويخرج من القوة الى الفعل و يضعف البدن
ويهرم ويكل القوى والالات شيئاً فشيئاً، لان كلها جسمانية شأنها الاستحالة
والسيلان والدثور، وهكذا الى ان يفنى البدن ويموت «كل نفس ذائقة
الموت» ويبقى الروح راجعة الى ربها «يا ايها النفس المطمئنة ارجعي الى
ربك راضية مرضية» وانما وصفها بالاطمينان وهو السكون العقلى لان النفس
قبل صيرورتها عقلاً بالفعل شأنها التغيير والانقلاب، فاذا صارت مطمئنة عقلية
رجعت الى بارئها «راضية مرضية»، فكذلك جملة العالم، فان السموات والارض
وما بينهما، ابدأ فى الانتقال والتبدل من حال الى حال ومن نقص الى كمال،

وخروج ما فيها من النفوس والارواح من القوة الى الفعل على التدرج في
 مدة عمر طبيعي للعالم، ودورة كاملة لأجرامها الدوارة في مدة خمسين الف
 سنة، فيرجع في تلك المدة جميع تلك النسب والاوضاع الى ما كانت اولاً،
 لقوله تعالى: «والسما ذات الرجوع»، وقوله تعالى: «تعرج الملائكة والروح
 اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة» فإذا انقضت المدة وتمت العدة،
 برزت الى عالم الاخرة حقيقة الدنيا، وخرجت من القوة الى الفعل جميع
 ما هو مكنون في قبور الاجسام ومخزون في صدور النفوس وخزائن الارواح
 «يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون، الا من اذن له الرحمن وقال
 صواباً» وكما ان الشخص الادمي اذا عرض له الموت وخرجت روحه من
 البدن قامت قيامته، لقوله صلى الله عليه وآله: «من مات فقد قامت قيامته»
 وعند ذلك انفطرت سماؤه التي هي ام دماغه، وانتشرت كواكبه التي هي قواه
 المدركة، وانكدرت نجومه التي هي حواسه، وكورت شمسه التي هي قلبه و
 منبع انوار قواه وحرارته الغريزية وتزلزلت ارضه التي هي بدنه، ودكت
 جباله التي هي عظامه، وحشرت وحوشه التي هي قواه المحركة سيما الغضبية،
 فكذا قياس موت الانسان الكبير اعنى جملة العالم الجسماني الذي هو عند
 الحكماء حيوان مطيع لله تعالى متحرك بالارادة والجبلة، وله بدن واحد
 هو جرم الكل وطبع واحد سار في الجميع وهو طبيعة الكل، ونفس واحدة
 كلية مشتملة على جميع النفوس، وروح كلي مشتمل على جميع العقول و
 هو العرش المعنوي يستوى عليه الرحمن فبدن العالم وطبيعته هالكتان داثرتان،
 واما نفسه وروحه الكليتان. فهما محشورتان الى الدار الاخرة راجعتان الى
 الله قائمتان عنده .

المشهد الثاني

في تحقيق الانقراض والنهاية واثبات الغاية كالبداية للدنيا وما فيها، وبروز الكل الى الله وخروجه من مكان هوياتها عند انكشاف استارها، وارتفاع حجبها وبقاء ما عند الله في علم الله من الحقائق المتأصلة والاسماء الالهية والاضواء القيومية.

يجب عليك ان تعلم اولاً، ان كل هوية عينية سواء كانت واجبة او ممكنة، لا بد لها من لوازم عقلية تابعة لذاته من غير جعل وتأثير، واقلها الشئئية والمعلومية والموجودية والامكان العام وغير ذلك، سيما الهوية الالهية التي هي اصل الهويات ومنبع الانيات والمهيات، فاذاً الذات الالهية لها اشعة وانوار عقلية ولوازم وآثار، كيف والوجود كله من شروق نوره و آيات ظهوره، وتلك الاشعة والانوار سماها جمهور الفلاسفة بالعقول الفعالة، والمشاؤون اتباع ارسطو سموها بالصور العلمية، وافلاطونيون بالمثل النورية، والصوفية بالاسماء الالهية، وجمهور المتكلمين ذهبوا بالصفات الزائدة، والمعتزلة قالوا بالاحوال كما قالوا بثبوت المعدومات الخارجية، وتلك الاشعة الالهية كيف يفارق اصلها ومنبعها، او يكون اشياء مباينة الوجود مستقلة الذوات، و الا لم تكن اشعة فهي ليست من جملة العالم ومما سوى الله، وانما هي الدرجات الالهية والحجب النورية والسرادات القدسية، باقية ببقاء الله لا ببقائه، موجودة بوجود الله لا بوجود انفسهم ولا بايجاده، اذ لا جعل ولا تأثير بين الذات و شؤون الالهية.

فمن الآيات الدالة على فناء الكل ورجوعها الى الواحد القيوم بحركتها المعنوية وتولى وجهها الى وجه الحق قوله: «متاع الحياة الدنيا ثم الينا مرجعكم» وقوله: «هنالك تبلوا كل نفس ما اسلفت وردوا الى الله مولاهم الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون» وقوله: «قل الله يبدء الخلق ثم يعيده، فاني توفكون» وقوله: «لكل امة اجل، فاذا جاء اجلهم لا يستقدمون ساعة ولا يستأخرون» وذلك لان نسبة القيامة الكبرى وهي فناء جميع الخلايق وقيامها عند الله، الى القيامة الصغرى وهوموت كل احد كنسبة الولادة الكبرى اعنى خروج الارواح عن بطن الدنيا الى الولادة الصغرى وهي خروج الجنين عن بطن امه. فكما ان لكل نفس اجل مسمى ولادة وموتاً، كذلك لكل امة وطائفة بل لجميع الخلايق ميعاد واجل معلوم عند الله. وانما قلنا: معلوم عند الله، لان فهم الناس لا يبلغ الى درك هذا الاجل والموعود الا العرفاء الشامخون والاولياء الكاملون عند تجردهم عن الدنيا، ولو امكن تعليم ذلك لهم لما وقع في الجواب عند سؤالهم عن وقت قيام الساعة «قل علمها عند ربي» والذي يبلغ فهمهم دركه هو ساعة موت الانسان الصغير لاساعة موت الانسان الكبير يعنى القيامة الكبرى. وقوله: «انا نحن نرتب الارض و من عليها و الينا يرجعون» وهذه الوراثة و الرجوع انما يتحققان اذا صارت الارض غير الارض بان تصير ارضا حية بيضاء منيرة مشرقة عقلية، كما في قوله: «يوم تبدل الارض غير الارض» وقوله: «واشرقت الارض بنور ربها» والافئادامت كثيفة مظلمة ميتة فهي بعيدة المناسبة عن الحضرة الالهية. وقوله: «ان كل من في السموات والارض الا اتى الرحمن عبداً، لقد احصاهم وعدهم عدداً و كلهم آتية يوم القيامة فرداً» اى مجرداً عن الاجسام و عوارضها المادية و اوضاعها الحسية، بل عن انياتهم و هوياتهم المغايرة للحق لاستغر اقهم في بحر الطبيعة وانغمارهم في الدنيا. وذلك التجرد انما يحصل بالفناء عن هذه النشأة الطبيعية والحشر الى الله والبعث في القيامة. وقوله: «ويستلونك عن الجبال قتل ينسفها ربي نسفاً، فيزورها قاعاً صاففاً لا ترى فيها عوجاً ولامتاً» وقوله: «يوم نظوى السماء كطى السجل للكتب

كما بدأنا اول خلق نعيده وعداً علينا، انا كنا فاعلين» .
 قد مر سابقاً ان هذه الاجسام الطبيعية منشورة في الدنيا مطوية في
 الاخرة، والارواح بعكس ذلك، ولهذا الكلام معنيين .

احد هما، بحسب المقايسة والنسبة، يعنى ان هذه الاجسام وان كانت
 بالفعل هاهنا، لكنها لقصور وجودها وحقارتها بالقياس الى موجودات عالم
 الاخرة مقهورة مدروسة، وكذا الارواح وان كانت موجودة بالفعل هناك
 فهى بالقياس الى مشاعر هذه الادنى، لقصورها واحتجابها يغيب عنها تلك
 الموجودات الجليلة الباهرة.

وثانيهما، ان هذه الاجسام تستحيل و تتقلب فى حر كاتها الذاتية و
 استحالاتها الجوهرية الى ان تصير منطوية فى صورة عقلية صاير أكل منها
 روحاً محضاً كما فى الابتداء كانت ارواحاً نازلة الى منال الاجسام، فافهم.
 وفوله: «يا ايها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب
 ثم من نطفة...» ففيه استدلال على وقوع النشأة الاخرة بتطورات الانسان فى
 اطوارها الوجودية على نحو التوجه الى الكمال شيئاً فشيئاً، فلا بد لهذه
 الحركة الرجوعية فى القوس العروجى من غاية اخيرة يقف لديها ويقوم
 عندها، وتلك الغاية لا يمكن ان يكون من الاكوان الخلقية الطبيعية، والا
 لاحتاجت الى غاية اخرى فيتسلسل اويدور وهما محالان، فهى امر اخرى
 وكون تام خارج عن سلسلة ذوى الغايات من الاكوان الناقصة. قوله: «و
 هو الذى ذراكم فى الارض واليه تحشرون» وقوله: «افحسبتم انما خلقناكم
 عبثاً وانكم الينا لاترجعون» .

واعلم ان هذه الحجج القرآنية كما يجرى فى اثبات النشأة الاخرة
 للانسان كذلك يجرى فى اثباتها لجملة العالم وهو الانسان الكبير، لان
 العلة مشتركة و هو لزوم الحكمة و ترتب الغاية و بطلان العبث و الجراف،
 فان هذه الحسابان المذكور فى قوله: «افحسبتم انما خلقناكم عبثاً» منشأ
 غطاء على البصيرة يورث الجهل بان لكل خلق فائدة وحكمة، ولكل طبيعة
 كونية غاية ذاتية، وان لكل اجل كتاباً، ولولم يكن للطبايع الكونية غايات

حقيقية ينتهي اليها وتسكن، لكان معوقاً عن خيراتها، ممنوعاً عن كمالاتها، فيكون وجودها عبثاً معطلاً، ولا عبث ولا معطل في الوجود كما برهن عليه، اذ لم يخلق هذه الخلايق مجازفة، بل عن علم وتدبير لفاعل مدبر عليم و صانع حكيم، ومنع الكمال عن مستحقه قصور في الوجود ونقص في الاعطاء للوجود، وهو ينافي الرحمة الواسعة والوجود الاعم الاتم. فعلم ان لكل نقص كمالاً ولكل قوة فعلاً، وهكذا الى ان يزول النقايس، ويصل كل مخلوق الى اقصى كماله الذي ليس له زوال ولا انقطاع، ويستقر عند ذلك صافياً له عن كل دنس وقشر. والعالم الذي فيه لباب الاشياء من غير كدر، عالم آخر غير هذا العالم، اليه رجعي الطاهرات الزاكيات من نفوسنا، وفيه مأوى القادسات الطيبات من عقولنا، وقوله في النور: «ولله ملك السموات والارض و الى الله المصير» وقوله في النمل «ويوم ينفخ في الصور ففرع من في السموات والارض الا من شاء الله» وهم الذين سبقت لهم هذه القيمة وكل اتوه داخرين. وقد سبقت الاشارة الى ان القيامة قيامتان: قيامة على النفوس بنفخة الفرع، وبها يقع النقل من الصور الى عالم العقول، وقيامه على العقول بنفخة الصعق، وبها يقع الفناء التام وينتقل الامر الى الواحد القهار. وفي العنكبوت «اولم يروا كيف يبدى الله الخلق ثم يعيده ان ذلك على الله يسير» وقوله: «قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدء الخلق ثم الله ينشأ النشأة الاخرة» اي بعد انخلاعه عن كسوة هذا الكون الطبيعي وتحققه بالوجود الاخرى الباقي ببقاء الله، ثم عن لباس الانانية الاخرى وتحققه بالوجود الحقاني الباقي ببقاء الله، وقوله: «يعذب من يشاء ويرحم من يشاء واليه تغلبون» وقوله: «كل نفس ذائقة الموت» موت البدن الذي هو مقام وجودها الطبيعي «ثم اليها ترجعون» بعد فنائها عن الوجودين الطبيعي والنفساني، وانسلاخها عن الكونين الدنيا والاخرة عند قيامها بوجود الحق. وقوله: «وما هذه الحيوة الدنيا الا لهو و لعب، و ان الدار الاخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون».

فان من اكتحل عين بصيرته بنور العرفان، وتنور بيت قلبه بسواطع

آيات القرآن، يجد اعيان العالم وصور الكائنات متبدلة وتعيناتها متزايلة مترادفة خلقاً بعد خلق، سيالة طوراً بعد طور الى طريق الاخرة، ولهذا سمي الله تعالى هذا الكون الدنياوى لهوياً ولعباً، لان اكوانها متبدلة كالحركة، والمتحرك بما هو متحرك شأنه التآدى الى امر آخر، فاذا نظر اليه مع قطع النظر عما يؤل اليه كان لهوياً وعبثاً باطلا. واما الدار الاخرة فلكون وجودها وجود ما فيها وجوداً علمياً و صورة ادراكية بالفعل، وكل صورة ادراكية بالفعل وجودها عين الحيوة، فلامحالة كلما فى الاخرة حيوان محض، حياته عين ذاته، ليست كابدان هذا العالم التى حيوتها عارضة لها واردة عليها من خارج، فهى لامحالة ميتة فى ذاتها تقبل صفة الحيوة من الارواح النفسانية المتعلقة بها.

واما اجساد الاخرة واشكالها فهى بعينها النفوس المتصورة بتلك الصور بحسب ملكاتها و اخلاقها المكتسبة، فالجسد والنفس هناك شىء واحد كما يتضح لك فى عالم المعاد وحشر الاجساد انشاء الله. وقوله فى الروم: «ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق» اى بما عند الله من حقائقها العلمية وصورها العقلية، كما اثبتتها الاقدمون من الحكماء كافلاطون ومن قبله، واجل مسمى اى بحسب وجودها الطبيعى الكونى، لما علمت مراراً ان هذا الوجود زمانى متدرج فى الكون، والتدرج فى الكون لغاية طبيعية لامحالة، فينتقطع بالضرورة لدى الغاية، وتلك الغاية ان كانت من الاكوان الخلقية فيعود الكلام الى غايتها ايضاً، فاما ان يكون لكل غاية غاية ذاتية الى ما لانهاية، ففى ذلك ابطال للغاية اذا كان الكل اوساطاً واثبات للعبث والجزاف فى خلق هذا العالم، او ينتهى الى غاية خارجة عن هذه الاكوان الخلقية، وهو المطلوب.

فغاية الاكوان الخلقية اكون عقلية ينتهى الامر اليه، وقوله : «الله يبدء الخلق ثم يعيده ثم اليه ترجعون» اى يوجد هم فى عالم الخلق و التقدير و المساحة. و انما اتى بصيغة المضارع، لما علمت ان وجود كل خلق مسبوق بعدم زمانى ثم يعيدهم الى عالم الاخرة ثم اليه ترجعون بفناء

الكل والصعقة الكلية. قوله : «ومن آياته ان تقوم السماء والارض بامر»
لان قوامها بمباديها العقلية وصورها القضائية الالهية كما ذهب اليه افلاطن
ومن قبله، ثم اذا دعاكم دعوة من الارض بانقطاع الاجال وانقضاء الاحوال
ونفاد القوى الجسمانية، اذا تم تخرجون من المحاسن الكونية والمقابر
الطبيعية الى فضاء الاخرة وارض المحشر. وقوله تأكيداً لما سبق وتقريراً:
«وهو الذى يبده الخلق ثم يعيده» فى سلسلة البدو والرجوع، «وهو اهون
عليه» لان الرجوع الى الفطرة الاصلية انبى من الخروج عنها. وقوله فى
لقمان : «وسخر الشمس والقمر، كل يجرى الى اجل مسمى» كما فى سورة
الملائكة تأكيداً وتقريراً «وسخر الشمس والقمر، كل يجرى لاجل مسمى»
اي مقدر معلوم عند الله، ولغاية محدودة. والنكتة فى ان قال فى لقمان الى
اجل مسمى وفى الملائكة لاجل مسمى، ان الغاية كما حقق فى مباحث العلة
والمعلول لها اعتباران : اعتبار انها ما ينتهى اليه الفعل، واعتبار انها ما
لاجله الفعل، فبالاعتبار الاول يقع التعدى بالى، وبالاعتبار الثانى يقع باللام،
وذلك لان القوى العمالة فى تلك الاجرام العالية قوى جسمانية متناهية
الوجود والتأثير، فلا بد من وقوفها واندراسها وانتهائها الى غاية عقلية
يتصل بها وينقلب اليها.

وبيان ذلك بوجه اخر عقلى، ان محرك الافلاك ومجرى الكواكب
فاعل حكيم وقادر عليم هو ارفع من الطبيعة، مختار فى صنعه وقدرته، وكل
فاعل كذلك لابد ان يكون لفعله غرض عقلى وفايدة حكمية تترتب عليه
والغرض ان لم يحصل وقتاً من الاوقات ولم يكن مما ينتهى اليه الفعل فلم
يكن غرضاً صحيحاً، ومحرك هذه الاجرام العالية يمتنع ان يكون تحريكه
اياها عبثاً وجزافاً، كمال قال : «وما خلقنا السموات والارض وما بينهما
لاعبين» فاذن لابد ان يكون خلق الافلاك وتحريكها الى غرض واجب البلوغ
اليه، واذا بلغ الفاعل بفعله غرضه فسيبيله لامحالة ان يمسك عن فعله، فمحرك
الافلاك ومجرى الكواكب سيبيله ان يمسك عن تحريكها وادارتها ويقطع
الفعل والعمل، فاذا امسك عن فعله وعمله وقفت الافلاك عن الدوران و

الكواكب عن الجريان، وقد علمت ان الحركة ذاتية لهذه الطبايع الكونية، فاذا سكنت بطلت وبطل ترتيب الزمان، ووقف الكون والفساد، وانقطع الحرث والنسل، وانتقل الامر الى النشأة الاخرة، كما مر من قوله: «يدبر الامر من السماء الى الارض، ثم يعرج اليه» فى الحركة الرجوعية للموجودات المتعلقة بالمواد فى يوم من ايام الربوبية «مقداره الف سنة» وهذا «يوم الفصل» واما يوم عروج الكل ورجوعهم الى الله فى القيامة الكبرى وهو يوم الجمع و يوم ذى المعارج، فمقداره كما قال الله تعالى: «تعرج الملائكة والروح اليه فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة» وقوله فى الزمر: «و نفخ فى الصور» اى صور الاشياء فى عالم القضاء الحتمى «فصعق من فى السموات والارض الامن شاء الله». وقد مر بيانه .

وفى الحديث عن النبى، صلى الله عليه وآله: «انه يموت اهل الارض حتى لايبقى احد، ويموت اهل السماء حتى لايبقى احد الا ملك الموت و حملة العرش و جبرئيل و ميكائيل...» قال: «فيجىء ملك الموت حتى يقوم بين يدى الله عزوجل ويقال له : من بقى، وهو اعلم بذلك، فيقول لم يبق الا ملك الموت وحملة العرش و جبرئيل و ميكائيل، فيقال : فليموتا جبرئيل و ميكائيل، فيقول الملائكة: و هما رسولاك و اميناك، فيقول: انى قضيت على كل نفس فيها الروح الموت، ثم يجىء ملك الموت حتى يقف بين يدى الله عزوجل، فيقال له من بقى وهو اعلم بذلك، فيقول لم يبق الا ملك الموت و حملة العرش، فيقول، قل لحملة العرش فليموتوا، قال: ثم يجىء ملك الموت كئيباً حزيناً لا يرفع طرفه، فيقال : من بقى فيقول لم يبق الا ملك الموت، فيقال له: مت يا ملك الموت، ثم يأخذ الارض بيمينه و السموات بيمينه، و يقول اين الذين كانوا يدعون معى شريكا، اين الذين كانوا يجعلون معى الها، ثم نفخ فيه اخرى، فاذا هم قيام ينظرون...» لتحققهم بالوجود الاخرى الباقى بدلا عن الوجود الدنيوى الدائر وبالوجود التام الحقانى بدلا عن الوجود الناقص الامكانى. قوله فى حمعسق: «الله يجمع بيننا و اليه المصير» وفى الزخرف «وانا الى ربنا لمنقلبون» وفى ق: «واستمع يوم يناد المناد

من مكان قريب، يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج». وذلك اليوم ليس من ايام الدنيا، بل من ايام الاخرة. وكذا فى قوله: «يوم تمور السماء موراً وتسير الجبال سيراً». وكذا قوله: «يوم يجمعكم ليوم الجمع لاريب فيه» لان يوم الدنيا يوم التفرقة فى الوجود، ويوم الشك. وكذا قوله: «فيومئذ وقعت الواقعة» لان وقوع الاشياء فيه على الحق واليقين. وقوله: «وانشقت السماء فهي يومئذ واهية» لان وجود الاشياء الطبيعية من حيث صورها المادية الوضعية مضحطة مدروسة هناك كاضمحلال الظل عند النور و ذوبان الثلج والجمد عند الحرور .

فهذه الايات وامثالها من الايات الكثيرة التى تركنا ذكرها مخافة التطويل، مشيرة الى رجوع هذه الاشياء كلها الى عالم الاخرة، ورجوع اهل الاخرة كلهم الى الحق الاول تعالى. والى زوال هذا العالم ب كله و دثور ما فيها من الصور الحسية وفنائها يوم القيامة ومحو آثارها وتبدل وجودها يوم بروز مكانها وظهور حقايقها وكشف بواطنها ونشر صحايف نفوسها وكتب اعمالها على رؤس الجمع، وذلك بعد خروجها من مقابرها، وهى مقابر اكونها التدريجية ومدة حر كاتها الاستكمالية فى دار الدنيا التى هى مقبرة ما فى علم الله الكاين فى صقع الربوبية قبل الورود فى مقابر الدنيا وبعد الخروج عنها عند انقضاء مدة مكثها الديوى.

تنبيه

ان لكل من الروح والجسد والقلب والقالب قبراً حقيقياً. اما قبور القوالب والاجساد فهى مقادير اكونها التدريجية، واما قبور القلوب و الارواح فالى مأوى النفوس و مرجع الارواح البشرية، وهى سدرة المنتهى قبل ظهور القيامة الكبرى فالله سبحانه ابدع بقدرته الكاملة دائرة العرش وجعلها مأوى القلوب والارواح، وانشأ بحكمته البالغة نقطة الفرش وجعلها مسكن القوالب و الاجساد، ثم امر بمقتضى قضائه الازلى للارواح و القلوب

العرشية ان تعلقت بالقوالب والابدان الفرشية شطراً من الازمنة والاقوات، فاذا بلغ اجل الله الذى هوآت، وقرب الممات للملاقات والحيوة، رجعت الارواح الى رب الارواح قائلين: «انا لله وانا اليه راجعون» وعادت الاشباح الى التراب الرميم: «منها خلقناكم وفيها نعيدكم».

واما الارواح الكدرة الظلمانية المنكوسة، والنفوس الشقية التى «كفرت بانعم الله» فهى ايضاً قصدت من حضيض الفرش الى ندى العرش، لكن مع ائقالها واوزارها باجنحة مقصوفة وقلوب مقبوضة وايدى مغلوله بحبائل التعلقات وارجل مقيدة بقيود الشهوات، وكلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتشت من فوق الارض مالها من قرار - فصاروا منكوسين معلقين بين العرش و الفرش، «ولوترى اذا المجرمون ناكسوارؤسهم عند ربهم».

تنبه آخر

فى موت الانسان الكبير اعنى العالم.

اعلم ان العالم مشتمل على الخلق والامر، والخلق كله هو قالب العالم والامر كله هو روح العالم ثم قوام الخلق بالامر كما ان قوام القلب بالقلب فالتعاقب بين الامر والخلق هو حياة الانسان الكبير و العالم، كما ان التعاقب بين الروح والجسد هو حياة الانسان الصغير وكذا التفارق بينهما هو موت العالم الكبير والقيامة الكبرى، كما ان الافتراق بين الروح والجسد هو موت هذا الانسان والعالم الصغير والقيامة الصغرى، والله خالق الموت والحيوة، كما انه جاعل الظلمات والنور «خلق الموت والحيوة ليبلوكم ايكم احسن عملا» فاذا وقعت الواقعة وقامت القيامة، رجع الامر الى الامر اليه، يرجع الامر كله اليه الا الى الله تصير الامور - ويعود الخلق الى الخلق «منها خلقناكم و فيها نعيدكم» .

قاعدة

في الخلق و الامر

قال الله تعالى : «الا له الخلق والامر» وقال : «قل الروح من امر ربي، وما اوتيتم من العلم الا قليلا، اتى امر الله فلا تستعجلوه، انما امره اذا اراد شيئاً ان يقول له كن فيكون».

اعلم ان الله خلق عوالم كثيرة، كما ورد في الخبر بروايات متعددة وفي بعضها انه خلق ثلثمائة وستين عالماً.

قال الشيخ محيي الدين الاعرابي في الباب الثامن من الفتوحات المكية: «ان في كل نفس خلق الله فيها عوالم يسبحون الليل والنهار لا يفترون...، وخلق الله من جملة عوالمها عالماً على صورتنا اذا ابصرها العارف يشاهد نفسه فيها، وقد اشار الى ذلك ابن عباس فيما روى عنه في حديث : هذه الكعبة وانها بيت واحد من اربعة عشرين، وان في كل ارض من الارضين السبع خلقاً مثلنا، حتى ان فيهم ابن عباس مثلي» والعوالم وان كانت متعددة، الا ان الجميع مترتبة منتظمة في سلك واحد متفاوتة باللطافة والكثافة والظهور والبطون، لما مر من استحالة وجود عالمين متباينين غير منتظم احد هما بالآخر كما بين في مقامه، والعوالم مع كثرتها منحصرة في قسمين عالم الامر وعالم الخلق، فعبر عن عالم الدنيا وهو ما يدرك بهذه الحواس الظاهرة الخمس بالخلق، لقبوله المساحة والتقدير، وعبر عن عالم الآخرة وهو ما يدرك بالحواس الخمسة الباطنة وهي النفس والقلب والعقل والروح والسر بالامر، لانه وجد بامر كن دفعة بلا واسطة شيء آخر، اذ وجوده غير متعلق بالحركات والاستعدادات، فيوجد بمجرد الجهات الفاعلية لالجهات القابلية الانفعالية، فكل ما يقع في تصور الفاعل او يخطر بباله يوجد دفعة من غير استعمال الة او تهيؤ قابل، فعالم الامر هو الاوليات العظام التي اوجدها الله تعالى للبقاء، كالعقل والروح والقلم واللوح والعرش والجنة، وآخرها الكرسي، ولهذا قيل: فرش الجنة الكرسي وسقفها عرش الرحمن.

واما دار الحجيم فهي بوجه من الاخرة : وبوجه آخر من الدنيا ، فانها من حيث تجدد ما فيها وتوارد الالام والمحن على اهلها وذوبان جلودهم و تبديلها و تعاقب الكون و الفساد عليها من الدنيا، و من حيث خلودها و دوام العذاب فيها لاهلها هي من الاخرة .

وبالجملة فكل ما كونها الامر القديم كان باقياً ببقاء الله، وما كونه بالوسائط كان حادثاً ناشياً في عالم الخلق وسمى عالم الخلق خلقاً لانه اوجده الله تعالى بالوسائط من شيء كما في قوله «وما خلق الله من شيء» فكلما كان مخلوقاً بالوسائط كان قابلاً للفناء وانما خلقه للفناء لكونه وسيلة الى غيره . والروح الانساني وان كان مكوناً مع الخلق ولكنه ليس مكوناً بالخلق و لامخلوقاً من شيء فان النفس حادثة مع البدن لابلدن بل بامر الله وتكوينه .

وقد بينا في بعض كتبنا المبسوطة تحقيق حدوث النفس الانسانية المجردة بما لا مزيد عليه، من ان حدوثها بما هي جوهر مفارق ليس مسبوقة بالمادة، والالم يكن بقائها بعد المادة، بل البدن شرط تعلقها وتدييرها وتصرفها، ولهذا يزول التعلق والتديير والتصرف بزوال البدن. ومن هنا يتبين ان قوله تعالى «قل الروح من امر ربي» انما هو لتعريف الروح، عنى به انه جوهر بسيط من عالم الامر والبقاء لامن عالم الخلق والفناء ولهذا عبر عنها بالكلمة في قوله «وكلمة القاها الى مريم وروح منه» وقوله : «اليه يصعد الكلم الطيب» وانه ليس للاستبهام كما ظنه جماعة، من ان الله ابهم علم الروح على الخلق و استأثره لنفسه، حتى قالوا لفرط جهلهم بمنصب النبوة: ان النبي صلى الله عليه وآله لم يكن عالمآ به، جل منصب حبيب الله ان يكون جاهلاً بالروح ، مع انه عالم بالله ، وقد من الله عليه لقوله «وعلمك ما لم تكن تعلم و كان فضل الله عليك عظيماً» .

واما سكوته عن جواب السؤال عن الروح وتوقفه انتظاراً للوحي حين سئلته اليهود، فقد كان لغموضه، فرأى في معنى الجواب دقة لا يفهما اليهود، لبلادة طبائعهم، وقساوة قلوبهم و فساد عقايدهم، فان المدرك لا يدرك شيئاً ليس من جنسه، فالحس لا يدرك غير المحسوسات، والخيال

لا يدرك ما وراء المتخيلات، والوهم لا يدرك المعقولات، فمن لا عقل له لا يدرك المعقولات الصرفة، قال تعالى: «وما يعقلها الا العالمون» وهم ارباب العقول الكاملة والسايرون الى الله فانهم لما عبروا بالسلوك عن النفس وصفاتها و القلب وصفاته و وصلوا الى مقام السر و عرفوا بعلم السر معنى القلب والنفس والحس كما عرفوا بنور الحس ساير المحسوسات و بنور الخيال المتخيلات و بنور الوهم الموهومات، و اذا عبروا عن السر و وصلوا الى عالم الارواح عرفوا بنور الروح السر، و اذا عبروا عن عالم الروح و وصلوا الى ساحل بحر الحقيقة، عرفوا بانوار مشاهدات صفات الجمال عالم الارواح و مادونها، و اذا فنوا بسطوات الجلال عن انانية وجودهم و وصلوا الى لجة بحر الحقيقة، كوشفوا بهوية الحق تعالى، و اذا استغرقوا فى بحر الهوية الاحدية و بقوا ببقاء الالهوية عرفوا الله بالله، و وحدوه و قدسوه و عرفوا به كل شىء.

وهذا هو مسؤل دعاء النبى صلى الله عليه وآله، قال: «رب ارنا الاشياء كما هي» و كان قبل هذا وقت «سريهم آياتنا فى الافاق و فى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق» فحينئذ وقت «اولم يكف بربك انه على كل شىء شهيد» وهذا مقام «كنت له سمعاً و بصرأ و يدأ، و بى يسمع و بى يبصر و بى ينطق و بى يبسط» ففى هذه الحالة كيف يبقى لمعرفة الروح حطر عند من له هذه المقامات العلية.

واعلم ان الروح شىء واحد فى ذاته و حقيقته، و تعدده بحسب تعدد النفوس المتصلة به، و كذا عالم الامر موجود واحد بالذات متكرر بحسب جهات الافاضات و الايجادات «و ما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر» و هكذا الكلام، و غير ذلك من الامور الالهية، فان من وراء عالم الخلق و عالم الدنيا و ما فيها و مامعها و هو عالم النور، كله مراتب الالهية، كانت طبقات بسيطة متفاوتة فى شدة النورية و ضعفها، و كل طبقة منها منطوية مقهورة تحت طبقة اعلى منها، و هكذا الى نور الانوار، فالكل منطوية مطموسة تحت سلطان نوره، و سطوة كبريائه «الا الى الله تصير الامور».

و عالم الخلق طبقاته ظلمات بعضها فوق بعض، و كلما هوا بعد من

عالم النور فهو اظلم واوحش، وهكذا الى اسفل السافلين ومهوى الشياطين والكفرة والمطرودين «ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور» والله خالق الظلمات والنور وجاعل الليل والنهار «وهو الذى خلق الموت والحيوة ليبلوكم ايكم احسن عملاً» والناس فى اول الخلقة قابل للسلوك الى الجانبيين والسير الى السيليين، اما الى عالم النور و الحياة، و اما الى عالم الموت و الظلمة «الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا اوليائهم الطاغوت، يخرجونهم من النور الى الظلمات اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون».

قاعدة

فى كيفية البدو و الاعادة و الاشارة الى سلسلتى الهبوط و الصعود

قال الله تعالى : « هو الذى بيده الخلق ثم يعيده » يشير الى انه تعالى كما بدء الخلق باخراجهم عن مكنن الامكان الى عالم الارواح ثم اهبطهم من عالم الارواح الى عالم الاشباح عابرين على الملكوت الا على و الاسفل من النفوس السماوية و الارضية، مارين على الافلاك و الانجم و الاثير و الهواء و الماء و الارض، الى ان يبلغوا الى اسفل السافلين و الهاوية المظلمة اعنى الهيولى و البحر المظلم و القرية الظالم اهلها، و هى نهاية تدبير الامر على ما قال : « يدبر الامر من السماء الى الارض » ثم يقع الاعادة فى باب الانسانية بجذبات العناية الى الحضرة الالهية من حيث وقع النزول ماراً على المنازل و المقامات التى كانت على ممره بقطع التعلق عنها و ترك الانتفاع بها، فانه حالة العبور على هذه المنازل استعار خواصها لاستكمال الوجود الانسانى مادة و صورة و روحاً و جسماً، فصار محجوباً عن الحضرة مشتغلاً بالكثرة عن الوحدة، كما فى قوله: « الهيكم التكاثر حتى زرتهم المقابر » يعنى الابدان المظلمة لكونها مقابر للارواح، فاذا جاء وقت الرجوع بجذبة ارجعى الى ربك يرد ما استعار من كل منزل، فان العارية مردودة الى ان يبقى بلا افانية

عارضة ويصفي وجه المرأة عن كل صورة فيتصرف فيه جذبة العناية ويتجلى في مرآته وجه الحق الباقي، وكان العالم كله كدائرة انعطفت اخرها الى اولها، احدى قوسيه نزولية والاخرى صعودية، ولها نقطتان احديهما نهاية اوليها وبداية اخريهما وهي الهيولى، والثانية بالعكس وهو الانسان الكامل، روح العالم، مظهر اسم الله وخليفة الرحمن، كما قيل :

ليس على الله بمستكر
ان يجمع العالم في واحد

قاعدة

في تحقيق الخلافة الالهية

اعلم انه لما اقتضى حكم الالهية الجامعة لجميع الكمالات المشتملة على الاسماء الحسنى و الصفات العليا بسط مملكة اليجاد و الرحمة و نشر لواء القدرة و الحكمة، باظهار الممكنات و ايجاد المكونات و خلق الخلايق و تسخير الامور و تدبيرها، و كان مباشرة هذا الامر من الذات الاحدية القديمة بغير واسطة بعيدة جداً، لبعده المناسبة بين عزة القدم و ذلّة الحدوث، ففضى الله سبحانه بتخليف نائب ينوب عنه فى التصرف و الولاية و اليجاد و الحفظ و الرعاية، فلامحالة له وجه الى القديم يستمد من الحق سبحانه، و وجه الى الحدوث يمد به الخلق، فجعل على صورته خليفة يخلف عنه فى التصرف، و خلع عليه خلع جميع اسمائه و صفاته و مكنه فى مسند الخلافة بالقاء مقادير الامور اليه و احالة حكم الجمهور عليه و تنفيذ تصرفاته فى خزائن ملكه و ملكوته، و تسخير الخلايق لحكمه و جبروته، و جعل له بحكم مظهرية اسميه الظاهر و الباطن حقيقة ناطنة و صورة ظاهرة. ليتمكن بهما من التصرف فى الملك و الملكوت. فالمقصود من وجود العالم و ايجاد الأشياء فيه شيئاً فشيئاً، ان يوجد الانسان الذى هو خليفة الله فى العالم، فالغرض من الاركان ان يحصل منها النباتات، و الغرض من النباتات ان يحصل منها الحيوانات، و من الحيوانات ان يوجد الاجساد البشرية و من

الاجساد البشرية ان يحصل منها الارواح الناطقة، و من الارواح الناطقة ان يحصل خليفة الله في ارضه، كما دل عليه بقوله: «انى جاعل فى الارض خليفة» فحقيقته الباطنية هى الروح الاعظم، و النفس الكلية وزيه و ترجمانه، و الطبيعة عامله و رئيسه، و العملة من القوى الطبيعية جنوده، و كذلك الى آخره. و اما صورته الظاهرة فصورة العالم من العرش الى الفرش و ما بينهما من البسيطات و المركبات، فهذا هو الانسان الكبير المشير اليه قول المحققين، العالم انسان كبير. و انما سمي انساناً، لامكان وقوع الانس بينه و بين الخلق برابطة الجنسية و واسطة الانسية و ارادوا بالعالم حقيقة العالم و ذاته و روحه الاعظم اعنى العقل البسيط الذى اندمجت فيه صورة ما فى العالم ظاهره و باطنه، و هو اول ما خلق الله و ابدعه. و اما قولهم: الانسان عالم صغير، ارادوا به الكمل من افراد البشر، و هو خليفة الله فى الارض لقوله فى حق آدم «انى جاعل فى الارض خليفة» و قوله: «يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض».

و الانسان الكبير خليفة الله فى السماء و الارض، و ماهيتهما واحدة، و هذا الانسان نسخة منتسخة و نخبة منتخبة من الانسان الكبير بمثابة الولد من الوالد، فله ايضا حقيقة باطنة و صورة ظاهرة، اما حقيقته الباطنة فالروح الجزئى المنفوخ من الروح الاعظم، نسبتة الى ذلك كنسبة الشعاع الى الشمس، فكذلك عقله الجزئى و نفسه الشخصية و الطبيعة الشخصية، و اما صورته الظاهرة فنسخة منتخبة من صورة العالم الظاهر، فيها من كل جزء من اجزاء العالم، لطيفها و كثيفها قسط و نصيب، فسبحان من صانع جمع العالم فى واحد.

من كل شىء لبة و لطيفه، مستودع فى هذه المجموعة و صورة كل شخص كامل نتيجة صورة آدم و حواء، و معناه نتيجة الروح الاعظم و النفس الكلية الذين هما آدم كلى و حواء كلية، و من هذا يصح ان يقول الكامل من اولادهما.

و انى و ان كنت ابن آدم صورة فلى فيه معنى شاهد بابوتى

و كذلك كل واحد من افراد البشر ناقصاً او كاملاً كان له نصيب من الخلافة بقدر حصة انسانية، لقوله تعالى: هو الذى جعلكم خلائف فى الارض، مشيراً الى ان كل واحد من افاضل البشر واراذلهم خليفة من خلفائه فى ارض الدنيا، فالافاضل مظاهر جمال صفاته تعالى فى مرآة اخلاقهم الربانية، و هو سبحانه تجلى بذاته و جميع صفاته لمرآة قلوب الكاملين منهم، المتخلقين باخلاق الله، ليكون مرآة قلوبهم مظهراً لجلال ذاته و جمال صفاته، و الاراذل يظهر جمال صنيعه و كمال بدايعه فى مرآة حرفهم و صنيعهم، و من خلافتهم ان الله استخلفهم فى خلق كثير من الاشياء كالخبز و الخياطة و البناء و نحوها، فانه تعالى يخلق الحنطة بالاستقلال و الانسان بخلافته يطحنها و يعجنها و يخبزها، و كالثوب فانه تعالى يخلق القطن و الانسان يغزله و ينسج منه الثوب بالخلافة، و على هذا قياس فى ساير الصنایع الجزئية و الحرف.

قاعدة

فى الحقيقة المحمدية مظهر اسم الله الجامع الاعظم «يا ايها الناس قد جائكم برهان من ربكم الى قوله مستقيماً»

قد تقرر فى العلوم الالهية ان الحق تعالى برهان على كل شىء كما قال اولم يكف بربك انه على كل شىء شهيد و قد ثبت ايضاً ان المبدء عين الغاية و البداية عين النهاية، و ان الله فاعل كل شىء، و ان الانسان الكامل الذى لا اكمل منه غاية المخلوقات، «لولاك لما خلقت الافلاك»، فاذن يجب ان يكون هو البرهان على سائر الاشياء، كما قال وجئنا بك على هؤلاء شهيداً.

و من الشواهد الدالة على هذا المطلب. ان الله اعطى لكل نبي آية و برهاناً و جعل نفس النبي الخاتم برهاناً فقال قد جائكم برهان من ربكم، و ذلك لان برهان الانبياء كان فى اشياء غير انفسهم، مثل برهان موسى فى

عصاه وفي يده، وفي الحجر الذي انبجست منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس مشربهم، و كان نفس النبي برهاناً بالكلية فكان برهان عينه ما قال، لا تسبقوني بالركوع فاني اراكم من خلفي كما اراكم من امامي، و برهان بصره ما زاغ البصر وما طغى وقد رأى من آيات ربه الكبرى، وقوله: زويت لى الارض فاريت مشارقتها و مغاربها، و برهان سمعه قوله اطت السماء و حق لها ان تتط ليس فيها موضع قدم الا وفيه ملك ساجد او راکع، و برهان شمه قوله: انى لاجد نفس الرحمن من جانب اليمن، و برهان ذوقه قوله: ان هذا الذراع مسموم، و برهان لمسه قوله: وضع الله يده بين كتفى فاحس برده، و برهان لسانه قوله تعالى: وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى، و برهان بصاقه^٢ ما قال جابر: انه امر يوم الخندق لا تخبزن عجينكم ولا تنزلن برمتكم حتى اجىء، فجاء فبصق فى العجين وبارك و بصق فى البرمة، فاقسم بالله انهم لا كلوا وهم الف حتى تركوه و انصرفوا، و ان برمتنا لتغط^٣ كماهى و ان عجيننا ليخبز كماهى، و برهان تفلّه انه تفل فى عين على عليه السلام وهى ترمد، فبرء باذن الله يوم خيبر، و برهان يده قوله تعالى: وما رميت اذ رميت و لكن الله رمى، و انه سبح الحصى فى كفه، و برهان اصبعه انه اشار به الى القمر فانشق فلقنتين، و كان الماء ينبع من اصابعه حتى شرب منه خلق كثير، و برهان صدره قوله تعالى: الم نشرح لك صدرك، و انه كان له ازيز كازيز المرجل^٤ و برهان قلبه انه كان تنام عيناه ولا ينام قلبه، و قال تعالى: ما كذب الفؤاد ما رأى، و امثال هذه البراهين فى مظاهر وجوده المقدس اكثر من ان يحصى.

و اما براهين مطاوى وجوده و قواه المستورة، فمنها برهان قوة

١- صوت بالزحام، اى كثرة ما فيها من الملائكة فداثقلها حتى اطت. هذا ايدان و مثل بكثرة الملائكة .

٢- البزاق .

٣- لاشتد غليانها .

٤- صوت غليان القدر اى ان جوفه يجيش و يغلى بالبكاء .

حفظه كقوله: سنقرئك فلا تنسى، و برهان قوة علمه قال على عليه السلام: علمنى رسول الله صلى الله عليه وآله الف باب من العلم فاستنبطت من كل باب الف باب، و اذا كان حال الولي هكذا فكيف حال النبى المعلم، و اما برهان قوته المحركة العملية فلعروجه بجسده النورانى الى اقصى عالم السموات و هو سدرة المنتهى، و بروحه المقدس الى قاب قوسين او ادنى، و اما برهان عقله العملى فقوله: انك لعلى خلق عظيم، و قوله: بعثت لاتمم مكارم الاخلاق.

قاعدة

فى حقيقة الدنيا و الآخرة

قال الله تبارك و تعالى انما الحيوۃ الدنيا لعب و لهو و زينة و تفاخر بينكم الى قوله و فى الآخرة عذاب شديد، و قال: وما الحيوۃ الدنيا الا متاع الغرور، و قال: انما مثل الحيوۃ الدنيا كماء اترلناه من السماء فاختلط به نبات الارض الى قوله فجعلناه حصيداً كان لم تغن بالامس و قال: كسر اب ببيعة يحسبه الظمان ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئاً و وجد الله عنده.

و اعلم ان الدنيا من عالم الملك و الشهادة، و الآخرة من عالم الملكوت و الغيب، و ربما قيل: ان الدنيا عالم المحسوسات و الآخرة عالم المعقولات، و هذا غير سديد عندنا، و انما هو قول جمع من الفلاسفة المنكرين للمعاد الجسمانى، و لوجود الجنة و النار الجسمانيين، و الاجود ان يقال ان الدنيا عالم الكون و الفساد، و الآخرة دار القرار، او يقال: ان الدنيا عالم الظلمات، و الآخرة عالم النور، او يقال: ان الدنيا عالم الموت، و الآخرة عالم الحيوۃ، و الله تعالى هو الذى خلق الموت و الحيوۃ و جعل الظلمات و النور، يعنى الدنيا و الآخرة.

و توضيح ذلك على نسق البرهان العقلى. ان الصورة التى يتعلق بها العلم و الادراك على ضربين، اما صورة مادية مغموسة فى المادة، التى شأنها العدم و القوة و قبول الكثرة و الانفصال و التباعد فى الجهات، و

الغيبية و الحجاب و عدم الحضور، حتى ان كل جزء منها يغيب عن صاحبه وليس لها وجود جمعى حضورى، فلم يكن مدركة ولامعلومة ولامحسوسة الا بالتبع لبالذات، فهى مناط الجهل و الموت و الظلمة، و اما صورة مفارقة عن المادة و لواحقها فوجودها وجود حضورى ادراكى، لان وجودها فى نفسها بعينه وجودها لمدركها، سواء كانت صورة جزئية او كلية، محسوسة او معقولة، فهى المدركة بالفعل دائماً، و الاولى ليست مدركة بالفعل ما لم ينتزع عن مادتها، و القسم الاول هو وجود الدنيا وما فيها، و لا يكون لها فى نفسها حيوة الا بامر خارج عنها وارد عليها، و القسم الاخر، هو وجود الآخرة وما فيها، و ان حيوتها ذاتية لها لا بامر خارج، و لهذا قال الله تعالى فى حق الدنيا: انما الحيوية الدنيا لهو و لعب، و قال فى حق الآخرة: و ان الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون، و لاجل ذلك قيل: ان حال الانسان فى كل ما يراه من الدنيا كحال النائم فى المنام عن الرؤيا التى يراها، ما هى الا امثال و حكايات لماهى حقايق موجودة فى الخارج يحتاج الى التعبير.

فالعارف بمنزلة المعبر الذى يعبر عنها بامور اخروية، كما قال سبحانه: و تلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون، و قيل ايضاً: ان الدنيا مرآة الآخرة فانها عالم الشهادة و يرى فيها ما فى عالم الغيب و هى الآخرة.

و ما احسن تشبيه الدنيا بالمرآة، حيث ان سطح المرآة من جهة اللون لاجل الصقالة صار عديمياً، لكنه يصير لاجل صقالته و قوة امكانه مظهراً لما يقابله من الاشكال و الالوان، كذلك الدنيا امر عدى امكانى حامل للعدم و القوة الامكانية، فصارت مظاهر لما يقابله من عالم الآخرة، فيرى فيها صور الاشياء الثابتة فى عالم آخر على وجه محسوس جزئى، لتطرق النقائص و الاعدام الى تلك الصور من جهة المظهر الدنياوى، فهذا العالم فى الوجود تابع لعالم الغيب، كما ان الصورة فى المرآة تابعة لصورة الناظر، الا ترى ان صورتك فى المرآة و ان كانت هى الثانية فى رتبة

الوجود فانها قد صارت اولى في حق نفسك فانك لا ترى نفسك، و ترى صورتك في المرأة اولا، وربما تغيرت بحسب حال المرأة مستقيمة ومعوجة واحدة و متكررة، ثم تعرف بها صورتك التي هي قائمة بك لبالمرأة اصلا على سبيل المحاكاة في ثانی الحال، فانقلب التابع في الوجود متبوعا في حق المعرفة، و انقلب المتأخر متقدما، و هذا النوع من الانعكاس و الانتكاس ضرورة هذا العالم، و كذلك عالم الدنيا محاك لعالم الاخرة، فمن الناس من وفقه الله و يسر له النظر و الاعتبار فلا ينظر الى شيء من هذا العالم الا ويعبر به الى عالم الاخرة، فيسمى عبوره عبرة، و قد امر الله تعالى عباده به وقال: فاعتبروا يا اولى الابصار، و منهم من عميت بصيرته فلم يعتبر ولم يعبر عن هذا الحبس، فاحتبس في عالم الحس و الشهادة، و سيفتح الى حبسه ابواب جهنم، و هي مشاعره التي كانت تصلح ان تكون ابواباً الى فسحة الجنان ايضاً كما تصلح لان تكون ابواباً الى النيران، و هذا الحبس ممتلى ناراً شأنها ان تطلع على الافئدة، انها عليهم مؤصدة في عمد ممددة، الا ان بينه و بين ادراك حرقها و المها حجاب، فاذا رفع الحجاب بالموت ادركها بعين اليقين، و هذه النار موجودة اليوم كما دل عليه قوله تعالى: و ان جهنم لمحيطة بالكافرين، و قوله: وما هم بخارجين من النار، و قوله: اولئك ما يأكلون في بطونهم الا النار، و قد اظهر الله الحق على لسان قوم استنطقهم بالحق فقالوا: الجنة و النار مخلوقتان، نظراً الى ظاهر قوله تعالى: و جنة عرضها كعرض السماء و الارض اعدت للذين آمنوا، و قوله: و جنة عرضها السموات و الارض اعدت للمتقين، و قوله: فاتقوا النار التي وقودها الناس و الحجارة اعدت للكافرين، و قوله: النار يعرضون عليها غدوا و عشيا و يوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب، و قوله: اغرقوا فادخلوا ناراً، و قوله: يصلونها يوم الدين و ما هم عنها بغائبين.

و هذا هو المروى عن الائمة الطاهرين عليهم السلام، روى قدوة المحدثين ابو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي رضي الله عنه في عيون اخبار الرضا بسنده المتصل الى عبدالسلام بن صالح الهروي، قال قلت لعلي بن

موسى الرضا عليه السلام يابن رسول الله اخبرنى عن الجنة و النار، هما اليوم مخلوقتان، قال نعم قد دخل رسول الله (ص) الجنة ورأى النار لماعرج به الى السماء، قال فقلت له ان قوماً يقولون انهما اليوم مقدرتان غير مخلوقتين، فقال عليه السلام: ما اولئك منا ولا نحن منهم، من انكر خلق الجنة و النار فقد كذب النبى صلى الله عليه و آله و كذبنا، وليس فى ولايتنا على شىء ويخلد فى نار جهنم، قال تعالى: هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون يطوفون بينها و بين حميم آن، و قال النبى (ص): لماعرج بى الى السماء اخذ بيدى جبرئيل فادخلنى الجنة، فناولنى من رطبها فاكلته فتحول ذلك نطفة فى صلبى، فلما هبطت الى الارض واقعت خديجة فحملت بفاطمة عليها السلام ففاطمة حورآء فكلما اشتقت الى الجنة شممت رائحة ابنتى فاطمه عليها السلام.

و بالجملة الدنيا هى النشأة النارية الدائرة الكائنة الفاسدة، من ركن اليها استحق النار، و الاخرة هى النشأة النورية العلمية الباقية، وهى صورة الجنة و منازلها، الا انها محجوبة عن هذه الحواس لانغمارها فى البدن الذى هو ايضاً من الدنيا، فمن عرف نفسه و عرف ربه تجرد ذاته عن غشاوة الدنيا و صار من اهل الاخرة و نعيمها، و من لم يستكمل ذاته بقوة الايمان و نور العرفان، و لم ينتزع صورته عن المادة البدنية، ولم يتجرد ذاته عن مقبرة الدنيا و تابوت البدن الذى استحق بذاته ان يصير صندوقاً من صناديق الجحيم، فلا نجاة له من عذاب النار، و لا خلاص له منها الى محل الابرار و معدن الانوار.

و العارف يشاهد ببصيرته ان الدنيا ضد الاخرة و انها معدن الجهل و الكفر و منشأ الظلمة و العذاب فى يوم القيامة، و انها مذمومة، شهواتها مهلكة، ظلماتها مغوية، وهى مع ذلك لا بد منها لانها مزرعة الاخرة فى حق من عرفها، اذ منها ينشأ بذر الثمرات الاخروية، فمن تزود منها للاخرة و اقتصر على قدر الضرورة فقد حرث و بذر و سيحصد فى الاخرة مازرع، و حقيقة هذه الحراثة هى الايمان و الزهد، اعنى اكتساب انوار المعلومات

و التجرد عن الماديات و الظلمات وهى يخالف حراثة الدنيا، و هى
تحصيل المال و الجاه، فلانجاة لاحد الا لمن كان حاله فى الدنيا كحال
المسافر الذى يقتصر منها على قدر الضرورة، ولاسعادة لاحد الا لمن قدم
الى الله عارفاً به و بملكوته و آيات جلاله و عظمته، و احب الله بقلبه، فان
المعرفة و المحبة لاينالان الا بدوام الطلب و الفكر، ولايفرغ القلب اليهما
الا بالاعراض عن شواغل الدنيا و الفراغ عن محبة غير الله، وغير صفاته و
افعاله من حيث هى افعاله، فان من احب احداً احب اثاره لاجله.

فانت يا حبيبي ان كنت من اهل البصيرة فقد علمت ان مدار النجاة
على الاعراض عن الدنيا و اهلها، و مدار السعادة الحقيقية و التقرب عند
الله بالحكمة الالهية التى هى المعبر عنها بالايمان بالله و ملائكته و كتبه و
رسله و اليوم الاخر، و ان لم تكن من اهل الكشف و البصيرة فكن لاقل من
اهل التقليد و الايمان بظاهر القرآن، وانظر الى تحذير الله تعالى اياك فى
عدد كثير من الايات كقوله: من كان يريد الحيوة الدنيا و زينتها نوف اليهم
اعمالهم الاية، و كقوله تعالى: و اما من طغى و اثر الحيوة الدنيا فان الجحيم
هى المأوى، و كقوله: الذين يستحبون الحيوة الدنيا على الاخرة و
يبغونها عوجاً اولئك فى ضلال بعيد، و كقوله: ولكن من شرح بالكفر صدراً
فعليلهم غضب من ربهم ولهم عذاب اليم ذلك بانهم استحبوا الحيوة الدنيا
على الاخرة، و قوله: من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد
ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحوراً و من اراد الاخرة وسعى لها سعيها
الاية، فمن الناس من يقول ربنا آتنا فى الدنيا وماله فى الاخرة من خلاق
الاية، وفى حمسق من كان يريد حرث الاخرة تردله فى حرثه و من
كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله فى الاخرة من نصيب، و قوله: ان
الذين لا يرجون لقاءنا و رضوا بالحيوة الدنيا و اطمانوا بها و الذينهم عن
آياتنا غافلون اولئك مأويهم النار بما كانوا يكسبون، و قوله: زين للذين
كفروا الحيوة الدنيا و يسخرون من الذين امنوا و الذين اتقوا فوقهم
يوم القيامة، و قوله: تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً فى

الارض ولافساداً و العاقبة للمتقين و قوله: واعرض عنم تولى عن ذكرنا و لم يرد الا الحيوة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم، و قوله: وذر الذين اتخذوا دينهم لعباً و لهوا و غرتهم الحيوة الدنيا الاية، و لعل ثلث القرآن فى ذم الدنيا و اهلها.

و فى الحديث عن النبى صلى الله عليه و آله «الدنيا ملعون، ملعون ما فيها، الدنيا دار من لادار له، الدنيا سجن المؤمن و جنة الكافر، الدنيا جيفة و طالبها كلاب، و ان الله عزوجل لم يخلق خلقا ابغض اليه من الدنيا، و انه لم ينظر اليها منذ خلقها بغضاً».

قاعدة

فى اللوح و القلم

قال تعالى: ن و القلم و ما يسطرون، و قال: اقرء و ربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم، و قال: انه لقرآن كريم فى لوح محفوظ لا يمسسه الا المطهرون، و قال: يمحوه الله ما يشاء و يثبت و عنده ام الكتاب، و قال: و انه فى ام الكتاب لدينا لعلى حكيم.

و فى الخبر ان اسرافيل ملك موكل باللوح ينظر فيه و ينتظر متى يؤمر ان ينفخ فى الصور، و اللوح مجمع علوم الكواين، و قيل اصله من ذهب دفتاه ياقوتتان حمراوان، عرض كل منهما من المشرق الى المغرب، و طوله من العرش الى الثرى، و اما القلم فهو درة بيضاء طوله الف سنة. و فى الاثر: لما خلق الله القلم قال اكتب، قال ما اكتب؟ قال علمى فى خلقى، فجرى القلم بما هو كائن الى يوم القيامة.

و روى عن رسول الله صلى الله عليه و آله سبق القلم و جف القلم و تم القضاء بتحقيق الكتاب و تصديق بالسعادة من الله و الشقاوة من الله.

و فى كتاب الاعتقادات لابن بابويه القمى رضوان الله عليه، ان اللوح و القلم هما ملكان، فاثباتهما من طريق الخبر و الرواية هكذا، و اما طريق الاعتبار و الاستبصار، فالبرهان العقلى يجوز جميع ما ذكروا ولا يأتى

عنه، و يشبه ان يكون احدهما و هو القلم جوهرأ عقليا بل العقل الكلى و هو العالم العقلى بجملته، و ثانيهما اعنى اللوح جوهرأ نفسانياً بل النفس الكلية و هو العالم النفسانى بجملته.

قاعدة

فى العرش و الكرسي

قيل سئل محمد بن الحنفية رضى الله عنه عن الكرسي فقال: فلك البروج، فمن جعله فلك البروج جعل العرش فلك الكل او فلك الافلاك، و ذهبت المشبهة الى ان العرش موضع التدبير و التقدير، و الكرسي موضع التجلى و الزيارة، و ذكروا ان الله ينزل من العرش الى الكرسي فيتجلى للخلق و يقضى بينهم بالحق.

اقول: انما قالوا ذلك و امثاله لاثار بلغت اليهم منقولة عن النبي صلى الله عليه وآله فى هذا الباب، لوعرفوها حق معرفتها لماضوا و اضلوا، و قال بعضهم ان العرش مظهر الرب، و الكعبة معلمه، فدعا الله العباد الى مظهره بقلوبهم و الى معلمه بابدانهم، و منهم من قال: ان الله متمكن على العرش وقدماه على الكرسي، جل البارى عن صفات المخلوقين و نعوت المحدثين، و قال بعض ارباب القلوب العرش هو قلب العالم و الانسان الكبير و الكرسي هو صدره، و هذا اصح الاقوال و اسدها و احسنها، و ذلك لان المراد من القلب المعنوى هو مرتبة النفس المدبرة المدركة للكليات، و القلب الصورى مظهرها، و كذا المراد من الصدر المعنوى هو مرتبة النفس الحيوانية المدركة للجزئيات، و هذا الصدر الجسمانى مظهرها، و نسبة استواء النفس الانسانية على قلبه بالتدبير الى استواء الرحمن على عرشه بالعبادة و الرحمة كنسبة القلب الصنوبرى الى العرش الصورى، و كذلك نسبة تصرف النفس الحساسة الحيوانية فى الصدر المحيط بجوهر الكبد لمكان الدم الطبيعى المنتشر فى البدن كله الى تصرف

القوة الملكوتية باذن الله فى الكرسى المحيط بجوهر السموات السبع بانوارها النافذة فى الكل كنسبة الصدر الجزئى الى الكرسى الجسمانى، و ايضا نسبة العرش الى الكرسى كنسبة القلم الى اللوح، فالقلم و اللوح جوهران بسيطان عقليان فى عالم الامر، و لكن القلم ابسط و اشرف و اقوى عقلا، و كذا العرش و الكرسى جوهران بسيطان حيان من عالم الخلق، لكن العرش ابسط و انور و اقوى حيوة، و الله اعلم بحقايق اموره و خزائن ظهوره و منازل شهوده و مجالى وجوده.

و قال الشيخ ابو جعفر محمد بن على بن بابويه القمى رضوان الله عليه، اعتقادنا فى اللوح و القلم انهما ملكان كشف الله بهما مخفيات علمه و اطلعهما على علومه الغيبية، و هو قريب مما ذكرناه من انهما واسطتان فى افاضة العلوم من الله على خلقه، و قال عظم الله قدره فى الاعتقاد فى الكرسى: انه وعاء جميع الخلق و العرش و السموات و الارض و كل شىء خلق الله فى الكرسى، و قال وجه آخر: قد سئل الصادق عليه السلام عن قول الله عز وجل «وسع كرسيه السموات و الارض»، قال هو علمه، و قال فى الاعتقاد فى العرش: انه حملة جميع الخلق، و العرش فى وجه آخر هو العلم، و سئل الصادق عليه السلام عن قول الله عز وجل «الرحمن على العرش استوى»، فقال: استوى من كل شىء فليس شىء اقرب اليه من شىء، و اما العرش الذى هو حملة جميع الخلق فحملته ثمانية من الملائكة، لكل واحد منهم ثمانية اعين كل عين طباق الدنيا، واحد منهم على صورة بنى آدم يسترزق الله تعالى لولد آدم، و واحد منهم على صورة الثور يسترزق الله للبهائم، و واحد منهم على صورة الاسد يسترزق الله للسباع، و واحد منهم على صورة الديك يسترزق الله للطيور، فهم اليوم اربعة و اذا كان يوم القيامة صاروا ثمانية، و اما العرش الذى هو العلم فحملته اربعة من الاولين و اربعة من الاخرين، فاما الاربعة من الاولين فنوح و ابراهيم و موسى و عيسى عليهم السلام، و اما الاربعة من الاخرين فمحمد و على و الحسن و الحسين عليهم السلام، قال: هكذا روى بالاسانيد الصحيحة عن الائمة عليهم السلام، فى العرش و حملته.

المشهد الثالث
في احكام المخلوقات الواقعة في سلسلة العود الى الله معاكسة
للمبدعات الكاينة في سلسلة البدو منه تعالى وفيه قواعد:

قاعدة في المركبات الناقصة

اعلم انه اذا وقعت آثار القوى السماوية من الاضواء و الاشعة الكوكبية وغيرها باذن الله و ملكوته العمالة في العناصر و المواد السفلية، فحركاتها و هيجتها، اختلط بعضها ببعض و استحال بعضها الى بعض، حصل من اختلاطها و استحالتها موجودات شتى، فاذا هيج النور الفلكي باسخانه الحرارة، بخر من الاجسام الرطبة المائية، و دخن من الاجسام اليابسة الارضية، و اثار من البخار و الدخان من مهبطى الارض و الماء واصعده، اما الدخان فقد يتعدى صعوده حيز الهواء الى ان يوافي تخوم النار فيشتعل، وربما يبقى فيه الاشتغال لغلظ المادة الدخانية، فراى كانه كوكبا في السماء فيتحرك بمشايعة حركة الاثير مدة، و ربما لم يبق فيه الاشتعال بل احترق بسرعة و انطفئ و لم يثبت فيه اثر الاحتراق و هو الشهاب الثاقب، و قد ثبت فيه اثر الاحتراق، فيرى العلامات الهائلة الحمر و السود، و اما البخار الصاعد فمنه ما يطفئ و يرتفع جداً فيتراكم و يبقى مدة في اقصى الجو عند منقطع الشعاع فيبرد و يكشف فيقطر فيكون المتكاثف منه سحاباً ما طراً و

المتقاطر مطراً، و منه ما يقصر عن الارتفاع لثقله، بل يبرد سريعاً و ينزل، فما يوافيه برد الليل قبل ان يتراكم فهو الطل، وربما جمد البخار المتراكم فى الاعالى اعنى السحاب فنزل و كان ثلجاً، و ربما جمد البخار الغير المتراكم فى الاعالى اعنى مادة الطل فنزل و كان ضعيفاً، و ما يسقط بالليل من السماء شبيها بالثلج، و ربما انجمد البخار بعدما استحال قطرات ماء فكان برداً، و انما يكون جموده فى الربيع، وقد فارق السحاب فى الشتاء و هو داخل السحاب، و ذلك لشدة برد الشتاء و ضعف برد الربيع، و المشهور انه اذا سخن خارجه بطنت البرودة الى داخله فيتكاثف داخله لشدة البرد و استحال ماء و اجمده شدة البرد، وهو كما ترى، و ربما تكاثف الهواء نفسه لشدة البرد فاستحال سحاباً ثم مطراً.

و اما الجواهر البخارية الدخانية الحاصلة من مادتي الرطوبة و الليبوسة فمنها ما يتخلص من الارض فيكون منها الرياح، و اذا تصعدت فيتميز البخار من الدخان، انعقد البخار سحاباً فيبرد و يقلقل فيه الدخان طلباً للنفوذ الى العلو، فحصل من تقلقله فيه ضرب من الرعد، و هو صوت ريح عاصفة فى سحاب كثيف، و ربما امتد ذلك التقلقل لكثرة وصول المواد و تكون اعالى الجو اكدف، لان البرد هناك اشد، و تكون هناك ريح مقادمة يعوقه عن النفوذ فيندفع الى اسفل، و قد اشعلته المحاكة و الحركة ناراً تبرق، و تشق السحاب شعلة كجمر يطفى، و يسمع من ذلك ضرب من الرعد، و ان كان قويا شديداً غليظ المادة كان صاعقة، و ربما وجد مندفعاً فيه سهل الانشقاق فخرج بالرعد و اشتعل.

فهذا القدر من الحقايق لاضريرى معرفتها، و الكتاب اشار اليها، ولا شك فى انتهاء اسبابها الى ملائكة السموات و الارضين، ثم الى مدبر الكل تعالى عما يصفه الجاهلون و يعتقدونه الظالمون من المعطلة و المجسمة.

فللاشارة الى ايجاده تعالى لهذه الكاينات الناقصة بتهييجه لاسبابها قال: هو الذى يريكم البرق خوفاً و طمعاً و ينشئ السحاب الثقال و يسبح الرعد بحمده و الملائكة من خيفته و يرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء، و

قال: الله الذى يرسل الرياح فتثير سحاباً فيسطه فى السماء كيف يشاء و يجعله كسفاً فترى الودق يخرج من خلاله فاذا اصاب به من يشاء من عباده اذاهم يستبشرون، و قوله: الم تر ان الله يزجى سحاباً ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاماً فترى الودق يخرج من خلاله و ينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء و يصرفه عن من يشاء يكاد سنابرقه يذهب بالابصار يقرب الله الليل و النهار ان فى ذلك لعلبة لاولى الابصار، و قوله: و هو الذى ارسل الرياح بشراً بين يدي رحمته و انزلنا من السماء ماء طهوراً لنحى به بلدة ميتا و نسقيه مما خلقنا انعاماً و اناسى كثيراً، و قوله: و الله الذى ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلدميت فاحيينا به الارض بعد موتها و كذلك النشور، و قوله: و من آياته يريكم البرق خوفاً و طمعاً و ينزل من السماء ماء فيحى به الارض بعد موتها ان فى ذلك لايات لقوم يعقلون.

قاعدة

فى خلق انواع المعادن من المركبات التامة التركيب، التى لها صور نوعية حافظة للتركيب، فاعلة لاثار مخصوصة.

لما اراد الله سبحانه، بمقتضى قضائه الازلى و عنايته ان يجعل فى الارض خليفة و خلق من هذه العناصر المتضادة الوجود، البعيدة عن عالم القدس و الجود، موجوداً كاملاً يصلح لان يكون نائباً من الله فى عمارة الشأتين، و كان لا يتصور وجوده من هذه المواد الابد تعديلها و تهذيبها عن الكدورة و الظلمة اللازمة لهذه الاجسام، سيما الارض التى هى العنصر الغالب فيه، فقلبها فى الاطوار، و خمر طينة الغالب بفنون من التخميرات، فجعلها اولاً جماداً، ثم نباتاً، ثم حيواناً، و هكذا استوفى درجات هذه الاكوان ليتها منها و يعدها خلقة الانسان، فاول تعديل و تصفية وقعت فى هذه المواد بان حصل منها صورة الجماد، قال تعالى: و الله جعل لكم مما خلق ظلالاً و جعل لكم من الجبال اكنانا و جعل لكم سراويل تقيكم الحر و

سراييل تقيكم باسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلمكم تسلمون، و قوله تعالى: الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفاً الوانها و من الجبال جدد بيض و حمر مختلف الوانها و غرايب سود، و قوله: و هو الذى يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته حتى اذا اقلت سحاباً ثقالاً سقناه لبلد ميت فاترلنا به الماء فاخرجنا به من كل الثمرات كذلك يخرج الموتى لعلمكم تذكرون، و قوله: انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها فاحتمل السيل زبداً رايياً و مما يوقدون عليه فى النار ابتغاء حلية او متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق و الباطل فاما الزبد فيذهب جفاء و اما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض كذلك يضرب الله الامثال.

قاعدة

فى خلقه النبات و الحيوان و الانسان من صفوة العناصر و الاركان.

ان العناصر اذا امتزجت باذن الله و استخدماه للقوى العالية، و خرجت بسبب اعتدال مزاجها عن صرافة تضادها و تعصيتها عن قبول الفيض الرحمانى، فتصير قابلة لاثر من الحيوة، فاول ما قبلته من افاضة الله هى الصورة الحافظة لتركيبتها، و هى الصورة المعدنية، ثم اذا وقع لها امتزاج اتم و حصل مزاج اعدل و اقرب الى الوحدة و الجمعية قبلت اثرا آخر من آثار الحيوة اشرف، و هى النفس النباتية، شأنها التغذية و التنمية و التوليد، فاذا امتزجت امتزاجاً و حصل لها مزاج اتم و افضل و الى الوحدة الخالصة اميل، تهيئت لقبول اصل الحيوة بعدما استوفت درجات المعادن و النبات بفيضان النفس الحيوانية الشاعرة المحركة بالاختيار، ولها قوتان مدركة و محركة، كما قال: و جائت كل نفس معها سايق و شهيد، فالمدركة منقسمة الى ظاهرة، هى الحواس الخمس المشهورة، و باطنة هى الحواس الخمس الباطنة للحيوانات الكاملة، الحس المشترك و الخيال و المتصرفه و الواهمة و الحافظة، و اما القوة المحركة، فمنها الباعثة ذات شعبتين، الشهوة و

الغضب، و منها الفاعلة لجذب الاوتار و ارخائها والتها الاعصاب المنشعبة بعضها عن الدماغ و بعضها عن النخاع، وقد جعله الله خليفة الدماغ، و حامل هذه القوى الروح البخارى الذى جعله الله خليفة النفس و رسولا منها الى البدن، و هو الحار العزيزى عند الاطباء، المنبعث اولا من القلب الصنوبرى صورة القلب المعنوى، و اذا لطف جداً حتى يشبه الجرم الفلكى صار محل استواء الروح النطقى المضاف الى الله فى قوله: فاذا سويته و نفخت فيه من روحي.

قاعدة

فى ان الغرض من هذه الموجودات و قواها الطبيعية و النباتية و الحيوانية كلها خلقه الانسان الذى هو غاية خلقة العناصر و الاركان، لانه صفوها و اصلها و خلق من فضالتها و ثقلها ساير الاكوان، فهو الصفوة العليا و اللباب الاصفى وغيره كالقشور لصيانة وجوده عن الافة، و لذلك تزل هى و ترمى، و هو يدوم ويبقى محشوراً راجعاً الى ربه، و الاشارة الى ان كل ما يوجد فى العالم من ساير الاكوان انما خلق لاجل الانسان.

قال تعالى فى باب المعادن و الجماد: و ما ذرأ لكم فى الارض مختلفا الوانه ان فى ذلك لاية لقوم يذكرون، و قال: هو الذى سخر لكم البحر لتأكلوا منه لحما طريا و تستخرجوا منه حلية تلبسونها و ترى الفلك مواخر فيه و لتبتغوا من فضله و لعلكم تشكرون، و فى الارض رواسى ان تميد بكم و انهارا و سبلا لعلكم تهتدون، و قال: و الله جعل لكم مما خلق ظلالا و جعل لكم من الجبال اكنائاً و جعل لكم سراويل تقيكم الحر و سراويل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون، و قال: و الارض مددناها و القينا فيها رواسى و انبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة و ذكرى لكل عبد منيب، و قال: و الارض مددناها و القينا فيها رواسى و انبتنا فيها من كل شىء موزون و جعلنا لكم فيها معاش و من لستم له برازقين، و قال فى باب النبات: الله الذى خلق السموات و الارض و اتزل من السماء ماء فاخرج به

من الثمرات رزقا لكم، و قال ايضا فى حقه: هو الذى اتزل من السماء ماء لكم منه شراب و منه شجر فيه تسمون ينبت لكم به الزرع و الزيتون و النخيل و الاعناب و من كل الثمرات ان فى ذلك لاية لقوم يتفكرون، و قال: ومن ثمرات النخيل و الاعناب تتخذون منه سكرأ و رزقا حسنا ان فى ذلك لايات لقوم يعقلون، و قال فى حق الحيوان: و الانعام خلقها لكم فيها دفاء و منافع و منها تاكلون و لكم فيها جمال حين تريحون و حين تسرحون و تحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس ان ربكم لرؤف رحيم و الخيل و البغال و الحمير لتركبوها و زينة و يخلق ما لاتعلمون، و قال ايضا: ان لكم فى الانعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونها من بين فرث و دم لبنا خالصا سائغا للشاربين، و قال: و اوحى ربك الى النحل ان اتخذى من الجبال بيوتا و من الشجر و مما يعرشون ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس ان فى ذلك لايات لقوم يتفكرون، و قال: الله الذى جعل لكم الانعام لتركبوا منها و منها تأكلون و لكم فيها منافع و لتبلغوا عليها حاجة فى صدوركم و عليها و على الفلك تحملون، و قال مشيراً الى ان جميع ما فى عالم الارض مخلوق لاجل الانسان، و خلق لكم ما فى الارض جميعاً، و قال مشيراً الى ان ما فى السماء لاجله، هو الذى جعل الشمس ضياء و القمر نوراً و قدره منازل لتعلموا عدد السنين و الحساب، و قال مشيراً الى ان ايجاد الكل لاجله. و سخر لكم ما فى السموات و ما فى الارض.

فلانسان ان ينتفع بكل ما فى هذا العالم على وجه من الوجوه، اما فى غذائه و فى دوائه، او ملبوساته او مر كوباته او زينته او الالتذاذ بشيء منها بصورته او صوته او طيبه او رؤيته، او الاعتبار به و باستفادته العلم منه و الاقتداء بفعله فيما يستحسن منه، و الاجتناب عنه فيما يستقبح منه، و قد نبه الله على منافع جميع الموجودات اما بالسنة الانبياء عليهم السلام، و اما بالهام الاولياء، او بغير ذلك من الاعلامات بالفكر و القياس و الحدس، فحق الانسان ان ينتفع بكل شيء فى السماء و الارض، فقد احسن من قال:

تعلمت من كل شيء احسن ما فيه، حتى من الكلب حمايته على اهله، ومن الغراب بكوره في حاجته، ولا يبعد ان يكون قوله تعالى: و اوحى ربك الى النحل الاية تنبيها للانسان على التعلم و الاقتداء بالنحل في مراعاته لوحى الله تعالى، فكما انها لا يتخطى وحى الله في مجرى المصالح طبعاً، كذا يجب على الانسان ان لا يتخطى وحى الله اختياراً.

قاعدة

في خلقه الانسان و انه الثمرة العليا و اللباب الاصفى و الغاية القصوى من وجود ساير الاكوان، و الكلام هاهنا في مادة وجوده، وسيجيء الكلام في صورة وجوده.

اعلم ان الطبيعة ما لم توف بالمادة جميع درجات النوع الاخر لم يتجاوز بها الى النوع الاشراف، و قد حقق بالبرهان ان الموجود الاشراف يجب ان يندرج فيه جميع المعاني المتحققة في الموجود الاخر على وجه اعلى و الطيف، و قد اشرنا آنفا الى ان العناصر اذا امتزج بعضها ببعض و خرجت بسبب اعتدال كيميائتها عن صرافة تضادها و تعصيبها عن قبول الفيض الالهى تصير قابلة لاثر من آثار الحيوية، فاول ما قبلته من افاضة الله هي صورة حافظة لتركيبها مبقية لوجودها باذن الله تعالى، ثم اذا حصل لها امتزاج اتم و اعتدال افضل و اقرب الى الوحدة الجامعة، قبلت اثرأ آخر من آثار الحيوية اشرف، و هي النفس النباتية التي شأنها التغذية و التنمية و التوليد للمثل، و اذا امتزجت امتزاجاً اكثر اعتدالاً و ارفع قدما من التسفل و التضاد و التفرقة، و اقرب مقاما الى عالم الصفاء و النور، تهيأت لقبول اصل الحيوية بعد ان يستوفى درجات الجماد و النبات بفيضان النفس الحيوانية الحساسة المتحركة بالارادة، و اذا لطفت المادة العنصرية جداً حتى تشبه الجرم الفلكى صار محل استواء الروح النطقى الاضافى الذى من الله مشرقه و الى الله مغربه، ففي الانسان شيء كالفلك و شيء كالملك، و بهما جميعاً يصلح عمارة الدارين و يستحق خلافة الله اولا في العالم الاسفل

الارضى ثم فى العالم الاعلى السماوى، فقد تبين ان وجود الانسان لم يحدث من الله الا بعد استيفاء الطبيعة جميع درجات الاكوان، وطبها منازل النبات والحيوان، فيجتمع فى ذاته جميع القوى الارضية و الاثار النباتية و الحيوانية، وهذا اول درجات الانسانية التى اشترك فيها جميع افراد الناس، ثم فى قوته الارتقاء الى عالم السماء و مجاورة الملكوت الاعلى بتحصيل العلم و العمل، كما قال تعالى: اليه يصعد الكلم الطيب و العمل الصالح يرفعه، ثم له ان يطوى بساط الكونين و يرتفع من العالمين بان يستكمل ذاته بالمعرفة الكاملة و العبودية التامة، و يفوز بلقاء الله بعد فناءه عن ذاته، و حينئذ يصير رئيساً مطاعاً فى العالم العلوى، مسجوداً للملائكة السماوية، يسرى حكمه فى الملك و الملكوت، و يسمع دعائه فى حظيرة قدس الجبروت، قال تعالى فى خلقه بدن الانسان: و لقد خلقنا الانسان من سلالة من طين، فالطين مادته الاولى، لانه الجزء الغالب من عناصره، كالنار فى الجن، و السلالة مادته الثانية مرتبتها مرتبة المعدنيات لكون صورتها حافظة لتركيبها، و لهذا عقب بقوله «ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين»، و قوله «ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظماً فكسونا العظام لحماً»، اشارة الى المراتب السابقة على الانسانية المشتركة جميع الحيوانات مع الانسان، و قوله: ثم انشأناه خلقاً آخر فتبارك الله احسن الخالقين، اشارة الى نحو آخر من الوجود، مخالف الذات و الحقيقة لما سبق من الاطوار السابقة على الانسانية، و هى كلها صور كونية قائمة بالجسم، و هذا نور فائض من الله قائم بذاته، بل بذات الله تعالى، قيام الضوء الوارد على وجه الارض بذات الشمس لابذاته و لابذات الارض بل الارض مظهر قابل لظهوره، و كذلك البدن العنصرى باستعداده مظهر قابل لظهور هذا النور الربانى الذى من الله مشرقه و الى البدن مغربه و مهبطه، و سيرد الى الله يوم طلعت الشمس من مغربها، فتطلع هذه النفس عند خراب القلب الى خالقها و منشأها، و يرجع الى الله اما زاهرة مشرقة، و اما مظلمة منكسفة، و المظلمة ايضاً راجعة الى الحضرة الالهية، اذ مرجع الكل و مصيره اليه، الا انها ناكسة الرأس

عن اعلى عليين الى اسفل السافلين، و لذلك قال: و لو ترى اذا المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم، و قال: كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون، و هؤلاء هم المنافقون الذينهم اسوء حالا من الكفار المحضة، لانهم المحجوبون ازلا و ابدآ.

و اعلم ان التحقيق يقتضى ان قوله: ثم انشأناه خلقاً آخر مختص ببعض افراد الناس كما ستعلم، و بالجملة ظهر ان المقصود الاصلى من ايجاد الكائنات هو الانسان الكامل الذى هو خليفة الله، قوله تعالى: و اذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة، و قوله: انى خالق بشراً من طين فاذا سويته و نفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين، و قوله: ما خلقت الجن و الانس الا ليعبدون، و قوله، و يستخلفنكم فى الارض، و قوله: و ليعلم الله من ينصره و رسله، و قوله: و استعمر كم فيها، كل ذلك اشارة الى انه لا يستلزم لخلافة الله و عمارة الدارين الا الانسان الكامل، و هو الانسان الحقيقى مظهر اسم الله الاعظم كما نبه بقوله: انى اعلم ما لا تعلمون.

قاعدة

فى ذكر العناصر التى منها تكون الانسان

و اعلم انه ذكر الله تعالى فى غير موضع من القرآن العناصر التى منها اوجد الانسان و نبه على انه جعله انساناً فى سبع درجات، و اشار الى ذلك فى عدة مواضع مختلفة حسبما اقتضت الحكمة، فقال فى موضع «خلقه من تراب» اشارة الى المبدء الاول، و فى آخر من «طين» اشارة الى الجمع بين التراب و الماء، و فى آخر من «حماء مسنون» اشارة الى الطين المتغير بالهواء ادنى تغير، و فى آخر «من طين لازب» اشارة الى الطين المستقر على حالة من الاعتدال يصلح لقبول الصورة، و فى آخر «من صلصال من حماء مسنون» اشارة الى ييبسه و سماع صلصلة منه، و فى آخر «من صلصال كالفخار» و هو الذى قد اصلح باثر من النار فصار كالخزف، و بهذه القوة

النارية حصل في الانسان اثرأ من الشيطنة، و على هذا المعنى دل بقوله: خلق الانسان من صلصال كالفخار و خلق الجان من مارج من نار، فنبه على ان الانسان فيه من القوة الشيطانية بقدر ما في الفخار من اثر النار، و ان الشيطان ذاته من المارج الذي لاستقرار له، ثم نبه على تكميل الانسان بنفخ الروح فيه، بقوله: اني خالق بشراً من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي، ثم نبه على تكميل نفسه بالعلوم و المعارف بقوله: و علم آدم الاسماء كلها، وليس المراد منها صور الالفاظ، بل المعاني و المفهومات، ثم ذكر مادة خلقه الانسان و تقلبها في الاطوار و تدرجها من حالة الى حالة و من خلق الى خلق، فقال: لقد خلقنا الانسان من سلاله من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقه فخلقنا العلقه مضغه فخلقنا المضغه عظماً فكسونا العظام لحماً ثم انشأناه خلقاً آخر فتبارك الله احسن الخالقين.

فان قيل لم قال فكسونا العظام لحماً و لم يقل فخلقنا العظام لحماً كما في السوابق.

قلنا لان النطفة انتهت الى صورة العظم التي هي صورة نوعية جوهرية كغيرها من الاعضاء البسيطة، وليس من شأنها الاستحالة الى شيء آخر الا بعد فساد صورتها، وهي باقية الصورة في بدن الانسان، و ليس اللحم متكونا من النطفة كالعظم و الرباط و العصب و غيرها، بل انشأ الله اللحم من الغذاء لا من النطفة، و اجراها مجرى الكسوة التي تحصل لامن مادة البدن، و لذلك اذا قطع من الانسان او الحيوان اللحم عاد، و لم يكن كالعظم الذي لا يعود بعد قطعه، و كذلك العصب و غيره، و قال ايضا: هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقه ثم يخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا اشدكم، «فهذا هو الاشد الصوري و البلوغ الحيواني» ثم لتكونوا شيوخاً و منكم من يتوفى من قبل «باسباب قدرية مانعة عن الوصول الى حد الشيخوخية»، و الغاية في هذا المقدار من العمر الوصول الى الاشد المعنوي و البلوغ العقلي، فان هذا الكمال اعنى صيرورة النفس عقلاً بالفعل بعدما كانت عقلاً بالقوة ينشأ غالباً في حدود الاربعين و مابعدا كما قال: و لتبلغوا اجلاً مسمى و

لعلكم تعقلون، و اردف هذا الكلام بقوله: هو الذى يحيى و يميت فاذا قضى امرأ فانما يقول له كن فيكون، اشارة الى الحيوية العقلية النورية، ومقابلها وهو موت الجهل كما فى قوله: او من كان ميتا فاحييناه و جعلنا له نوراً يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات الاية، اشارة الى ان مبدء هذه الحيوية من عالم الامر الذى وجوده بكلمة الله التامة الوجودية، ولايتعلق وجوده بشيء آخر كبدن او مادة او طبيعة او غيرها.

و قال تعالى اشارة الى مبادئ تكون الانسان و نفسه: و اذ قال ربك للملائكة انى خالق بشراً من طين فاذا سويته و نفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين، و هذه التسوية فعل وقع من جانب الله فى محل قابل لفيضان الروح بعد ترده فى اطوار الخلقة بالتسوية و التعديل، و كما ان القابل للصورة النارية لايمكن ان يكون جسماً يابساً محضاً كالتراب و الحجر ولا رطبا محضاً كالماء و الشجر الرطب، بل لابد لقبولها من مادة دخانية تحدث من نبات يابس لطيف فتشبت به النار و تشتعل فيه، كذلك الطين، بعد ان انشأه الله خلقا بعد خلق فى اطوار متعاقبة يصير نباتا، فياً كله الادمى فيصير دماً، فينزع القوة المميزة المر كوزة فى كل حيوان من الدم صفوه الذى هو اقرب الى الاعتدال و ابعد من الكثرة و التضاد، فيصير نظفة يقبلها الرحم و يمتزج بها منى المرأة فيزداد اعتدالا، ثم ينضجها الرحم بحرارته فيزداد تناسباً حتى ينتهى فى الصفاء، و استوى نسبة الاجزاء الى غاية يستعد لقبول النفس و امساکها، كما يستعد الفتيلة الممتزجة بالدهن لقبول النارية و امساکها، ثم هذه النفس الادمية كانها نظفة روحانية وقعت من صلب القضاء فى مشيمة البدن و رحم الدنيا، يحتاج الى تصفية و تعديل الاخلاق و الملكات النفسانية، بادهان المعارف و لبوب الاغذية العلمية، لتصير مادة لفيضان الروح الالهى المنفوخ باذن الله فى قالب العقل الهولانى بعد تطوره بالاطوار الملكية، و التسوية عبارة عن هذه الافعال المرددة لمادة خلقة الانسان فى الاطوار السالكة بها الى صفة الاستواء صورة و معنى.

فالتسوية تسويتان، باحدهما يحصل الانسان البشرى لاجل فيضان

النفس عليه، و بالاخري يحصل الانسان الملكى بواسطة فيضان الروح الالهى على نفسه، فالتسوية الاولى للبدن و الثانية للنفس، كما قال: ونفس و ما سويها فالهمها فجورها و تقويها، و قوله ايضا مشيرا الى مبادئ اطوار الخلق و نهايات كمالها، الذى احسن كل شىء خلقه و بدء خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سويه و نفخ فيه من روحه و جعل لكم السمع و الابصار و الافئدة، و هذه التسوية المذكوره هاهنا هى التى وقعت من فعل الله بعد خلق الانسان و نسله، و هذا الروح المنفوخ المضاف الى الله هو الروح الامرى الذى من عالم الامر لا النفس التى وقع فيه الاشتراك لجميع الناس، و قوله «وجعل لكم» على سبيل الخطاب لجماعة مخصوصين من هذه الامة المرحومة دال على ان المراد بهذا السمع و البصر و الافئدة ما هى المخصوصة باهل الفضل و الكمال، لا الذين اصمهم الله و اعمى ابصارهم، فهم ممن ليس لهم سمع عقلى و لا بصر عقلى و لا فؤاد نورانى، فيظهر من هذا ان المراد من الروح المذكور هو الروح العلوى الالهى لا البشرى النفسانى.

ثم اشار الى ان هذا الروح هو المستحق للقاء الله، وهو يكون فى قليل من افراد الناس، و لهذا قال: قليلا ما تشكرون الى قوله «بل هم بلقاء ربهم كافرون» و هذا حال اكثر الناس.

قاعدة

فى فضل معرفة الانسان نفسه

اعلم ان فى معرفة النفس الانسانية اطلاعا على امور كثيرة. احدها انه بواسطتها يتوصل الى معرفة غيرها، و من جهلها جهل كل ما عداها.

و الثانى ان النفس الانسان مجمع الموجودات كما سيظهر، فمن عرفها فقد عرف الموجودات كلها، و لذلك قال تعالى: اولم يتفكروا فى

انفسهم ما خلق الله السموات و الارض وما بينهما الا بالحق و اجل مسمى وان كثيرا من الناس بقاء ربهم لكافرون، تنبيها على انهم لو تدبروا انفسهم و عرفوها، عرفوا بمعرفتها حقايق الموجودات فانيها و باقيها، و عرفوا بها حقيقة السموات و الارض، ولما انكروا البعث الذي هو لقاء ربهم و قال: سنريهم آياتنا في الافاق و في انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق، و قال: و في الارض آيات للموقنين و في انفسكم افلا تبصرون.

و الثالث ان من عرف نفسه عرف العالم، و من عرف العالم صار في حكم المشاهد لله تعالى، لانه خالق السموات و الارض، و لم يك كالكفرة الجهلة الذي اتكلهم الله و وبخهم في جهلهم و انحطاطهم عن هذه المنزلة، فقال فيهم: ما اشهدتهم خلق السموات و الارض و لا خلق انفسهم و ما كنت متخذ المضلين عضداً.

و الرابع انه يعرف بمعرفة روحه العالم الروحاني و بقائها، و بمعرفة جسده العالم الجسداني و دثورها و فنائها، فيعرف خسة الفانيات الدائرات، و شرف الباقيات الصالحات، كما قال: المال و البنون زينة الحياة الدنيا و الباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً و خيراً ملاماً.

و الخامس ان من عرف نفسه عرف اعدائه الكامنة فيها المشار اليه بقوله صلى الله عليه و آله «اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك» فيستعيذ منها، كما في قولهم عليهم السلام: «اللهم الهمني رشدي و اعذني من شر نفسي، و قوله: لا تكني الى نفسي طرفة عين فاهلك»، و من عرف اعدائه الكامنة و مكايدها و كيفية انبعاثها، احسن ان يحترز منها و ان يجاهدها، فيستحق ما وعد الله به المجاهدين في سبيله، و من لم يعرفها فجديران يترآى له عدوه الذي هو الهه بصورة العقل، فيسول له الباطل بصورة الحق، كما قال: رأيت من اتخذ الهه هواه، و قوله: فطوعت له نفسه قتل اخيه، و كما ورد في قوله صلى الله عليه و آله: الهوى شيطان، و قوله: الهوى اله يعبد من دون الله، و روى ايضا انه قال: ما عبد في الارض اله ابغض الى الله تعالى من الهوى، ثم تلا ارأيت من اتخذ الهه هويه.

و السادس ان من عرف نفسه عرف ان يسوسها، و من احسن ان يسوس نفسه و جنودها احسن ان يسوس العالم فيستحق ان يصير من خلفاء الله تعالى المذكورة في قوله تعالى، و يستخلفنكم في الارض، و من الملوك المذكورة في قوله: وجعلكم ملوكاً.

السابع ان من عرفها لم يجد عيباً في احد الارآه موجوداً في ذاته، اما ظاهراً مشهوداً و اما كامناً كمن النار في الحجر، فلا يكون غياباً همزاً لمازاً معجباً متفاخراً، فان كل عيب تراى له من غيره و جده في نفسه، و من تراى له عيب نفسه فجدير به ان يكون ممن دعا له النبي صلى الله عليه و آله بقوله: رحم الله من اشغله عيبه عن عيب غيره.

و الثامن ان من عرف نفسه فقد عرف ربه، و قد روى انه ما اتزل الله كتابا الا وفيه، اعرف نفسك يا انسان تعرف ربك، و في الخبر ثلاثة تأويلات.

احدها ان بمعرفة النفس يتوصل الى معرفة الرب، كقولك: اعرف العربية تعرف الفقه، اى بمعرفة العربية يتوصل الى معرفة الفقه، و ان كان بينهما وسائط.

و الثانى انه اذا حصل معرفتها حصل بحصول معرفتها معرفة الله بلافاصل، كقولك: بطلوع الشمس يحصل الضوء، مقترناً بها و بطلوعها غير متأخر عنه بزمان.

و الثالث ان معرفة الله ليست تحصل الا ان تعرف النفس، لانك اذا عرفت على الحقيقة تعرف العالم، و اذا عرفت العالم تعرف الحق تعالى.

و فيه وجه رابع و هو انك اذا عرفت النفس فقد عرفت الرب، و هذا هو الغاية في معرفته، لا يمكن لك فوق هذه المعرفة، و اليه الاشارة بما قال على عليه السلام: ان العقل لاقامة رسم العبودية لا لادراك الربوبية، ثم تنفس الصعداء و انشاء يقول.

كيفية النفس ليس المرء يدركها
كيفية معرفة الجبار فى القدم
هو الذى انشأ الاشياء مبتدعاً
كيفية يدركه مستحدث النسم

و قوله تعالى: و لاتكونوا كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم، تنبيهه على انهم لو عرفها انفسهم لعرفوا الله، فلما جهلوا دل جهلهم اياه على جهلهم انفسهم.

قاعدة

في الاشارة الى قوى الاشياء التي جمعت في الانسان

قد جمع الله فيه قوى العالم، و اوجده بعد وجود الاشياء التي جمعت فيه، قال تعالى تنبيهها على ذلك، الذي احسن كل شيء خلقه و بده خلق الانسان من طين، فانه تعالى اوجد فيه بسايط العالم و مركباته و روحانياته و جسمانياته و مبدعاته و مكوناته، فالانسان من حيث انه جمع فيه جميع ما وجد في العالم من اقسام الجواهر و الاعراض و البسائط و المركبات و الارواح و الاجسام هو العالم و من حيث انه صغر شكله و جمع فيه قوى العالم، فهو كالمختصر من الكتاب و النسخة الموجزة المنتخبة منه، لان المختصر الموجز من الكتاب هو الذي قلل لفظه و استوفى معناه، و الانسان هو هكذا اذا قابلناه مع العالم، و من حيث انه صفوة العالم و لبابه و خلاصته و ثمرته فهو كالزبد من المخيض و الدهن من السمس و الزيت من الزيتونة، و معرفة الله فيه اذا حصلت فكنور المصباح اذا اشتعل الزيت، قال تعالى: مثل نوره، اى فى قلب المؤمن كما فى قراءة ابن مسعود كمشكوة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الاية، فالمشكوة البدن، و الزجاجه الروح الحيوانى التى هى بمنزلة المرآة لصفائها و قبولها لصور المحسوسات، التى هى عكوس الصور الحقيقية و اشباحها المثالية، و الزيت القوة القدسية التى هى افضل ضروب العقل الهيولانى، و هو اول درجة النفس الناطقة و آخر درجة النفس الحساسة، و هو بعينه القوة الخيالية عندنا، لانها ايضاً مجرد عن البدن موجودة لا فى عالم الطبيعة، بل فيما فوق هذا العالم، و الشجرة المباركة هى القوة الفكرية التى هى افضل ضرب من القوة الخيالية، لانها اذا قويت تصير متفكرة.

فاذن نقول فى بيان ان الانسان مطابق للعالم، ان فيه اشياء هى امثال ما فى العالم الكبير، ففيه اشياء كالعناصر من حيث مافيه من الحرارة و البرودة و الرطوبة و اليبوسة، او من حيث مافيه الدم و البلغم و الصفراء و السوداء، و اليه الاشارة بقوله تعالى: انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج، اى مختلطة من قوى امور مختلفة، و فيه اشياء كالمعادن و الجبال من حيث مافيه من العظام و الاعضاء، و شىء كالنبات من حيث مايتغذى و ينمو و يولد، و شىء كالبهيمة من حيث ما يحس و يتخيل و يلتذ و يتألم و يشتهى و يغضب، و شىء كالسباع من حيث ما يحارب و يصول، و كالشيطان من حيث ما يغوى و يضل، و كالملائكة من حيث ما يعرف الله و يعبده و يهلله و يحمده و يسبحه و يقده، و كاللوح المحفوظ لقوة حفظه لمدرجات الاشياء او من حيث ما جعله مجمع الحكم التى كتبها فيه على سبيل الاختصار.

و قد ذكر بعض الحكماء ان فى بدن الانسان اربعة آلاف حكمة و فى نفسه قريباً من ذلك، و كالقلم من حيث ما يستحضر و يستثبت صور المعقولات فى نفسه على وجه التفصيل بقوة عقله البسيط الذى كمن فيه الكل على وجه الاجمال، او من حيث ما يثبت بكلامه صور الاشياء فى قلوب الناس، كما ان القلم يثبت الحكم و العلوم فى اللوح المحفوظ و قلوب الملائكة، و لاجل صحة المطابقة بين الانسان و العالم قال: ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة.

قاعدة

فى ذكر تكون الانسان شيئاً فشيئاً حتى يصير انساناً كاملاً

الانسان يتكون اولاً من امر عدمى، و هى قوة هيولانية، و اليه الاشارة هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً، و يتكون ايضاً جماداً ميتاً، لقوله تعالى: كنتم امواتاً فاحياكم، و ذلك حيث كان تراباً و طيناً و صلصالاً و نحوها، ثم يصير نباتاً نامياً لقوله تعالى: و الله انبتكم من الارض نباتاً، و ذلك حيث ما كان نطفة و علقة و مضغة، ثم يصير حيواناً

لقوله: فجعلناه سمياً بصيراً، ثم يصير انساناً بشرياً متفكراً متصرفاً في الامور، لقوله: انا هديناه السبيل اما شاكراً و اما كفوراً، و قوله: اكفرت بالذي خلقتك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلاً، ثم يصير انساناً معنوياً ذاتاً نفساً ناطقة، لقوله: ثم انشأناه خلقاً آخر فتبارك الله احسن الخالقين، ثم يصير ان ساعده التوفيق و العناية جوهرأً قدسياً و روحاً الهياً، لقوله: فاذا سويته و نفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين.

و اول ما يظهر فيه قوة النزاع الموجودة في النبات و الحيوان و هو الميل الى الملايم ميلاً بالطبع، ثم قوة تناول الموافق و دفع المخالف، و هي قوة الشهوة و النفرة، ثم الاحساس ثم التخيل ثم التصور ثم التفكير ثم التعقل النفساني التفصيلي ثم العقل البسيط الاجمالي، لكنه لم يصير انساناً الا بالفكرة و بالعقل الذي به يتميز في الجملة بين الحلال و الحرام في الافعال، و بين الخير و الشر في الذوات، و الجميل و القبيح في الصفات، و هو اول درجة الانسانية.

و الى العقل اشار بقوله تعالى: و صوركم فاحسن صوركم، فالانسان صار بعقله معدن العلم و مركز الحكمة، و وجود العقل فيه في ابتداء الامر بالقوة، كوجود النار في الحجر المحتاج في ان يورى الى القدح و كوجود النخل في النواة المحتاج في ان يثمر الى غرس و سقى، و نفس الانسان واقعة بين عالمين عالم الملكوت و عالم الملك، بل بين قوتين قوة العقل و قوة الشهوة، فبقوة الشهوة يحرص على تناول اللذات و المشتبهات البهيمية و السبعية، و بقوة العقل يحرص على تناول العلوم الحكيمة و الافعال الجميلة، و الى هاتين القوتين اشار بقوله: انا هديناه السبيل اما شاكراً و اما كفوراً، و الاغلب على اكثر الناس هي قوة الشهوة و الميل الى الدنيا، و لذلك قال تعالى: كلا بل تحبون العاجلة و تندرون الآخرة، و لذلك قال صلى الله عليه و آله: حفت الجنة بالمكاره و حفت النار بالشهوات، و لاجله لا يستغنى اكثر الناس في سلوك طريق الآخرة عن سياسة قاهر زاجر اياه، حتى وردانه قال عليه السلام: يا عجباً لقوم يقادون الى الجنة بالسلاسل.

و بالجمله فذات الانسان من حيث ما اجتمع قوى جميع الموجودات صار معدن آثارها و مجمع حقايقها، مستودعاً فيه معانى العالم، و كأنه مركب من جماد و نبات و بهائم و سباع و شياطين و ملائكة، و لذلك يظهر فى شعار كل واحد منها، فيجرى تارة مجرى الجمادات فى الكسل و قلة التحرك و الانبعاث، و على هذانبه بقوله: ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة او اشد قسوة، و قد يظهر فى شعار النباتات الجميلة و الذميمة، فيصير اما كالاترج فى لونه و طيبه و طعمه، او كالنخل و الكرم فى المنافع، او كالحنظل فى خبث المذاق، و كالكشوث^١ فى عدم الخير، و على هذا نبه بقوله: مثل كلمة طيبة و مثل كلمة خبيثة الاية، و يظهر تارة فى شعار الحيوانات المحموده او المذمومة، فيصير اما كالنحل فى كثرة منافعه و قلة مضاره و فى حسن سياسته، كما فى قوله تعالى: و اوحى ربك الى النحل الاية، او كالخنزير فى الشره، او كالذئب فى العيث^٢، او كالكلب فى الحرص، او كالنمل فى الجمع و الادخار، او كالفارة فى السرقة، او كالثعلب فى المراوغة^٣، او كالقرد فى المحاكة، او كالحمار فى البلادة، او كالثور فى الاكل، و الى هذا النحو من المشابهات دل بقوله تعالى: و ما من دابة فى الارض و لاطائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم، و يظهر تارة فى صفات الشياطين و يسولوا لباطل فى صورة الحق كما دل بقوله تعالى: شياطين الانس و الجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا.

و افضل قوة فيه التى بها يستحق خلافة الله فى العالم هى القوة العقلية، و اشرف صفاتها التى بها يفوق على الملائكة كلها هى العلم و الحكمة، كما جعل الله النبات زبدة العناصر و الحيوان زبدة النبات، و جعل الانسان سلالة العالم و زبדתه، و هو المخصوص بالكرامة، كما قال: و لقد

١- نبات محبث مقطوع الاصل وهو صفر يتعلق باطراف الشوك وغيره و الذى يركب النباتات الزراعية .

٢- عاث الذئب فى الغنم اى اسرع فى افساده .

٣- خادعه اى على وجه المكر .

كرمنا بنى آدم الاية، فكذا جعل قوة العقل و المعرفة غاية وجود الانسان و الغرض منه، اذ ليس فضل الانسان بقوة الجسم، فالفيل و البعير اقوى منه اجساماً، ولا بطول البقاء فى الدنيا، فالنسر و الفيل اطول منه عمراً، ولا بقوة الغضب و شدة البطش، فالاسد و النمر منه اشد بطشاً، ولا باللباس و الزينة، فالطاوس و الدراج احسن منه لباساً، ولا بقوة النكاح، فالحمار و العصفور اقوى منه نكاحاً، ولا بكثرة الذهب و الفضة، فالمعادن و الجبال اكثر منه ذهباً و فضة، وما احسن قول الشاعر.

لولا العقول لكان ادنى ضيغم ادنى الى شرف من الانسان
لما تفاضلت النفوس و دبرت ايدى الكمأة عوالى المران

و ليس فضل الناس على غيره بعنصره الموجود منه، كما زعم ابليس اللعين حيث قال: خلقتنى من نار و خلقتته من طين، بل ذلك بما خصه الله تعالى من المعنى الذى ضمنه فيه، و الامر الذى اعطاه له و به استحق سجدة الملائكة، فاشار اليه بقوله تعالى: فاذا سويته و نفخت فيه من روحى فقعدوا له ساجدين، و الملائكة لما تنبهوا بذلك فاذعنوا و سجدوا له، كما امرهم الله، و ابليس لما نظر ظاهر آدم و مبدء امره تغلظ و تعامى فيما ذكره الله تعالى، ولم يتأمل المعنى الذى ضمنه الله فيه، و العاقبة التى حوله الله اليها ابنى و استكبر، و قد اقتدى بابليس الكفار فى رد الانبياء حيث «قالوا ما هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم»، و قوله: وما لهذا الرسول يأكل الطعام و يمشى فى الاسواق، و نبه الله تعالى ان الاعتبار بفضلهم ليس بظاهر ابدانهم، و انما ذلك لمعنى مستودع فى نفوسهم تعمى الكفار عنها فقال: و تريهم ينظرون اليك و هم لا يبصرون، اى لا يعرفون ما فضلهم الله به «ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيراً كثيراً و ما يذكر الا اولوا الالباب ذلك فضل الله يؤتية من يشاء و الله ذو الفضل العظيم» ..

قاعدة

في تفاوت افراد الناس و اختلافهم

الاشياء كلها متساوية غير متفاوتة من حيث انها مصنوعة بحكمة صانع واحد حكيم، و على ذلك نبه بقوله تعالى: ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت، و ذلك لاشتراكها بقبول فيض الرحمة و الجود، و لاتفاقها فى التوجه الى جانب الحق المعبود، ولكن يختلف من حيث ان كل نوع يختص بمعنى معين و حد محدود، بعد اتفاقها فى الاتصاف بالوجود، فاختلف الماهيات انما نشأ من اختلاف مراتبها فى القرب و البعد من منبع الوجود و معدن الفيض و الجود، و كذلك يختلف افراد ماهية واحدة بعد اتفاقها فى النوع بامور لاحقة لها مخصصة لافرادها، ثم لاشىء من افراد نوع واحد اكثر اختلافاً و تفاوتاً من افراد البشر، كما قال تعالى: وقد خلقكم اطواراً، و قال: و رفعنا بعضكم فوق بعض درجات، و قال: انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض و للاخرة اكبر درجات و اكبر تفضيلاً.

و اعلم ان اختلاف افراد الانسان بحسب هذه النشأة اختلاف بالعوارض، و بحسب النشأة الاخروية اختلاف بالذاتيات، و تحقيق ذلك موكول الى بعض كتبنا، و سنشير اليه فيما سيأتى من احوال المعاد، و قال: ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ولكن ليلوكم فى آتكم، و قال: ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة ولايزالون مختلفين الا من رحم ربك.

و اعلم ان الحكمة مقتضية لاختلاف الناس فى هذه النشأة، و ذلك لان الانسان لما كان غير مكفى بتفرده لان يعيش، حتى لو ان انساناً حصل وحده لامتنع او تعذر بقاؤه ادنى مدة، فان اول ما يحتاج اليه ما يغذوه وما يواريه، و ليس يجد ما يغذوه مطبوخاً، ولا ما يواريه مصنوعاً، كما يكون لكثير من الحيوانات بل هو مضطر الى اصلاحهما، و اصلاح شىء منهما يحوجه الى آلات غير مفروغ عنها، و الانسان الواحد لاتوصل له الى اعداد جميع ما يحتاج لتعيش به المعيشة الحميدة، فلم يكن بد للناس ممن

يشارك و يعاون، فجعل لكل قوم صنعة و هيئة مفارقة للصنعة الاخرى و هياتها، فقسمت الصناعات بينهم كما قال: نحن قسمنا بينهم معيشتهم، فيتولى كل صنعة من الصناعات فيتعاطاه باهتزاز، كما قال: فتقطعوا امرهم بينهم زبراً كل حزب بما لديهم فرحون، فاقترضى ذلك ان يختلف جشثهم و قواهم و هممهم و اغراضهم، ليكون كل ميسراً لما خلق له، و قال: قل كل يعمل على شاكلته، فيكون معايشهم مقسمة بينهم كما نبه تعالى بالآيات المتقدمة و يمثل قوله: ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة، فالناس اذا اعتبروا من حيث اختلاف اغراضهم و دواعيهم و هممهم فهم فى تعاطى صناعاتهم فى حكم المسخرين، و ان كانوا فى الظاهر من المختارين، و قد وقعت الاشارة الى ما يتعلق بالمصلحة بتباين الناس فى ما روى انه قال صلى الله عليه وآله: لا يزال الناس بخير ما تباينوا فاذا تساوا هلكوا.

تذكرة فيها تبصرة

و اعلم ان اسباب تفاوت الناس فى الصناعات و الاغراض امور سبعة.
اولها اختلاف الامزجة و تفاوت الطينة و اختلاف الخلقة، كما اشير اليه فيما روى «ان الله لما اراد خلق آدم امر ان يؤخذ قبضة من كل ارض فجاء بنو آدم على قدر طينتها الاحمر و الابيض و الاسود و السهل و الحزن و الطيب و الخبيث»، و الى هذا اشار بقوله: و البلد الطيب يخرج نباته باذن ربه و الذى خبث لا يخرج الا نكداً، و بقوله: هو الذى يصوركم فى الارحام كيف يشاء.

و ثانيها اختلاف احوال الوالدين فى الصلاح و الفساد، و ذلك ان الانسان قد يرث من ابويه آثار ما هما عليه من جميل السيرة او قبيحها، كما يرث تشابههما فى خلقتهما، و لهذا قال تعالى: و كان ابوهما صالحاً، و على نحو ما روى انه قال فى التوراة انى اذا رضيت باركت، و ان بركتى

لتبلغ البطن السابع، و اذا سخطت لعنت و ان لعنتى لتبلغ البطن السابع تنبيهاً على ان الخير و الشر الذى يكتسبه الانسان و يتخلق به يبقى اثره موروثا الى البطن السابع.

و الثالث اختلاف مايتكون منه النطفة التى تكون منها الولد، ودم الطمث الذى يتربى به، فلذلك تأثر بحسب طيب ما يكونان منه و خبثه، و لهذا قال صلى الله عليه و آله: تخيروا لنطفكم، و قال: الناكح غارس فلينظر اين يضع غرسه، و قال: اياكم و خضراء الدمن قيل و ما خضراء الدمن، قال: المرثة الحسناء فى منبت السوء.

و رابعها اختلاف ما يتغذى به من طيب الرضاع و طيب المطعم الذى يتربى به، و لتأثير الرضاع الطيب ورد فى الحديث «الرضاع يغير الطباع»، و يقول العرب لمن تصفه بالفضل «لله درك».

و خامسها اختلاف احوالهم فى تأديبهم و تلقينهم و تعويذهم العادات الحسنة و القبيحة، فحق الوالد ان يأخذ الولد بالاداب الشرعية، و اخطار الحق بباله، و تعويده فعل الخيرات، كما قال صلى الله عليه و آله: مروهم بالصلوة لسبع، و اضربوهم لعشر، و يجب ان يصاب عن مجالسة الاردياء فى حال صباه، فانه كالشمعة يتشكل بكل شكل، و ان يحسن فى عينه الكرامة و الشرف و المدح، و يقبح عنده المهانة و المذلة و الخسة و الذم، و يعود مخالفة الشهوة و مجانبة الهوى، قال بعض الحكماء: من سعادة الانسان ان يتفق له فى صباه من يعوده تعاطى الشريعة، حتى اذا بلغ الحلم و عرف وجوبها فوجدها مطابقة لما يعوده قويت بصيرته و نفذت فى تعاطيها. و سادسها من يتخصص به، فيأخذ طريقة فيما يتمذهب به.

و سابعها اختلاف اجتهاده فى ترقية نفسه بالعلم و العمل حين استقلاله بنفسه.

فالفاضل التام الفضيلة من اجتمعت له هذه الاسباب المسعدة، و هو ان يكون طيب الطينة معتدل الامزجة، جاريا فى اصلاب آباء صلحاء ذوى امانة و استقامة، متكونا من نطفة طيبة و دم طمث طيب على مقتضى الشرع،

و مرتضع بدر طيب، مأخوذاً في صغره من قبل مربية بالاداب الصالحة، و بالصيانة عن مصاحبة الاشرار، و متخصصاً بعد بلوغه بمذهب حق، و مجتهداً بنفسه في تعرف الحق مسارعاً الى الخير فمن وفق في هذه الاشياء يجمع فيه الخيرات من جميع الجهات، كما قال تعالى: لاكلوا من فوقهم و من تحت ارجلهم، و يكون جديراً ان يعد ممن وصفه الله تعالى: و انهم عندنا لمن المصطفين الاخير، و الرذل التام الرذيلة، هو من يكون بعكس ذلك في الامور التي ذكرناها.

قاعدة

في ان افراد البشر ذوات نفوس حيوانية جزئية مجردة
كلها عن البدن الطبيعي لا عن الصورة المثالية

اعلم ان لكل من افراد البشر قوة خيالية يحضر عندها الصور الادراكية الغير الموجودة في مواد هذا العالم، اذ ليست هي ذوات جهات و اوضاع و احياز من هذا العالم الطبيعي، و كل قوة هذا شأنها فهي مجردة الذات عن المواد الطبيعية، فلكل من افراد البشر خيال بالفعل، و لاجل ذلك يحشرون في الاخرة و يبعثون الى عالم آخر قوله تعالى: يوم ينفخ في الصور فتأتون افواجا، و لسائر الحيوانات نفوس حساسة بالفعل متخيلة بالقوة، فليس لها نشأة اخرى، و لاحشر ولا نشر، اللهم الاعلى ضرب آخر لاعلى وجه الامتياز و الاستقلال كما بيناه في بعض رسائلنا.

قاعدة

في ان افراد الانسان تصير متخالفة الحقايق و المهيئات في
آخر الامر بحسب الباطن، بعدما كانت متفقة الحقيقة
و الماهية في بداية الخلقة، بيان ذلك

ان النفس الانسانية هي آخر الصور الجسمانية و افضلها، و اول

المعاني الروحانية وادونها، لانها جسمانية الحدوث روحانية البقاء، و انها
 انما تحدث بسبب استعداد البدن، و تبقى بسبب ملكات نفسانية راسخة تصير
 صورة ذاته، و تخرج بها من القوة الى الفعل، لانها في اول الحدوث امر
 بالفعل في هذه النشأة الطبيعية، و هي بعينها امر بالقوة في النشأة الاخرة،
 فهي صورة في هذا العالم و هيولى في عالم آخر، فلها ان تخرج ذاتها
 من القوة الى الفعل بواسطة حركات و استحالات نفسانية تستعد بها لصورة
 من اجناس الصور الاخرية و تتحد بها، و تصير ذاتها بعينها كالهيولى
 للجسام الطبيعية ان يخرج من القوة الى الفعل بواسطة حركات جسمانية
 تستعد بها لصورة من اجناس الصور الدنياوية و يتحد بها، كما هو التحقيق
 من الاتحاد بين المادة و الصورة، و كما ان الله خلق في هذا العالم من المادة
 الجسمانية انواعاً من الحيوانات كالسباع و البهائم و الوحوش و الحيات
 و العقارب وغيرها، فكذلك يخلق في الاخرة من المادة النفسانية من الانسان
 انواعاً من المخلوقات كالملك و الشيطان و السبع و البهيمة و كل نوع من
 انواع الحيوانات، و هي كلها مخلوقة من النفس الانسانية، و الانسان نوع
 واحد في هذا العالم، كما قال تعالى: انما انا بشر مثلكم، و ستصير انواعاً من
 اجناس كثيرة متخالفة، و في القرآن آيات كثيرة دالة على ما ذكرناه من
 التحقيق، و هو مما الهمنا الله به خاصة من بين اهل النظر و لم اجد فى
 كلام احد من الحكماء وغيرهم، و الحمد لله العزيز الوهاب الذى شرفنا به
 من بين الاصحاب، منها قوله تعالى: و يوم نحشر من كل امة فوجاً ممن
 يكذب باياتنا فهم يوزعون، و قوله: يومئذ يصدر الناس اشتاتاً ليروا اعمالهم،
 و قوله: وما كان الناس الا امة واحدة فاختلقوا، و لولا كلمة سبقت من ربك
 لقضى بينهم فيما فيه يختلفون.

يعنى حكم عليهم فى الدنيا بما هو مقتضى صور قلوبهم و ظهورها فى
 الخارج و تشكل ابدانهم باشكل مناسبة لهيات نفوسهم كما فى الاخرة، و
 قوله: ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ولكن يضل من يشاء و يهدى من يشاء و
 لتسئلن عما كنتم تعملون، و قوله: افنجعل المسلمين كالمجرمين مالكم كيف

تحكمون، و قوله: هل يستوى الذين يعلمون و الذين لا يعلمون، و قوله: و امتازوا اليوم ايها المجرمون، و قوله: ما كان الله لينذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب الاية، و قوله في حق بلعم بن باعور: مثله كمثل الكلب، و في حق حملة الاسفار من غير فهم: مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بايات الله، و قوله: اولئك كالانعام بل هم اضل، و قوله في حق بعض افراد البشر «اولئك هم شر البرية» و في حق بعض آخر «اولئك هم خير البرية».

ولا شبهة في ان نفس من هو خير الخلايق لاتساوى في الحقيقة النوعية لنفس من هو شر الخلايق، وما اشد في السخافة و البطلان قول من زعم ان نفس افضل البرية خاتم الانبياء صلى الله عليه و آله مع نفس ابي جهل متمثلان في تمام الحقيقة النوعية الانسانية، و انما تتخالف بينهما بواسطة عوارض و احوال خارجة عن تمام المهية النوعية و عن اصل الجوهر و الذات.

و اعلم ان الله قد حكم بكفر من قال بان نفس النبي صلى الله عليه وآله مماثلة لنفوس سائر البشر في قوله: قالوا ابشر يهدونا فكفروا و تولوا، و قوله تعالى: ابشراً منا واحداً نتبعه و اما قوله تعالى: قل انما انا بشر مثلكم فانما ذلك بحسب هذه النشأة الظاهرة.

قاعدة

في ان الروح الناطقة باقية بعد خراب البدن وبيانه على ما هو المشهور

ان اجزاء البدن يتحلل و يتبدل و المدرك منك ثابت، فلو كانت النفس تبطل ببطلان البدن لبطلت عند التبدل، كيف و علاقتها مع الروح البخارى و هو ابدى في التحلل و السيلان، و لان كل ما يندم فانما يندم بانعدام شىء من علله و اسبابه، و النفس ليست لها مادة ولا صورة بل صورتها ذاتها و فاعلها غير قابل للفناء، و كذا غايتها، و اذلا محل لها فلا مضاد ولا

مزاحم لها حتى يبطلها او يتغير به استعداد محلها، و ليس بينها و بين البدن
الاعلاقة شوقية و هى اضافة و الاضافة اضعف الاعراض، و زوالها لا يوجب
زوال الذات المضافة، و الا لكان اضعف الاعراض مقوماً لوجود الجوهر
وهو محال، هذا خلاصة كلام الفلاسفة فى هذا الباب و فيه بحث من وجهين.

الاول ان النفس الانسانية عندهم جوهر عقلى و انها عندهم اولا
عقل بالقوة و انما يصير عقلا بالفعل بعد مزاوله الاكتساب و تحصيل العلوم
الحقيقية، حتى يخرج ذاتها من القوة الى الفعل، فقبل سيرورتها عقلا كيف
يبقى بدون البدن مستقل الوجود مفارق الذات، فان كل مفارقة الذات
مستقل الوجود عندهم عقل بالفعل، و كل عقل بالفعل كامل فى العلم و
المعرفة، و المقدر خلافه، هذا خلف، و لهذا وقع الاختلاف بين تلامذة المعلم
الاول و شراح كلامه فى بقاء العقل الهولانى بعد بوار البدن، فذهب
الاسكندر الافروديسى الى ان النفوس الانسانية اذا فارقت الابدان و هى
هولانية، فانها تبطل اذ لم يتصور بشئ من الصور العقلية التى تقوم بها
بالفعل، و اما ثامسطيوس فانه كان يخالفه فى هذا الرأى و يرى ان هذه
القوة باقية، و اما رئيسهم ابوعلى فقد مال الى مذهب ثامسطيوس فى اكثر
كتبه و مال الى مذهب الاسكندر فى بعض رسائله.

و اعلم ان الموافق لاصول الفلاسفة القايلين بعرضية القوة الخيالية،
الغافلين عن جوهريتها و قوامها بذاتها لا بالعضو الدماغى، هو المذهب
الاول لما اشرنا اليه من ان المادة العقلية لا وجود ولا بقاء لها الا بصورة
عقلية تقومها بالفعل.

و اما ما رأينا و تفردنا باثباته بالبرهان من تجرد القوة الخيالية
عن البدن الطبيعى، و اتحادها ببدن محشور باق فى عالم البرزخ، فجميع
نفوس الانسانية حتى العوام و الصبيان باقية بعد هذا البدن، كما هو موافق
للشريعة و الكتاب و السنة، بل هو من ضروريات الملة الحنيفة.

و ثانيهما ان نفسية النفس نحو وجودها الخاص الذى يلزمه
الاضافة الى البدن الطبيعى، وليست هذه الاضافة كاضافة الاشياء التى عرضت

لها الاضافة بعد تمام وجودها وهويتها، كالملك و الربان و الرئيس و الاب وغير ذلك مما يعرض له الاضافة بعد تمام الذات فالاضافة التي من قبيل القسم الاول يزول بزوالها ذات المضافة بنفسها كهيولية الهيولى، و كذا حكم نفسية النفس، فيلزمهم بطلان جوهر النفوس ببطلان اضافاتها الى البدن، اللهم الا ان يذهبوا الى ما ذهبنا اليه من اثبات الحركة الجوهرية و اثبات الاشتداد في وجود الجوهر النفساني، كما دلت عليه البراهن المذكورة في كتبنا، و الآيات القرآنية المذكورة آنفاً، و المتأخرون من الحكماء كابي على و من يحذو حذوه مصرود غاية الاصرار في نفى هذه الاستحالة الجوهرية، و لذلك قصروا و عجزوا عن اثبات كثير من المقاصد الحققة، كحدوث الاجسام و دثور العالم الطبيعي كله، و كاتحاد العاقل بالمعقول، و كاثبات المعاد الجسماني، و بقاء اكثر النفوس و هي الناقصة و المتوسطة في الكمال و غير ذلك من المطالب الشريفة التي من اوتيتها فقد اوتى خيراً كثيراً.

اما الآيات الدالة على بقاء النفوس بعد خراب هذا البدن الطبيعي فكثيرة منها قوله تعالى: ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتاً بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله، و كان المراد من هذه الحيوة هي الحيوة العقلية المختصة بالكاملين في العلم، فانهم الاحياء حيوة عقلية، الساكنون في حظيرة القدس عند ربهم المرزوقون بالارزاق المعنوية و الانوار العقلية، و يكون فرحهم اى ابتهاجهم و لذتهم العقلية بالحكمة لا بغيرها من اللذات الحسية و الخيالية، وقد وقع التعبير عن الحكمة بما آتاهم الله من فضله على وفاق قوله: من يؤت الحكمة فقد اوتى خيراً كثيراً، و قوله في سورة الجمعة بعد ذكر تعليم الكتاب و الحكمة: ذلك فضل الله يؤتیه من يشاء و الله ذو الفضل العظيم، فعلم ان المراد هاهنا بما آتاهم الله من فضله هو بعينه المذكور في تينك الآيتين، و منها قوله: ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله امواتاً بل احياء ولكن لا تشعرون، و قوله: الى ربك يومئذ المستقر، و قوله: الى ربك يومئذ المساق، و قوله: الى ربك

الرجعي، و قوله: ان الابرار لفي نعيم و ان الفجار لفي جحيم، و قوله: وهو الذي ذرأكم في الارض و اليه تحشرون، و قوله: و صوركم فاحسن صوركم و اليه المصير، و قوله: يوم يقوم الناس لرب العالمين، و قوله: ان كتاب الابرار لفي عليين وان كتاب الفجار لفي سجين، و المراد منه كتاب النفس، و كذا قوله: و اذا الصحف نشرت، فان النفوس في هذا العالم مطوية بما فيها من الهيآت و النقوش، و الاجسام بما فيها من الاعراض و الصور منشورة، و في الاخرة بالعكس من ذلك، فان اجرام السموات مطوية هناك لقوله تعالى: يوم نظوى السماء كطى السجل للكتب، و الاجرام الارضية مقبوضة لقوله: و الارض جميعا قبضته يوم القيامة، و النفوس و الارواح مكشوفة بارزة.

و اعلم ان جمهور الفلاسفة لم يعلموا من حقيقة الروح و ماهية النفس الا قدراً يسيراً، يلزم من احوال بعض مراتبها و مقاماتها من جهة ما نظروا في احوال البدن و عوارضه، و ذلك مثل كونها مدركة مدبره، و هاتان صفتان نسيبتان يشترك فيهما الحيوانات، و اما ما ادركوا من بقائها بعد انقطاع تصرفها عن البدن فانما عرفوا ذلك من كونها محل العلوم، و ان العلم لا ينقسم، فلا يتصور انقسام محله، و فيه مواضع انظار كما ذكرناه في كتبنا العقلية، سيما عند المحقق العارف انه ليس العلم بالحقايق العقلية بحلول صورتها في النفس، و اما الحكم بكونها قبل البدن فاكثرهم انكروا ذلك، و من قال منهم به فلم يقيم عليه برهانا و لم يقدر على دفع الشكوك الواردة على ذلك، و لم يمكنه اختيار احد الشقين، من كون النفس قبل البدن هل كانت واحدة او كثيرة، لانه يلزم على كل من الشقين ما يخالف اصولهم الاعتقادية، و اذا كان حال هؤلاء العقلاء الفضلاء من امر النفس هكذا، فكيف حال من سواهم من اهل الجدال و اولى وساوس الخيال، و لاجل ذلك قال تعالى: و يسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربي و ما اوتيتم من العلم الا قليلاً.

قاعدة

فى بطلان التناسخ

التناسخ اعنى انتقال النفس الشخصية من بدن الى بدن محال، سواء كان البدن عنصرياً او فلكياً او طبيعياً او برزخياً، ببرهان افادنا الله تعالى اياه، و هو ان النفس فى اول تكونها الطبيعى متحدة مع البدن، وهى بالقوة فى كل مالها من الاحوال و الادراكات، حتى فى كونها حساسة، ثم يتدرج فى الاشتداد و الترقى، فيصير اولاً طبيعياً حافظة، ثم جوهرأً غاذياً منمياً مولدأً، ثم حساساً على التدريج من اكثف الحواس الى الطفها، فكانت اولاً قوة اللمس ثم الذوق ثم الشم ثم السمع و البصر ثم يصير متخيلاً، وهاهنا او ان تجرده عن البدن الطبيعى كما اشرنا اليه، ثم يصير متفكراً ذا كراً، ثم عاقلاً و معقولاً، و عند ذلك او ان تجردها عن العالمين و مفارقتها للنشأتين، فقدبان ان للنفس قبل تجردها مطلقاً مقامات طبيعية، يناسب كل منها لمزاج خاص و تكون معين، و سن مخصوص من اسنان البدن من الجنينية و الطفولية و الصبوية المراهقية و الشباب و الكهولة و الشيخوخة و الموت و البعث.

و بالجملة النفس و البدن يتحرران معاً فى التحولات الطبيعية، و يستكملان معاً فى الكمالات التى تناسب كلا منهما بحسبه الى ان يقع لها التفرد بذاتها منسلخة عن البدن، و الحاصل ان لكل طبيعة حركة جوهرية ذاتية الى غاية ما، و لها فى كل حد من حدود الانتقال مرتبة من الوجود يكون بحسبها فعلاً و قوة، فعلاً بالقياس الى سابقها، و قوة بالقياس الى لاحقها، و كل موجود صار بالفعل شيئاً، فلا يمكن عوده الى الحالة التى كانت فيها بالقوة، ولان الحركات الطبيعية متوجهة الى مالها من الكمال، فيمتنع ان يقع شىء منها على وجه الانتكاس مخالفاً للمجرى الطبيعى.

فاذا تمهد هذا فنقول: كما لا يمكن ان تصير القوة الحيوانية نباتية ولا النباتية معدنية ولا المعدنية صورة عنصرية على عكس ما هو المجرى

الطبيعي الذي فطر الله الاشياء عليه، فكذا يمتنع ان يتعلق النفس التي كانت متعلقة ببدن و خرجت في بعض مالها من الاحوال من القوة الى الفعل تارة اخرى بمادة بدنية حادثة عند اول تكوينها كالنطفة او الجنين و نحو ذلك، فان النفس المنسلخة عن بدن من الابدان قد خرجت في بعض مالها من كمالات الوجود من القوة الى الفعل، و ظاهر انها لا يمكن فرض تعلقها الثانوى ببدن جديد الا عند حدوثه و اول تكونه، فاذن يلزم من انتقال النفس الى بدن آخر كون انسان واحد بحيث يكون نفسه بالفعل و بدنه بالقوة، و هذا محال كما اوضحناه، فثبت ان التناسخ بالمعنى المذكور محال.

اما التناسخ بمعنى تحول النفس و انتقالها على سبيل الاتصال من نوع الى نوع فليس بممتنع، كنقل الصورة الطبيعية لمادة خلقة الانسان من الجمادية الى النباتية و منها الى الحيوانية و منها الى الانسانية ثم الى الملكية وما بعدها، او على وجه النزول كما في امة موسى عليه السلام ظاهراً و في هذه الامة باطنا، و هذا الانتقال على وجه النزول لاينا في ما ذكرناه آنفاً، من توجه كل نفس الى ما فوقها، و ذلك لان الخروج من القوة الى الفعل في شىء من الكمالات الحيوانية لاينا في الشقاوة فى الاخرة بل يؤكده، فان الطرق الى الدار الاخرة متفاوتة، بعضها طرق السعادة والوصول الى دار الكرامة و القرب من عند الله، و بعضها طرق الشقاوة و الوصول الى دار الانتقام و البعد من رضوانه.

و مما ورد فى مسخ الباطن لهذه الامة هو قول النبي صلى الله عليه وآله فى حق طائفة: اخوان العلانية اعداء السريرة، يلبسون جلود الكباش و قلوبهم كالذئاب، السننهم احلى من العسل و قلوبهم امر من الصبر.

كشف خفاء لبسط ضياء

اعلم ان مانسب الى قدماء الحكماء كافلاطن و من سبقه من اساطين الحكمة و هم المقتبسون انوار علومهم من مشكوة النبوة، هو بعينه ما ورد

فى الشرايع الحققة الالهية من صيرورة النفوس الادمية على صور انواع الحيوانات، مناسبة لاعمالهم و افعالهم المؤدية الى ملكاتهم، و لهذا قيل: ما من مذهب الا و للتناسخ فيه قدم راسخ، ثم ان المتأخرين كابى نصر و ابى على و من يقتنى اثرهما، لما لم يظفروا بتحقيق النشأة الاخرية الجزئية للنفوس الحيوانية المنسلخة عن الابدان الطبيعية، التجأوا تارة الى القول بان النفوس الشقية الفاجرة ينتقل بعد هذا البدن الى ابدان الحيوانات الصامتة فى جهنم، و هى عالم العناصر عندهم و النفوس الكاملة العارفة يرتقى الى عالم السموات و هى الجنة عندهم، و هذا ما ذهب اليه اخوان الصفا، و تارة التجأوا الى القول بان بعض النفوس كنفوس البله و العوام لاحشر لها، و ان بعض الصالحاء الغير العارفين ينتقل نفوسهم ببعض الاجرام السماوية و تصير موضوعا لتخيلاتهم حسب ما وعدهم الشريعة، و نفوس الاشقياء ايضاً يتعلق بتلك الاجرام، و عند بعضهم كصاحب التلويحات تتعلق هذه النفوس الشقية بجرم دخانى غير منخرق تحت كرة القمر و فوق العناصر، و كل هذه الاقوال خروج عن طريق الصواب و انحراف عن جادة الحق، و قد علمت من طريقتنا خراب الافلاك و من فيها فضلا عما تحتها، و ايضا لزوم التناسخ المستحيل بحاله، و ايضاً الجسم التام الصورة و الكمال يستحيل ان يصير منفعلا عن مؤثر آخر ليس طبيعة له و لامدبراً لجرمه، و مالم ينفعل عن مؤثر آخر كيف يصير موضوعا لتصرفاته و تأثيراته.

و العارف بكيفية ارتباط النفس بالاجرام الطبيعية يكفيه فى الحكم بفساد ما ذكره ادنى تأمل، بل الحق القراح مالوحناك اليه من تصور النفوس بصور ملكاتهم و هيئاتهم، و هى ابدانهم المكتسبة المحشورة فى النشأة الاخرة، و تلك الابدان معلقة ليست قائمة بمادة طبيعية، و لا فى جهة من جهات العالم الوضعى، و نسبتها الى النفوس نسبة الفعل اللازم الى فاعله لانسبة القابل الى المقبول، و لا نسبة المادة المستعدة لتعلق النفس الى النفس، و هذا مطابق لما ذهب اليه اهل الشرايع الحققة و عليه يحمل كلام قدماء الحكماء فى باب التناسخ، و هو المراد من الايات القرآنية الدالة

على المسخ، كقوله تعالى: كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب، وقوله: ما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء، وقوله: وجعلنا منهم القردة والخنازير وعب الطاغوت، وقوله: فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين، وقوله: يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون، وقوله: وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء، وقوله: ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما مأويهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا، وقوله: واذا الوحوش حشرت، اشارة الى انقلاب جواهر نفوسهم الى نفوس الوحوش لغلبة صفاتها عليهم، فتصورت نفوسهم في القيامة بصورة الحيوانات الوحشية، المناسبة لاخلاقها وهيئات نفوسها، وكذا قوله: يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس، وقوله: يوم يصدر الناس اثناتا ليروا اعمالهم، وقوله: ونحشر المجرمين يومئذ زرقا، وقوله: ونحشره يوم القيامة اعمى، وقوله: يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون، وقوله: الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم اولئك شر مكانا و اضل سبيلا، وقوله: واذا وقع عليهم القول اخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم ان الناس كانوا باياتنا لايقنون، ويوم نحشر من كل امة فوجا ممن يكذب باياتنا فهم يوزعون، وقوله: فوقع القول عليهم بما ظلموا فهم لاينطقون، الى غير ذلك من الايات المشيرة الى تبديل الصور و الاشكال بواسطة تبديل الاخلاق و الاحوال، وكذا قوله: ان الذين كذبوا باياتنا و لقاء الاخرة لاتفتح لهم ابواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط و كذلك نجزي المجرمين لهم من جهنم مهاد و من فوقهم غواش و كذلك نجزي الظالمين، اياك و ان تظن من ظاهر هذه الاية وغيرها ان الجنة و طبقاتها هي بعينها ظواهر اجرام السماوات كما زعمه الناقصون في العلم الذين يريدون ان يدخلوا بيوت العلم من ظهورها و لايدخلون البيوت من ابوابها، فان الجنة باقية لانها هي دار البقاء، و الافلاك و ما فيها دار الفناء، و هي من عالم الدنيا، و الجنة من عالم الاخرة و عالم الصورة الغائبة عن

هذه الحواس الدائرة الطبيعية، و ايضا ان الجنة كما لوحناه اليك تكون في داخل حجب السموات و الارضين، و منزلتها من هذا العالم منزلة الجنين من الرحم، فافهم ان كنت من اهله و الافغض بصرك عن مطالعة هذا الكتاب و التدبر في غوامض علم القرآن، و عليك بممارسة القصص و الاخبار و الروايات، و علم السير و الأنساب، و تتبع العربية و اللغة، و تحمل الرواية من غير دراية، و ماهو كالنتيجة عندك للكل من البحث عن المسائل الفرعية الخلافية، و نواذر تفريعات الطلاق و العتاق و السلم و الاجارة و الرهانة، و قسمة المواريث المشتملة فروضها على الكسور التي يدق فيها تحصيل المخرج، الى غير ذلك من المهمات التي يحتاج اليها على الندرة بعض الاحاد في بعض الاوقات، و قد نصب الله لها كساير الامور التي هي ادون منزلة منها اقواماً يعظمون الامر فيها و يصرون عليها و يفرحون بها، و كل حزب بما لديهم فرحون، و قيمة كل احد على قدر همته، «ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم، و يريد الله ان يعويكم، ما يفتح الله للناس من رحمة فلأمسك لها و مايمسك فلا مرسل له من بعده و هو العزيز الحكيم».

و مما يدل على التناسخ المعنوي الاخرى ماروى عن النبي صلى الله عليه و آله من قوله: يحشر الناس على صور نياتهم، و قوله صلى الله عليه و آله: يحشر الناس على صورة يحسن عندها القردة و الخنازير، و قوله: كما تعيشون تنامون و كما تنامون تبعثون، و قوله ص: من خالف الامام في الصلوة يحشر و رأسه رأس حمار.

تذكرة قرآنية

قد انكشف لك فيما مر و سيتضح لك زيادة ايضاح، ان جميع افراد الناس متوجهون بحسب ما اودع الله في غرايزهم نحو المبدء الاعلى، فما من احد الا وفيه الحركة المعنوية نحو الاخرة، الا انهم متفاوتون في هذا التوجه و الحركة الجبلية و السير الباطني بحسب جهات الحركة و درجات القرب و البعد، فمنهم من يسعى نوره الى الله و الى جهة الاخرة، لقوله تعالى:

نورهم يسعى بين ايديهم و بايمانهم، و منهم من يجذبهم العناية الالهية بخطاب ارجعى كما قال: يا ايها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية، و منهم من يساق الى الموت جبراً و قهراً بسطوة من سطوات سدنة عالم الجحيم و سوط من سياط ملائكة العذاب، كما اشير اليه بقوله: ولو ترى اذ الظالمون فى غمرات الموت و الملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم، و كذا عند المصير بعضهم فرحون بلقاء الله و بعضهم كارهون، و من كره لقاء الله كره الله لقاءه، كما فى قوله: كره الله انبعاثهم و ثبطهم و قيل اقعدها مع القاعدين، و قوله: حتى جاء الحق و ظهر امر الله و هم كارهون، و بعضهم نواكس الرؤس من اعلى عليين، كما فى قوله: ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم.

المشهد الرابع

في بيان النبوة و احكامها و فيه قواعد:

قاعدة

في اثبات الشجرة النبوية و فضلها على جواهر ساير البرية

اقتضت الحكمه الالهية ان يكون الشجرة النبوية صنفا مفرداً بل نوعاً واقعاً بين الانسان و بين الملك، جالساً في حد المشترك، بين عالمي الملك و الملكوت، مشاركاً لكل واحد منهما على وجه، فانهم كالملائكة في اطلاعهم على ملكوت السموات و الارض، و كالبشر في احوال المطعم و المشرب و المنكح، و مثلهم واقعا بين نوعين مختلفين مثل المرجان، فانه حجر تشبه الاشجار يتشعب اغصانه، و كالنخل فانه شجر يشبه الحيوان في كونها محتاجة الى تلقيح، و بطلانها اذا قطع رأسها، و جعل سبحانه النبوة في ولد ابراهيم عليه السلام و من قبله في ولد نوح عليه السلام، كما نبه بقوله: ذرية بعضها من بعض، فهم عليهم السلم و ان كانوا من حيث الابدان بشريين ارضيين، فهم من حيث الارواح ملكيون سماويون، قد ايدوا بقوة روحانية قدسية خصوا بها، كما قال في عيسى عليه السلام: و ايدناه بروح القدس، و قال في محمد صلى الله عليه وآله: نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين، و تخصيصهم بهذا الروح ليتمكنهم ان يقبلوا من الملائكة بما بينهم من المناسبة الروحانية، و يفيدوا للامة بما بينهم من المناسبة،

البشرية، فلذلك قال: ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا، تنبيهاً على انه ليس في قوة عامة البشر الذين لم يخصصوا بذلك الروح ان يقبلوا الا من البشر، و لما عمى الكفار عن ادراك هذه المنزلة، عزلوا الانبياء عليهم السلم من فضيلة النبوة و انكروا منزلتهم و نبوتهم و منزلة علمهم عليهم السلم، كما قال تعالى: قالوا ان اتتم الا بشر مثلنا تريدون ان تصدونا عما كان يعبد آباؤنا، فالانبياء بالاضافة الى ساير الناس، كالانسان بالاضافة الى سائر الحيوانات، و كالقلب بالقياس الى ساير الاعضاء و الجوارح، و ايضا منزلة الانبياء من امهم منزلة ضوء الشمس من الارض و منزلة علمهم و علم وارثهم و نايبهم من علم الامم منزلة ضوء الشمس و نور القمر من ضوء نواحي الارض كما قال: هو الذى جعل الشمس ضياء و القمر نوراً، و كما ان وجه الارض لا يستضىء الا بنور الشمس و القمر و النجوم، و نور الشمس هو المفيض على القمر و النجوم وغيرها، فكذلك منزلة علوم الخلايق لاتحصل ولايتزكى نفوسهم الا بواسطة نبوة الانبياء، وعلى هذا دل بقوله: ربنا و ابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك و يعلمهم الكتاب و الحكمة و يزكيهم، و قوله: هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته و يزكيهم و يعلمهم الكتاب و الحكمة و ان كانوا من قبل لفى ضلال مبين، فالله تعالى يزكى الانبياء بواسطة الملك و يزكى الناس بواسطة نبيهم، كالتابع الذى حصل له كتابة ثم بواسطة تثبت فى الشموع المختلفة مثل تلك الكتابة، و نسبة الملكية الى نفس النبي صلى الله عليه و آله كنسبة ضوء الشمس الى جرمها، و نسبتها الى ساير الناس كنسبة نور الشمس الى سطوح الارض.

قاعدة

فى هداية الله تعالى الاشياء الى مصالحها

كلما اوجده الله تعالى فانه هداه لما فيه مصلحته، كما نبه عليه بقوله تعالى: هو الذى اعطى كل شىء خلقه ثم هدى، و هدايته لكل شىء مايناسب خلقه، فهدايته للجمادات بالتسخير فقط، كالاشياء الارضية التى اذاخلت و

طبايعها ينحو نحو الارض، و كالنار ينحو نحو العلو، و هدايته للحيوانات الى افعال يتعاطاها بالتسخير و بالالهام، كالنحل فيما يتعاطاه من السياسة و اخذ البيوت المسدسات من غير اسراف و من عمل العسل، كما اشار بقوله: و اوحى ربك الى النحل ان اتخذى من الجبال بيوتا و من الشجر و مما يعرشون ثم كلى من كل الثمرات و اسلكى سبل ربك ذللاً، و كالعنكبوت فى نسجه، و هدايته للملائكة بالتسخير و الالهام فى افاعيلهم المختصة بهم و ببيهة العقل، لان علومهم كلها ضرورية فطرية، فاما الانسان فهدايته تعالى اياه بكل ذلك و بالفكر، و ذلك انه هداة تارة بالتسخير كما فى تسخير نفسه لقواها بالتحريك، و الاستخدام فى افاعيلها الجزئية و ادراكاتها الحسية، و من هذا القبيل حركة نبضه و جذبته للغذاء و هضمه و دفعه و غير ذلك من افاعيله التسخيرية، و تارة بالالهام، كما عند الطفولية للارتضاع و مص الثدي و التشكى من الالم بالبكاء، و طوراً ببيهة العقل، فانه يعرف الاوليات و مبادئ العلوم، و طوراً بالفكر حيث يتوصل الى استنباط المجهول بالمعلوم، فهو تعالى و ان خلق الانسان عارياً من المعارف التى جعلها للحيوانات بالالهام، و من الملابس و الاسلحة التى جعلها للحيوانات بالتسخير، و من العلوم التى جعلها للملائكة بالفطرة و البديهة، فقد جعل للانسان بالعقل و الفكرة قوة التعلم و قوة تحصيل الادوات و الاسباب المتنوعة و الالات المختلفة كالملابس و الاسلحة، فهو مكتف بذاته فى تحصيل ما ينفعه فى عاجله و آجله، حيث مكنه الله فى استفادة ذلك و وكله الى نفسه، و ذلك فضيله له لارذيلة، و انه رفعة له لاضعة و نقيصة، فان الله باعطائه اياه العقل و الفكرة و اليد العاملة قد اعطاه كل شىء، ولو اعطى له حسبما اعطى غيره من البهائم شيئاً شيئاً لكان قد منع منه ساير الاشياء، لان فعلية البعض يمنع عن قوة ساير الاشياء.

و تحقيق هذه المسئلة يحتاج الى مقدمات غامضة زهل عنها اكثر المنسويين الى العلم، و قد ظن قوم ان الله خلق الناس من بين الحيوانات خلقاً منقوصاً، اذ لم يعط سلاحاً يدفع به عن نفسه كالاسد و النمر من الانياب

والمخالب، و لاجنحاً يهرب به عن الاعداء كما للطير، و لاقوة المشى و الجرى فى الماء كما للحيتان، و لا الكفاية فى لباسهم كما فى ساير الحيوان، حيث اغناها عن كثير ما يفتقر اليه الناس، و لاجل ذلك قال تعالى: خلق الانسان ضعيفاً، و ذلك الظن صحيح من وجه، فاسد من وجه، اما وجه صحته فلما اشرنا اليه من ان فعلية الوجود و تاكد الصورة يمنع عن قبول الكمال الاعلى و الفضيلة القصوى، و اما وجه فساده فلما زعموا ان ذلك تمام صورة الانسان، و لم يعلموا ان ذلك ابتداء خلقتة و مادة نشوه و كماله، كالحبة بالقياس الى الشجرة و النطفة بالقياس الى الحيوان، ولو كانت للحبة صلابة الحجر لم يمكن وصولها الى غاية النمو، ولو كانت للنطفة قوة الشجرية استحال ان يصل الى قبول الحيوة، فلو لم يكن فى الانسان بحسب اول الفطرة الخلو عن كل فضيلة و علم، لما كان فى جوهر ذاته صلوح كل فضيلة و علم، و لاجل التنبيه على ذلك قال تعالى: و الله اخرجكم من بطون امهاتكم لاتعلمون شيئاً و جعل لكم السمع و الابصار و الافئدة لعلكم تشكرون، و لاجابة الى ما ذكره بعضهم فى معنى قوله تعالى: خلق الانسان ضعيفاً، من ان المراد انه ضعيف بالقياس الى الملاء الاعلى لا بالاضافة الى الحيوانات، بل ان هذا الضعف اعده للوصول الى الدرجة العليا و الاستحقاق لخلافة الله تعالى.

قال بعض الحكماء جعل الله لكل شىء كمالاً ينساق اليه طبعاً، و قد هداه الى التخصيص به تسخييراً، كما نبه عليه بقوله: اعطى كل شىء خلقه ثم هدى، و للانسان سعادات كثيرة ابيحت له، و هى النعم المذكورة فى قوله تعالى: و ان تعدوا نعمة الله لاتحصوها، و جميع النعم على القول المجمل ضرب دائم لا يبيد و لا يحول و هو النعم الاخروية، و ضرب يبيد و يحول و هو النعم الدنيوية، و ما احد الا و هو نازع الى سعادة يطلبها بجهد، و لكن كثيراً يخطى فيظن ما ليس بسعادة فى ذاته انه سعادة، فيغتر بها فيكون كما قال تعالى: و الذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئاً، و قوله: كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف، لانها كلها غرور و فتنة كما قال الشاعر:

انما الدنيا كرؤيا افرحت من رآها ساعة ثم انقضت

قاعدة

فى تحقيق قوله تعالى: انك ميت و انهم ميتون، و بيان ان الموت حق

اعلم ان من الحكمة البالغة و النعمة السابعة ان الله تعالى قد جمع فى طينة الانسان ما افرد به الملائكة المقربين و ما افرد به الحيوانات المبعدين، فافرد الملك بروح علوى باق، و افرد الحيوانات بروح سفلى فان، و خص الانسان بمعجون مركب من الروحين، فان حيوانى و باق ملكى، اتحدا ذاتا احادية كما بين فى موضعه، فالحكمة فى ذلك ان الروح الملكى غير مستحيل و لانام و لامتغذ، و انما غذائه التسبيح و التقديس، و هو بمثابة التنفس الضرورى للحيوان^١ و لذلك ليس للملك ترق من مقام معلوم، و الروح الحيوانى مستحيل متغذ نام قابل للتحول و الانتقال، الا انه اذا مات مات ولم يبق منه شىء، فجعل الله الانسان جامعاً للروحين، لينطبع روحه الملكى بطبع روحه الحيوانى فى التغذى و قبول الفناء الذى يعبر عنه بالموت، ليصير بروحه الحيوانى كايئاً مستحيلاً قابلاً للفناء، و ينطبع روحه الحيوانى بطبع روحه الملكى، ليصير عارفاً بالله مسبحاً مقدساً له كالملك، باقيا بعد الموت اى موت كان طبيعياً او حيوانياً^٢ او ارادياً.

فخاصية الروح الحيوانى ان يجعل الغذاء من جنس المغتذى و لونه و كيفه و صائراً من جنسه، و خاصية الروح الملكى ان يسبح الله و يقده

١- ان التسبيح الملائكة فعل اختيارى ولكنه ضرورى فطرى ارادى اضطرارى (نورى قدس سره)

٢- لولم ينطبع روحه الملكى بطبع روحه الحيوانى لم يتيسر له فى النهاية الفناء فى الله و صيرورته انساناً ربانياً بل رباً انسانياً (لان الروح الملكى بالذات لافناءه و الفناء من خواص الروح الحيوانى) وكذلك الروح الحيوانى لو لم ينطبع بطبع ذلك الروح لم يتيسر له السلوك و السير الى تلك الغاية التى يصير الحيوان الدائر الزايل الفانى بالوصول اليها باقياً بالله، فاحسن التأمل فى هذا الباب لينفتح عليك باب يفتح منه كثير من الابواب، ولا يهتدى اليها الاهل الكمال الذين هم اولوا البصائر و الالباب. نورى قدس سره.

و يتغذى بذكر الله و طاعته و الشوق الى لقاءه الكريم فيتقوى فيه النور الالهى و يتجوهر به، و لاجل ذلك يزداد الجذبة الالهية، و فى تجوهره يحصل له نوع من الفناء عن وجوده و البقاء بنور ربه فهو فى كل انتشاء بنشأة و تطور بطور بمثابة ميت ذاق الموت و البعث، فكأنه مات عن نشأة ثم بعث الى ربه فى نشأة اخرى و احياء الله بنور ربه، كما قال تعالى: او من كان ميتا فاحييناه و جعلناه له نورا يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها، فهذا الموت الذى استحق به الروح الانسانى الاحياء بنور الله، انما استفاده من جهة النفس الحيوانية التى هى ذائقة الموت على الوجه المذكور، و لذلك عقبه بقوله: و نبلوكم بالشر و الخير فتنه، اى نبلوكم بما فيهما من موت النفس و حيوة الروح، فالاول كالمكروهات من الخوف و الجوع و نقص من الاموال و الانفس و الثمرات و ساير ما تسمونه شراً، و فيها موت النفس و حيوة القلب، و الثانى كالمحجوبات التى تسمونها خيراً، و هى الشهوات من النساء و البنين و القناطير المقنطرة من الذهب و الفضة و الخيل المسومة و الانعام و الحرث، و فيها حيوة النفس و موت القلب، ففى كلتا الحالتين ابتلاء، فمن صبر على موت النفس بالمكروهات فله البشارة بحيوة القلب و اطمينان النفس، و لها حينئذ استحقاق الرجوع الى ربها بجذبة ارجعى الى ربك باللطف و الكرامة، كما قال: و الينا ترجعون. فقد ظهر مما ذكرناه ان الانسان السعيد السالك الى صراط الله المستقيم الواصل الى درجة الواصلين، هو الذى حصل له فى كل وقت من اوقات حيوته الطبيعية له موت و بعث و حشر الى الله تعالى، حتى ينتهى به الغاية و المنتهى و الرجوع الى المبدء الاعلى، و ان قوله: انك ميت و انهم ميتون محمول على الحقيقة من غير حاجة الى التأويل كما فعله المفسرون.

قاعدة

فى الكشف عن ماهية الانسان الحقيقى مظهر آلاسم الله و خليفة الرحمن

قال الله تعالى: انا عرضنا الامانة على السموات و الارض و الجبال

فايين ان يحملنها و اشفقن منها و حملها الانسان انه كان ظلوماً جهولاً، قد تشعب اقوال العلماء و ائمة التفسير، و اختلفت آرائهم في ان المراد من هذه الامانة المخصوص بحملها الانسان ماذا، فقائل ان المراد منها هو العقل فينتفض بالملك، و قائل انه التكليف فهو منقوض بالجن، لانه مساهم للانسان في كونه مكلفاً، و قائل انه التركيب بين الروح و الجسد فنوقض بالفلك، و قائل انه الهيئة الاجتماعية الحاصلة من اجتماع القوى الفاعلة و المنفصلة و النفسانية و البدنية المدركة بانواع الادراكات الحسية و الخيالية و الوهمية و العقلية المحركة بانواع الحركات الفكرية و الارادية و الطبيعية و الكمية و الكيفية و الاينية و الوضعية، و بالجملة كون الذات الواحدة بحيث يوجد فيها انموزج سائر الاشياء، و هو ايضا كما ترى لا تتفاضه بصورة العالم الكبير، لانه ايضا شخص واحد له وحدة طبيعية، و لان شبه الجمعية المذكورة يوجد في بعض الحيوانات التامة الحواس سيما عند من يرى ان لها نفساً مدركة للكليات، على انه قد اهمل في كل من هذه الاحتمالات رعاية معنى الامانة و مؤداها، من كونها عارية مدة من الزمان ثم مردودة الى اهلها و صاحبها.

و تحقيق هذا المقام يستدعى تمهيد قاعدة، و هي ان جميع الموجودات سوى الانسان له حد خاص من قسط الوجود لا يتعداه، و كل له مقام معلوم، لا يتجاوزه، و هو له ثابت بالفعل ليس فيه قوة الانتقال من طور الى طور و من كون الى كون، فالفلك في فلكيته، و الملك في ملكيته، و الشيطان في شيطنته، و الجماد في جماديته و النبات في نشوه و نمائه، و الحيوان في شهوته و غضبه، كل منها في غاية ماله من الكمال و الفعلية و التمام، و اما الانسان الكامل فانه في كل ماله من الكمالات بلغ اليه ما بين صرافة القوة و محوضة الفعل، كما هو شأن المتحرك بما هو متحرك، الا ترى انه ضعيف الجسمية ليس كالجبال و المعادن، و انه ضعيف النباتية ليس كالاشجار في قوة التغذية و التنمية و التوليد، و انه ناقص الحيوانية ليس كالاسد و الفيل و الحية و الطير وغيرها من الحيوانات التامة في قوة

الحس و الحركة، و لهذا يحتاج في بقائه الدنيوى الى معاونات و معاونات خارجية تعاونه و تعينه و تحفظه و تصونه عن الافات و الاضداد، كما قال: و هو القاهر فوق عباده و يرسل عليكم حفظة، و قوله: له معقبات من بين يديه و من خلفه يحفظونه من امر الله، و اليه الاشارة بقوله: خلق الانسان ضعيفا، و بقوله: ان يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب و المطلوب.

و بالجملة ليس له مادام الحيوة الدنيوية مقام خاص في الوجود لا يتعداه، «يا اهل يثرب لامقام لكم»، و لاجل هذه الخاصية يمكنه التطور في الاطوار و الخروج من كل ماله من الكون المستعار، و الانتقال من هذه الدار الى عالم الاخرة و دار الابرار، و المهاجرة من بيته الذى فيه مهاجراً الى الله الواحد القهار، كما فى قوله: و من يخرج من بيته مهاجراً الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله، و اذ ليس له مقام معين، فله السير الى جميع المقامات، و اذ ليس له صورة معينة، فله التصور بكل صورة و التحلى بكل حليه، قال الشاعر:

لقد صار قلبى قابلاً كل صورة فمرعى لغزلان و ديراً لرهبان

اذا تقرر ما ذكرناه فنقول: ان حقيقة الامانة و هى المعبر عنها تارة بفضل الله «ذلك فضل الله يؤتية من يشاء و الله ذو الفضل العظيم»، هى الفيض الالهى الاتم بلا واسطة، و المراد منه الفناء عن كل شىء و البقاء بالله، و الانسان من بين الممكنات مخصوص بذلك، و انما سميت امانة لان الفيض بلا واسطة هو من صفات الحق تعالى و قد حمله الانسان لاغير، لما ذكرنا من ان ماسواه غير مستعد لقبوله، لتقيد كل منها بوجوده الخاص، فالفلكية غير منسلخة من الفلك حتى يبقى فارغاً عنها قابلاً لاغيرها، و هكذا الارضية من الارض و الجبلية من الجبال، و كذا كل من فى السموات و الارض و الجبال، اذ المراد من الاية عرض الامانة على كل الممكنات لاعلى بعضها، و التقدير انا عرضنا الامانة على اهل السموات و الارض و الجبال، و معنى عرض الامانة عرض تحمل الفيض الوجودى على وجه العارية المأخوذة اولاً، المردودة الى اهلها اخيراً، و قبول الفيض الوجودى الفائض من الله

بلا واسطة على الوجه المذكور مختص بالانسان الكامل دون غيره كما علمت، فكان العرض عاماً على الممكنات ماراً على المخلوقات كلها، فلم يقبلها احد للعلة المذكورة الا الانسان الكامل لفقره و عجزه و ضعف قوته و براءة ذمته عن جميع الشواغل الوجودية، و قطع التفاته عن ماسوى الحبيب المطلق، كما حكى الله عن خليله بقوله: فانهم عدو لى الارب العالمين، و بقوله: انى ذاهب الى ربي سيهدين.

تنوير تمثيلي

ان نسبة الانسان الى ساير المخلوقات كنسبة القلب الى سائر الاعضاء، و قد تحقق فى علم الطبيعة ان قوة الحيوة تفيض من الروح الى القلب، و بواسطته الى ساير البدن، فيصير ذاحيوة و حس و حركة، فكما ان فيض الروح عام على اعضاء البدن كلها على وجه العارية المردودة الى اهلها، و هو الروح عند الموت، الا ان قبوله و حمله مختص بالقلب، ثم من القلب يسرى اثر الحيوة بواسطة الشرائين و عروق ماساريقا الى ساير الاعضاء، لكل منها ما يناسبه، فيكون به ذاقوة حيوة و حس و حركة، فكذلك عرض الفيض الالهى عام على جميع المخلوقات على وجه يقوم عليها مدة ثم يرجع الى مبدعه و مفيضه عند القيامة الكبرى، الا ان قبوله بلا واسطة و حمل اصله مختص بالانسان الكامل، و منه يصل اثر الفيض الى سائر المخلوقات، و هذا هو سر الخلافة المخصوصة بالانسان.

تتمة

و اما قوله: انه كان ظلوماً جهولاً على صيغة المبالغة ففيه الاشارة الى ان الظالم من يظلم غيره، و الظلوم من يظلم نفسه، و كذا الجاهل من يجهل غيره، و الجهول من يجهل نفسه، اما ظلم الانسان على نفسه فافئائه ذاته و اماتته نفسه بالارادة، و اما جهله بنفسه فلانه ما عرف نفسه و لم يعلم انه

ليست ذاته هذه البهيمة الاكلة الشاربة الناكحة المايطة، و ما علم ان هذه البهيمة الحيوانية هي قشر ذاته، ولها لب هو روحها و روحها ايضاً قشر وله لب هو روح روحها و هو محبوب الحق، كما قال: يحبهم و يحبونه، و معلوم عند اهل البصيرة ان محبوب الحق ماذا يمكن ان يكون، و ان محب الحق ماذا يمكن ان يكون، فان الشيء لا يحب الا ذاته، و لا يحبه ايضاً الا ذاته، فمن احب غير الله فقد رغب عن ملة ابراهيم، حيث انه قال حكاية عن حاله «فانهم عدو لي الا رب العالمين»، و ايضاً لاجهل اعظم من جهل الانسان نفسه لاستلزام ذلك جهله بربه، قال تعالى: نسوا الله فانسيهم انفسهم، و هو بمنزلة عكس النقيض لقوله صلى الله عليه و آله: من عرف نفسه فقد عرف ربه، و في الحكمة العتيقة «من عرف ذاته تأله، فمن جهل نفسه فقد ظلم على نفسه غاية الظلم»، «اولئك الذين خسروا انفسهم و ذلك هو الخسران المبين.»

و اعلم ان علم النفس بذاتها حيث لا يمكن الا بحضور ذاتها لها، فتحصيل هذه المعرفة لا يمكن و لا يتصور الا بتبديل الوجود الظلماني النفساني الى الوجود النوراني الروحاني، و في قوله صلى الله عليه و آله: ان الله خلق الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره، فمن اصابه ذلك النور فقد اهتدى، اشارة الى هذا المطلب، فان الظلمة اشارة الى ذوات الاشخاص النفسانية الظلمانية قبل خروجها من القوة الى الفعل، و من الظلمة الى النور، و مخرج الاشياء من الظلمات الى النور هو الله تعالى، و النور هو الفيض الوارد على النفوس القابلة، الخارجة به من الظلمات الى النور، كما تخرج القوة البصرية باشراق النور الشمسي عليها من القوة الى الفعل، فيصير به مبصرة بالفعل بعد ما كانت مبصرة بالقوة.

اذا تقرر هذا فنقول: لما عرض الله الامانة على المخلوقات فكل مخلوق لم يكن منوراً برشاش نور الله ما عرف شرف الامانة و ما قصدها، اما الاجسام فلبعد مناسبتها، و اما ارواح الملائكة و غيرهم فلانهم لم يكن لهم راحلة تحملها بقوة الظلومية والجهولية، فما قصدوا و ما عرفوا حق المعرفة، فايين ان يحملناها و اشفقن منها لخطر حملها، و حملها الانسان لاجل

استعداد الجسدية و قوة الظلومية و الجهولية، فصارت الظلومية و الجهولية في حق حامل الامانة و مؤدى حقها مدحاً، و في حق الخائنين فيها ذماً.

تبصرة اخرى

اعلم ان لهذه الاية الكريمة تأويلاً اخر غير مامر يشعر بذم الانسان، كما ان الاول كان مشعراً بمدحه، و هو ايضا يستدعى بيان تمهيد مقدمتين.

احدهما ان كل ما عدا الانسان من الافلاك و العناصر و المركبات وغيرها فلها ضرب من الوصول و الشهود له سبحانه و الفناء عن ذواتها، لانخراط وجود كل منها في وجود علتها و فاعله، فان فاعل كل شيء هو بعينه غايتها و تمامها كما بين في موضعه، فوجود كل معلول لمعة من وجود علتها، و وجود كل علة تمام لوجود معلولها، و كذا الكلام في وجود العلة بالقياس الى تلك العلة، و معلول المعلول بالقياس الى ذلك المعلول، فثبت ان جميع الممكنات المجعولة وجوداتها مضمحلة منطمة في وجود القيوم تعالى، و جميع انوارها مستهلكة في سطوع النور الالهى الا افراد الانسان، فانهم بواسطة داعية سلطان الوهم و استيلائه عليهم و جهلهم بكيفية الصنع و اليجاد يزعمون ان لهم وجوداً و اناية و قدرة مستقلة.

و ثانيهما انه ما من موجود جسمانى او روحانى في هذا العالم الاوله سلوك وجودى و استحالة ذاتية و حركة معنوية الى جانب الحق صائراً اياه، كما في قوله: الا الى الله تصير الامور، فوجود كل موجود امكانى بمنزلة امانة عارية يرد الى صاحبها اخر الامر، و ماسوى الانسان لا يعوق له شيء عن سلوكه سبيل الحق و خروجه عن تحمل هذه الامانة.

فعلى هذا نقول: المراد من الامانة، الوجود الفايز على كل موجود، لان وجودات الممكنات هى بمنزلة اشعة ولوامع لوجود الحق تعالى، فهى ليست قائمة بالممكنات بل قائمة بذاته تعالى، فلما وقع عرض الامانة يعنى بسط ضوء الوجود على هياكل اهل السموات و الارض و الجبال، فابوا ان يحملوها بزعمهم ان لهم وجود امباينا لوجود الحق، كالانسان الغير

الكامل حيث يزعم ان له وجوداً، بل خرجوا عنها و انفكوا عن وجودهم
الذي كانوا عليه و اشفقوا عن تحمله، لان التقيد بقيد الوجود الخاص
الامكانى مناط الظلمة و البعد عن منبع الفيض و الوجود و معدن الكرامة
و الرحمة، و حملها الانسان لظلمه على نفسه بعدم الخروج عن ظلمة البعد
الى نور القرب، و جهله بان السلامة و السعادة فى الخروج عن هذا الوجود
الظلمانى و الذهاب الى عالم الحق تعالى، فقلوه: انه كان ظلوماً جهولاً على
هذا التأويل مذممة للانسان، و على التأويل الاول مدح له و لامنافاة بين
التأويلين بل الكل محتمل فافهم.



الطرف الثالث

فى علم المعاد و بيان حشر النفوس و الاجساد و فيه مشاهد:

المشهد الاول

فى بيان الفطرة الاولى للانسان و العود اليها و فى التقابل
بين مراتب البدو و مراتب النهاية

اعلم ان المبدء هى الفطرة الاولى كما قال فطرة الله التى فطر
الناس عليها لا تبديل لخلق الله، و المعاد هو العود اليها، لقوله: كما بدأكم
تعودون، فالاشارة الى المبدء قوله صلى الله عليه و آله: كان الله و لم يكن
معه شىء، و قوله: وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً، و قوله: هل اتى على
الانسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً، فهذا الوجود للممكن هو
الخروج من العدم الاصلى الى الكون و هو الحدوث، و الاشارة الى المنتهى
قوله: كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال و الاكرام، و قوله:
كل شىء هالك الا وجهه و قوله: لمن الملك اليوم لله الواحد القهار، و
هذا خروج من هذا الوجود الناقص المجازى الى العدم الاصلى، و البدو
و الرجوع متقابلان فى الجهة، متحدان فى الموضوع، كما وقعت الاشارة
اليه، فبحكم المبدء ينبغى ان يسئل الرب تعالى و يجبب الخلق، فقال: الست
بربكم قالوا بلى، و بحكم المعاد ينبغى ان يسئل الرب و يجبب هو عن نفسه،
فقال: لمن الملك اليوم لله الواحد القهار، فالسقوط الاول للانسان من

الفطرة اى من العدم الى الوجود هو الجنة التى كان فيها ابونا آدم^١ و امنا حوا، كما قال: يا آدم اسكن انت و زوجك الجنة، و السقوط الثانى له من العدم الى الوجود، هو الهبوط منها الى دار الدنيا، لقوله تعالى: اهبطوا منها جميعاً، و الرجوع الى الفطرة هو العود من هذا الوجود المجازى الى العدم، و هو اما عدم القلب بالموت الطبيعى^٢، «كل من عليها فان» و به يستحق المؤمن من اصحاب اليمين جنة السعداء، و الكافر من اصحاب الشمال جحيم الاشقياء، و الثانى عدم^٣ النفس بموت الفزع قوله: و يوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات و من فى الارض، و به يستحق جنة الكاملين، «يا ايها النفس مطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية»، و الثالث عدم الروح بموت الصعق و الفناء فى التوحيد، قوله: و نفخ فى الصور فصعق من فى السموات و من فى الارض، و به يستحق جنة الموحدين، «ادخلى فى عبادى و ادخلى جنتى».

اعلم ان المجيء الى الدنيا هو النزول من الكمال الى النقص و السقوط من الفطرة الاولى، و لامحالة صدور الخلق من الخالق ليس الاعلى

١- يعنى ان ذلك المسقط هو تلك الجنة، و لتلك الجنة عالمان عالم الملكوت الروحانى و عالم الملكوت الصورى و السقوط من تلك الجنة الى الدنيا بلا واسطة و فاصلة انما هو السقوط من الجنة الصورية الى يحاذيها فى المراتب الصعودية العودية جنة اصحاب اليمين الذينهم المحشورون بالصور و القوالب الجسمانية و هو المعروف بعالم المثال الواسطة بين العالمين عالم الروحانى المعنوى العقلانى و عالم الطبيعى الجسمانى الهىولانى (نورى قدس سره)

٢- و هو موت البدن يقوم الساعة و القيامة الصغرى، و لعدم النفس يقوم الساعة و القيامة الوسطى، و لعدم الروح يقوم الساعة و القيامة الكبرى . (نورى قدس سره)

٣- يعنى من هذا العدم انقلاب الوجود الصورى الملكوتى المثالى المجرد عن المادة الهىولانية و المدة الزمانية بوجود الروحانى المعنوى المجرد عن الصورة و عن المادة و المدة الواسطة بين عالم اليوم الالهى السرمدى و بين اليوم النفسانى الدهرى الصورى المعروفة باليوم الربوبى و ذلك العالم الواسط برزخ روحانى بين الوجود الحقيقى و بين الوجود الامكانى الصورى المجرد و الوجود الهىولانى و بنفخة الفزع ينتقل الارواح من القوالب الصورية الى ذلك العالم الواسط الروحانى الغير الحقيقى ثم ينتقل تلك الارواح بنفخة الصعق الى الوجود الحقيقى الذى هو عالم وجه الله الباقي ببقاء الله (نورى قدس سره)

هذا السبيل و الذهاب من الدنيا الى الجنة، ثم الى جوار الله هو العود الى
القطرة و التوجه من النقص الى الكمال، ولا محالة رجوع الخلاق الى
خالقهم يكون على هذا السبيل، «الله يبدء الخلق ثم يعيده ثم اليه ترجعون»
فالاول هو افول النور و غروب الشمس، «الله نور السموات و الارض»،
و الثاني هو صعود الكلمة و طلوع الشمس من مغربها، فالعبارة من الاول
ليلة القدر، و العبارة من الثاني يوم القيامة، ففي ليلة القدر «تنزل
الملائكة و الروح فيها باذن ربهم من كل امر»، وفي يوم القيامة «تخرج
الملائكة و الروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة.»



المشهد الثاني

في الإشارة الى علم الساعة و سر القيامة و فيه قواعد:

قاعدة

في معنى الساعة

قال صاحب الكشف انما سميت الساعة ساعة لانها تسعى اليها النفوس، لا يقطع المسافات المكانية بل يقطع الانفاس الزمانية بحركة جوهريّة ذاتية و توجه غريزي الى الله تعالى، كما بينا في لمية ضرورة الموت الطبيعي، فمن مات وصلت اليه ساعته و قامت قيامته، و هي ساعة القيامة الصغرى، و على هذا القياس حصول يوم القيامة العظمى و الطامة الكبرى التي لساعات الانفاس كالיום للساعات او كالسنة للايام.

و اعلم ان اهل المعرفة و اليقين لا يشكون في امر الساعة ولا ينتظرون قيامها، كاتنظار اهل الحجاب و الغفلة الذين يشكون في وقوعها، و يسألون عن وقتها، « و يقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين»، بل اهل اليقين يستعدون لقاءها و يرونها كأنها قائمة عليهم، كما في قوله تعالى: وما يدريك لعل الساعة قريب يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها و الذين آمنوا مشفقون منها و يعلمون انها الحق الا ان الذين يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد، و قوله: يسألونك عن الساعة قل علمها عند ربي في كتاب لا يجليها لوقتها الا هو ثقلت في السموات و الارض، و قوله: و يقولون متى هذا الوعد

ان كنتم صادقين، قل لا املك لنفسي ضراً ولا نفعاً الا ما شاء الله لكل امة اجل اذا جاء اجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون، وقوله: يسئلك الناس عن الساعة قل انما علمها عند الله لعل الساعة تكون قريباً، وقوله: ان الساعة لآتية لا ريب فيها ولكن اكثر الناس لا يؤمنون.

قال بعض اهل المعرفة: الحق الذي لاشك فيه ان علم الساعة مردود الى الله، كما قال: اليه يرد علم الساعة، وليس للمحجوبين ان يؤمنوا بشيء من اسرارها و اشراطها، الا كما يمان الاكمه بالالوان من طريق الايمان بالغيب، كما قال تعالى: يؤمنون بالغيب، وكما ان مدركات العقل اسرار على الحواس فكذلك مدركات القيامة اسرار على العقل النظري، فلا يتصور ان يحيط بها احد مادام في الدنيا ولم يتخلص عقله عن اسر الوهم و قيد الخيال، و قول الكفار «متى هذا الوعد ان كنتم صادقين» سؤال عما يستحيل الجواب عنه على موجهه، فان امر الساعة كان كلمح البصر او هو اقرب، و متى سؤال عن زمان معين للحركات والمتحركات الزمانية، فاستحال الجواب عنه، و هو كقول القايل الاكه اذا وصفنا له المبصرات من الالوان وغيرها كيف نشم او نذوق هذه الالوان، و الجواب الحق عن ذلك ان العلم بها عنه، و هو كقول القايل الاكمه اذا وصفنا له المبصرات من الالوان وغيرها ان يقال لهم ان العلم بذلك عند الله، فمن رجع الى الله تعالى و حشر اليه كان يعرف حينئذ علم الساعة و انه عند الله كما قال: و عنده علم الساعة ولا تمترن بها.

و اعلم ان اهل الحجاب و اصحاب الظن و الارتياب يزعمون يوم القيامة بعيداً عن الانسان بحسب الزمان كما قال: وما اظن الساعة قائمة، و غائباً عنه بحسب المكان، كما قال: و يقذفون بالغيب من مكان بعيد، و اما اهل العلم و اليقين فيرونه قريباً بحسب الزمان كما قال: اقتربت الساعة و انشق القمر، و يرونه حاضراً بحسب المكان كما قال: و اخذوا من مكان قريب، و قوله: يوم يرونه بعيداً و نريه قريباً، و كان نبينا صلى الله عليه وآله يشاهد الجنة و خازنها و يتناول من ثمارها، و كان ايضاً يشاهد النار و

يستعيز بالله من شرها و حرها، كما روى عنه في حال صلوة الكسوف، و لذلك لم يحكم ولم يصدق بكون حارثة مؤمناً حقاً ما لم يكن مشاهداً لامور الآخرة و احوال الجنة و اهلها و احوال النار و اصحابها بعين اليقين، اذ سئله كيف اصبحت قال اصبحت مؤمناً حقاً، قال صلى الله عليه وآله لكل حق حقيقة فما حقيقة ايمانك، قال رأيت اهل الجنة في الجنة يتراورون و اهل النار في النار يتعاونون الحديث.

قاعدة

في سر القيامة و زمانها و مكانها

اعلم ان القيامة كما مرت اليه الاشارة من داخل حجب السموات و الارض، و منزلتها من هذه الحجب كمنزلة الجنين من الرحم لأمه، و لذلك لا يقوم القيامة الا « اذا زلزلت الارض زلزالها و اخرجت الارض اثقالها، و اذا السماء انشقت و اذنت لربها و حقت و اذا الارض مدت و القت ما فيها و تخلت و اذنت لربها و حقت، و اذا السماء انفطرت و اذا الكواكب انتشرت، و اذا الشمس كورت و اذا النجوم انكدرت و اذا البحار فجرت و اذا القبور بعثرت و اذا النجوم طمست و اذا السماء فرجت و اذا الجبال نسفت و اذا البحار سجرت و اذا الصحف نشرت و اذا السماء كشطت و اذا الجحيم سعرت و اذا الجنة ازلفت علمت نفس ما قدمت و اخرت، يوم ترجف الراجفة، يوم يتذكر الانسان ماسعى و برزت الجحيم لمن يرى يوم يقوم الناس لرب العالمين، يوم ينفخ في الصور فتأتون افواجاً و فتحت السماء فكانت ابواباً و سيرت الجبال فكانت سراباً، يوم ترجف الارض و الجبال و كانت الجبال كتيباً مهيباً، يوم يجعل الولدان شيباً السماء منفطر به، فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة و حملت الارض و الجبال فدكتا دكة واحدة فيومئذ وقعت الواقعة و انشقت السماء فهي يومئذ واهية، يوم يخرجون من الاجداث سراغاً كأنهم الى نصب يوفضون، يوم ينظر المرء ما قدمت يداه، يوم لا تملك

نفس لنفس شيئاً و الامر يومئذ لله، يوم تبلى السرائر، اذا بعث ما فى القبور و حصل ما فى الصدور»، فمادام السالك خارج حجب السموات و الارض فلا تقوم له القيامة، لان القيامة كما مر داخل هذه الحجب عند الله، و عنده علم الساعة، و قوله صلى الله عليه و آله: لا تقوم الساعة و فى وجه الارض من يقول الله الله، اشارة الى ان الرجل مادام خارج الحجب فالقيمة سر على علمه، فاذا قطع الحجب و تبجح فى حضرة العندية سارت القيامة علانية عنده بعد ما كانت غيباً عنه و لذلك لم يجز ان يرى الله ولا امور الاخرة لانبى و لاولى مادام فى الدنيا، و ما لم يصر الابصار بصائر، و ان نبياً صلى الله عليه و آله انما كانت القيامة علانية عنده حين قطع حجب السموات و الارض و نفذ من اقطارها «فاوحى الى عبده ما اوحى ما كذب الفؤاد ما رأى افتمارونه على ما يرى و لقد راه نزلت اخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى اذ يغشى السدرة ما يغشى ما زاغ البصر و ما طغى لقد رأى من آيات ربه الكبرى»، ثم اذا رجع الى مستقره و مهبطه من خارج هذه الحجب صار ذلك الشهود عنده سرا و غيباً، و انقلبت المعاينة خيراً كما كان قبل العروج، و انما كان عينا و علانية حين قطع حجب السموات و الارض و كان من وراء الحجب، و على الجملة فالسر سر ابدأ حيث هو سر، و العلانية علانية حيث هى علانية.

و اعلم ان سر القيامة من الاسرار العظيمة التى لم يجز للانبيا عليهم السلم كشفها، لانهم من حيث كونهم رسلا اصحاب شرايع، و القيامة يوم جزاء بلاعمل، و يوم الشريعة يوم عمل بلاجزاء، و تعب بلاثواب، و الاولياء اهل قيامة من حيث ولايتهم و قربهم عند الله، كما فى قوله صلى الله عليه و آله: لى مع الله وقت لا يسعنى فيه ملك مقرب و لانبى مرسل، اخبر عن حاله و مرتبته الباطنية، و اما حاله فى غير ذلك المقام فكما فى قوله تعالى: ما ادرى ما يفعل بى و لايحكم ان الحكم الا لله، و قوله: و يسئلونك عن الساعة

ايان مرسيها فيم انت من ذكر يها الى ربك منتهيها انما انت منذر من يخشيها، و قوله: انما انت منذر و لكل قوم هاد، قال لعلى عليه السلم: انا المنذر و انت الهادي، و بالجملة الشريعة هي المشرع العام و القيامة هي المقصد و الغاية، فصاحب الشريعة من حيث هو كذلك يقول «لا اعلم الغيب ولا اقول لكم اني ملك و لو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير و ما مسنى السوء».

تبصرة عقلية

لا يخفى عليك ان الدنيا كون ناقص و ما فيها اكون ناقصة، و جواهرها جواهر ضعيفة الوجود متعلقة الذوات بغيرها، و لنقص جواهرها و ضعف وجودها التدريجي يحتاج النفوس الادمية مادامت فيها كالاطفال الى مهدودية، فالمهد كالمكان، و الداية كالزمان، فكل من الزمان و المكان لغاية ضعف وجودها غير مجتمع الوجود ولا قار الذات، فوجود كل جزء من الزمان يقتضى غيبة صاحبه، و حضور كل حصة من المكان يستدعى فقد صاحبه، و اما وجود الاخرة فهي كون تام مستقل بنفسه، مستكف بذاته، و كذا الموجودات الاخروية، فهي اكون ثابتة قائمة بذاتها و بذات مبدعها و منشئها بريئة الذوات عن القوة و الاستعداد، و عن الافتقار الى الازمنة و المواد، و انما هي مفتقرة بمبدئها الجواد، «الملك يومئذ لله و كل آتية يوم القيامة فردا»، فليس لمكان الاخرة انقسام و انفصال ولا انصرام و زوال، ولا لزمانها تجدد و انقضاء، و لاشروع و انتهاء، بل هذان على هذا النحو مسلوبان هناك، لكن اذا اريد ان يخبر عنهما لاهل هذا العالم، المقيدين بسلاسل الزمان و اغلال المكان، لا يمكن ذلك الا بضرب من المثال، فاذا اشير الى زمان الاخرة و اجيب عن السؤال عن متاها يعبر عنه باقل زمان و الطفه، و هو ما يسميه الجمهور الان، «وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب»، و اذا اشير الى مكانها و اجيب عن اينها، يعبر عنه باوسع مكان فيقال «جنة عرضها كعرض السماء و الارض» وقد مر ان الامر الابداع مثل امر الاعداد، قوله: كما بدأكم تعودون، و قوله: كما بدأنا اول

خلق نعيده، و الاول غير زمانى، «وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر»، فكذا الثانى «وما امر الساعة الا كلمح البصر، ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة».

حكمة كشفية

قال صاحب الكشف: القيامة قيامتان، الصغرى و هى معلومة، من مات فقد قامت قيامته، و الكبرى و وقتها مبهمة ولها ميعاد عند الله، و من وقتها فهو كاذب لقوله صلى الله عليه و آله: كذب الوقتون، و كل ما فى القيامة الكبرى فله نظير فى الصغرى، لما علمت ان الانسان عالم صغير و احواله انموزج من احوال الانسان الكبير، و مفتاح معرفة هذه الحقايق معرفة النفس الانسانية، و قس الاخرة بالاولى، و الموت بالولادة، و الولادة الكبرى بالولادة الصغرى، و الدنيا بالام و القبر بالرحم، و البدن بالمشيمة، فمن اراد ان يعرف معنى القيامة الكبرى و ظهور الحق بالوحدة التامة، و طى السموات و قبض الارض، و اندراس الازمنة و الامكنة، و اضمحلال المواد و الاشخاص، و رجوع الخلايق كلهم الى الله، و عود الروح الاعظم و مظاهره و آثاره اليه تعالى، و فناء الكل عنده حتى الافلاك و الاملاك و النفوس و الارواح، كما قال: فصعق من فى السموات و من فى الارض الامن شاء الله، و هم الذين سبقت لهم القيامة الكبرى، فليتأمل فى القواعد السابقة و الشواهد الماضية، من اثبات الحركة الجوهرية و الاستحالة الذاتية، و توجه كل سافل الى عال، و رجوع كل شىء الى اصله، و عود كل ناقص الى كماله، و من اثبات الغايات الذاتية للاشياء الطبيعية و افعالها الذاتية، فاما من موجود الا ويقع له الرجوع الى الله يوماً، ولو بعد احقاب و اكوار كثيرة، اما بموت او فناء او استحالة او انقلاب، فكل حركة و انقلاب لا بد له من غاية و لغايته ايضاً غاية الى ان ينتهى الى غاية يجتمع فيها الغايات، و هى يوم واحد الهى، بل لحظة واحدة او اقرب منها، حاوية لجميع الاوقات و الازمنة و الانات التى يقع فيها النهايات، كما ان جميع البدايات يبتدى

من بداية واحدة لمبدء واحد يتشعب منه كل بداية و مبدء اثر .
 و من تنور باطنه بنور اليقين، و شاهد حشر جميع القوى الانسانية
 مع تباينها و اختلاف ماهياتها و هوياتها الى ذات واحدة بسيطة روحانية، و
 رجوعها اليها و استهلاكها فيها، كما انها نشأت^١ و انبسطت منها و تكثرت
 بوحدتها، فالروح منه انبساط اشعة القوى على مواضع البدن، و اليه رجوع
 انوارها من محابس مظاهرها، هان عليه التصديق برجوع الكل الى الواحد
 القهار، و سهل له سلوك سبيل الاهتداء لهذا المطلب الشريف الذى اكثر
 الخلق عنه غافلون، و هو «النبأ العظيم الذى عنه معرضون» .
 اما شاهدت يا حبيبي تبدل اجزاء العالم و طبائعها فى كل لحظة؟
 و اما رأيت انها متزايدة متبدلة دائماً بعضها الى بعض بحركة جوهرية ذاتية
 و توجهاً جليلاً الى مبدئها و اصلها، كما قال: و لله ميراث السموات و الارض،
 و قال: الا الى الله تصير الامور، قل كونوا حجارة او حديداً^٢ او خلقا مما
 يكبر فى صدوركم.

قاعدة

فى معرفة طريق الآخرة و منشأ اعراض الخلق عن سلوكها

اعلم ان طريق الآخرة سهلة يسيره غير وعرة ولا صعبة، و النفوس
 مجبولة على سلوكها، لانها التى وقع المرور عليها عند المجيء من ذلك
 العالم الى الدنيا، و قد علمت ان الطبايع كلها متوجهة الى الغايات، ثم ان
 هذا الطريق واضحة و العلامات منصوبة، و الهداة قائمون، و القواد
 موجودون، و المعلمون من قبل الله مرسلون، و الكتب و الرسائل منزلة، كما
 قال تعالى: لقد ارسلنا رسلنا بالبينات و اترلنا معهم الكتاب و الميزان، و قوله: و

١- تعليل و دليل الرجوع القوى الى ما نشأت منه كما بدأكم تعودون (نورى قدس سره)

٢- كأنه اشارة الى عموم رجوع كل شيء باية صورة كانت و رجعت و عادت فافهم كما قال

لا يعزب عنه مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء الا انه بكل شيء محيط (نورى قدس سره)

انزلنا اليك آيات بينات وقوله: قد جائكم بصائر من ربكم، وقوله: قد جائكم من الله نور و كتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه، الى غير ذلك من الايات و الحجج و البيّنات، و مع ذلك فالناس غافلون عنها معرضون عن سلوك الآخرة، كما قال: و ان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون، و قوله: و كايّن من آية في السموات و الارض يمرون عليها و هم عنها معرضون، اشارة الى انهم مع كونهم مارين على منازل الآخرة بحسب الغريزة و الطبع معرضون عنها بحسب الارادة و الكسب، لافة و مرض قد طرأت على نفوسهم، و غيرتها عما جبلت عليه، و قوله: و لقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى و لم نجد له عزماً، و قوله: قل هو نباء عظيم انتم عنه معرضون، و اما سبب اعراضهم عن سلوك طريق الآخرة فهو اشياء كثيرة، لكن مع كثرتها و كثرة شعبها مندرجة تحت ثلاثة امور، كما قيل: رؤساء الشياطين ثلاثة، شوائب الطبيعة، و وساوس العادة، و نواميس الامثلة.

اما الاولى فعبارة عن دواعي الطبيعة و شهوات النفس و الهوى المشار اليها في قوله تعالى: زين للناس حب الشهوات من النساء و البنين الى قوله ذلك متاع الحياة الدنيا، و هي كلها حجب و اغطية على القلوب اذا استغرقت فيها و استحكمت تصوير غشاوة و طبعا و ريناً على مرآة القلب، و عمى على عينه، و قرأ على اذنه، كما في قوله تعالى: فاغشيناهم فهم لا يبصرون و سواء عليهم أنذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون و جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه و في آذانهم وقرا، و قوله: و ان تدعوهم الى الهدى لا يسمعون، و قوله: و تريهم ينظرون اليك و هم لا يبصرون، و قوله: صم بكم عمى فهم لا يعقلون، و ذلك لان السمع و البصر و غيرهما من المدارك التي يمكن بها ادراك الامور الآخرة ليست هذه الظواهر المادية التي اشتركت فيها ساير الحيوانات مع الانسان، بل هذه قشور و ملابس على تلك الحواس التي تدرك بها امور الآخرة، كما ان مدركات هذه المشاعر قشور و قبور و حجب على مدركات تلك المشاعر، و هي الصور الموعودة في الجنان، المستورة عن اعين الخلايق من الانس و العجان، كما قال: و لاتعلم نفس ما

اخفى لهم من قرّة اعين جزاء بما كانوا يعملون، و ادراكها متوقف على نزعها من القشور و اخراجها عن موادها التي هي كالقبور، « كلا انها تذكرة فمن شاء ذكره » و انما يتذكر اولوا الالباب و الابصار، فمن نظر اعتبر ومن اعتبر عبر.

و اما وساوس العادة فهي تسويلات النفس الامارة بالسوء و تزيينها الاعمال الغير الصالحة، و ترويجها الاعتقادات الكاسدة، و تصويرها الآراء الفاسدة بصورة الحق، و منشأها قوة الخيال و الوهم، كما ان منشأ القسم الاول قوة الطبع و الحس، « قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا و هم يحسبون انهم يحسنون صنعا ».

و اما نواميس الامثلة فهي كمتابعة اهل الضلال و تقليد المشهورين بالفضل و الدراية، و استهواء الشياطين من الانس، اعنى علماء السوء، و اجابة دعوتهم و تتبع آرائهم الفاسدة و اقتفاء آثارهم المغوية المضلة، قوله تعالى: و ان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون الا الظن و ان هم الا يخرصون، ان الظن لا يغنى عن الحق شيئا، و قالوا ربنا ارنا اللذين اضلانا من الجن و الانس نجعلهما تحت اقدامنا ليكونا من الاسفلين، و قالوا ربنا هؤلاء اضلونا فاتهم عذابا ضعفاً من النار، و هذا سد عظيم و حجاب شديد وقع على اكثر الناس اعنى تقليد الجهال المتشبهين بالعلماء، من الجدليين الضالين المضلين المكذبين لانبياء الله و هم لا يشعرون، و هم الذين قال الله فيهم: و من الناس من يجادل في الله بغير علم و لا هدى و لا كتاب منير ثانى عطفه ليضل عن سبيل الله، و قال: من الناس من يجادل في الله بغير علم و يتبع كل شيطان مريد كتب عليه انه من تولاه فانه يضل و يهديه الى عذاب السعير، و قال: افرأيت من اتخذ الهه هواه و اضله الله على علم و ختم على سمعه و قلبه و جعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله افلا تذكرون.

قاعدة

في نتائج الاعراض عن سلوك سمت المعاد بتكميل النفس وتطهيرها، وتنوير القلب وتهذيبه، وهى الظلمة و ضيق الصدر و عذاب القبر و الاحتراق بنار الجحيم و الحرمان عن لذات النعيم و الاحتجاب عن جمال رب العالمين.

و ذلك لما مران قوام النشأة و حيوة القلب انما يكون بالعلم و المعرفة فمن لاعلم له لاقوام لنفسه و لاحيوة لقلبه و لانور له. و اعلم ان دار الاخرة دار حيوانية علمية، و وجودها وجود ادراكي، ليست كدار الدنيا التى هى دار الموت و الزوال و الجهل و الظلمة، قال تعالى ان الدار الاخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون، فبقدر نور المعرفة تكون قوة السعى و سرعة المشى الى منازل الاخرة، قال يوم ترى المؤمنين و المؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم و بايمانهم، فمن لا نور له لا يعيش له هناك، قوله و من اعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا و نحشره يوم القيامة اعمى.

واعلم ان للعمى مراتب، اعنى عمى القلب الحقيقى «فانها لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور»، والمراد من الصدر ايضاً الصدر المعنوى الذى هو النفس الحيوانية البشرية المدركة للجزئيات، و تلك المراتب هى مثل الغشاوة، فاغشيناهم فهم لا يبصرون، و الختم، «ختم الله على قلوبهم»، و الطبع، «بل طبع الله عليها بكفرهم»، و الرين «كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون»، و هذا غاية مراتب العمى المؤدية الى الحرمان و اليأس و اعظم الحجب الاحتجاب من الحق، «كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم».

المشهد الثالث

في تحقيق القبر و عذابه و ثوابه

قال بعض الاكابر ان نفس الانسان اذا تجردت عن البدن ربما لا يتجرد
يتجرد عن آثاره و غباره، بل يصحبها الهيئات المكتسبة، و هي عند الموت
عارفة بمفارقة البدن عن دار الدنيا، مدركة ذاتها بقوتها الوهمية عين الانسان
المقبور الذي مات على صورته، كما كان في الرؤيا يشاهد نفسها على صورته
التي كانت في الخارج بعينها، و يشاهد الامور مشاهدة عيان بحسها الباطني،
و يشاهد الالام الواصلة اليها على سبيل العقوبات الحسية على ماوردت به
الشرايع الحققة، وهو عذاب القبر، و ان كانت سعيدة فيتصور ذاتها و صور
اعمالها و نتايج ملكاتها و ساير المواعيد النبوية على وفق ما كانت تعتقده
او فوق ما يتصوره، فهذا ثواب القبر، ولذلك قال النبي صلى الله عليه و آله

١- البدن العنصرى الحى بالحياة الدنياوية، فهذا البدن العنصرى الذى هو من
المركبات العنصرية و من الموجودات الدنيوية التى وجودها عين الموجودات الدنياوية
بما هي دنيوية، كيف يتصور و يتقل مفارقتها عن دار الدنيا و خروجه عنها الى دار اخرى
غير دار الدنيا لاستزمام هذه المفارقة و الخروج مفارقة الشئ عن نفسه و انفكاكه عنهما،
وانفكاك الشئ الشخصى بعينه عن نفسه من الامور النسبية الاستحالية وان اراد منه البدن الاخرى
المعروف بالقالب المثالى و هو الصورة المثالية الملكوتية التى هي بعينها الروح النفسانية المعروفة
بالحس الباطن و يسمى بالقوة الخيالية و الصورة الخيالية فهذه المفارقة فرع القول بتجرد قوة الخيال
و بوجود عالم المثال الصورى و بوجود البعد المجرى عن المادة و المدة و هذا الشيخ و من يحدو حدوه
لا يقولون و لا يمكن لهم القول بذلك و الحق على مشربه الكدر هو الاحتمال الاول و هو كما ترى
اظهر نافلا تغفل (نورى قدس سره)

القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران، فالقبر الحقيقي هذه الهيآت و عذابه و ثوابه ما ذكرناه انتهى كلامه.

واعلم ان ما ذكره هذا العالم النحرير غاية ما يمكن ان يقول هو من يحذو و حذوه من الذين زعموا ان الجزء الباقي من الانسان بعد الموت ليس الا جوهرأ عقليا لا يصحبه قوة الخيال فضلا عن قوة الحس فصعب عليهم اثبات عذاب القبر و ثوابه على الوجه الادراك الجزئي الحسى.

واما نحن بحمد الله فلما ذهبنا الى ان للانسان غير هذا القشر الطبيعي بدننا نفسانيا ذاحواس جزئية من السمع والبصر والذوق والشم واللمس، يدرك بها الصور والاشكال الاخرية من المثوبات والعقوبات الموعودة فى لسان النبوات، فلا يعسر علينا اثبات كثير من امور القيامة و ما بعد الموت على الوجه المسموع المنقول.

ثم العجب من هذا القايل و من فى طبقتة كيف يمكنهم اثبات هذه الادراكات الجزئية بعد الموت، لانها التى يتوقف عندهم على الالات الجسمانية والقوى الطبيعية المادية، والوهم ايضا عندهم قوة قائمة بجزء من الدماغ فكيف يبقى العرض بعد فساد موضوعه، والحق عندنا ان الجوهر المتخيل الحساس من الانسان امر باق بعد الموت الطبيعى.

قال اعظم المحدثين ابو جعفر محمد بن على بن بابويه طاب ثراه: اعتقادنا فى المسئلة فى القبر انها حق لا بد منها، فمن اجاب بالصواب فاز بروح و ريحان فى قبره و بجنة نعيم فى الآخرة، ومن لم يجب بالصواب فله نزل من حميم فى قبره و تصلية جحيم فى الآخرة، واكثر ما يكون فى عذاب القبر من النميمة و سوء الخلق والاستخفاف بالبول، و اشد ما يكون عذاب القبر على المؤمن، مثل اختلاج العين او شرطة الحجام و يكون ذلك كفارة لما بقى من الذنوب التى لم تكفرها الهموم والغموم والامراض، وشدة النزاع عند الموت.

قال بعض اهل الكشف و الشهود كل من كشف الغطاء عن بصيرته و شاهد بعين القلب باطنه فى الدنيا، لراة مشحونا بانواع الموزيات و اصناف السباع، مصورة عنده مثل صورة الغضب و الشهوة والحقد والحسد والكبر

و العجب و الرياء، ان لكل من هذه المعانى صورة فى الباطن كما لها صورة فى الدنيا، لكن صورتها التى فى الدنيا مغشوشة بغيرها، مغموسة فى مادتها ممنوعة عن تأثيرها بعوايق خارجية.

فسبع الدنيا يمكن الاحتراز عنها بمانع او حجاب او عدم قصد من جانبه او غير ذلك، بخلاف السبع الباطنى فان كله حقيقة السبعية، وهو مع ذلك متمكن من صميم قلب من رسخت ملكة السبعية فيه، و كذلك الحيات والعقارب التى فى البرزخ او فى الآخرة، فانها لازمة الايلام والايذاء من غير دافع ولا معارض، لانها صور خالصة بلا امتزاج بغيرها ولا افتراق و انفكاك بعد، ان الصور كلها فى القيامة صور محضة بسيطة غير مشوبة بغواش و ملابس و مواد، وكذا نار الآخرة ليست كنار الدنيا ممزوجة بغيرها من دخان او هواء او مادة حطب او فتيلة دهن او غيرها، بل نار محضة قطاعة «تزاعة للشوى تدعوا من ادبر و تولى».

وقد ورد فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وآله فى عذاب القبر انه قال هل تدرون فيماذا انزلت «فان له معيشة ضنكا» قالوا الله و رسوله اعلم، قال عذاب الكافر فى قبره ان يسלט عليه تسعة و تسعون تينا، هل تدرون ما التنين؟ تسعة و تسعون حية لكل حية تسعة رؤس ينهشونه ويلحسونه و ينفخون فى جسمه الى يوم يبعثون، فانظر يا عارف بين التدبر والاعتبار فى هذا الحديث و تبصروا هتد.

فانى و الحمد لله اعلم بعين اليقين ان هذا الحديث ونظائره الواردة من طريق الكتاب والسنة فى احوال القيامة واهوالها حق و صدق، فآمنت بها ايماناً عيانياً مقروناً بالكشف والشهود «وبصرت بمالم يبصروا وجئتك من سبأ نبأ يقين»، و لست كالمتفلس الجاهل باحكام الآخرة و احوال القيامة ينكر هذا وامثاله و يبجدها، و يقول انى نظرت فى قبر فلان فلم ار شيئاً من تلك الحيات اصلا، وليعلم الجاهل المتفلس العنين فى معرفة الله و اليوم الاخران هذا التنين له صورة غائبة عن هذا الحواس، ان مدركاتنا مختصة بماله وضع مادى بالنسبة الى محل الحس الداثر، و لاجل ذلك

لم يقع الاحساس بهذا التنين ومايجرى مجراه من حيات الاخرة و موزياتها ولدغها و ايلامها لخد الطبيعة و غشاوة الحس الظاهري، و ان تلك الحيات و الموزيات ليست لها صور خارجة عن ذات الميت، اعنى صميم قلبه و عين باطنه و نفسه المصورة في القيامة بصورة اخلاقه و اعماله، و قد مرت الاشارة الى ان الصور المحسوسة بماهى محسوسة بالذات متحد بالجواهر الحاس، بل الروح هى بالحقيقه الحساس اللامس الذائق الشام، و هى التى يتألم و يلتذ و يتنعم و يتعذب في الدنيا و الاخرة جمعياً، لكن في الدنيا مع غواش و ظلمات و ملابس، و هى خالصة يوم القيامة، فصورة هذا التنين كانت مع الكافر المنافق قبل موته ايضاً متمكنة من باطنه، لكن لم يكن شاعراً بهذه الحيات و رؤسها و مباديها و صورها و موادها المعنوية، لخد حسه و غشاوة طبعه و امور شاغلة له عن دركها، و حجب حاجبة اياها عن بصيرته، لغلبة الشهوات و الاغراض، فما احس بلدغ هذا التنين و عدد هذه الحيات التى عددها بقدر عدد الشهوات و عدد رؤسها بقدر عدد الاخلاق النفسانية الرديئة التى هى مبادئ الشهوات.

قال بعض العلماء: اصل هذا التنين حب الدنيا التى هى رأس كل خطيئة، و يتشعب منه رؤس بعدد ما يتشعب من حب الدنيا من الاخلاق الذميمة و ما يتبعها من الشهوات، و اصل هذا التنين معلوم بنور البصيرة، و كذا كثرة رؤسه، و اما انحصاره فيما ورد في الحديث المذكور فانما توقف عليها بنور النبوة لا غير، فهذا التنين متمكن من صميم فؤاد الكافر لا مجرد كفره بالله و جهله البسيط، بل لما يدعوه اليه كفره من حب الدنيا، كما قال: ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الاخرة.

المشهد الرابع في البعث و الحشر

قاعدة

اما البعث فهو خروج النفس عن غبار الهيات البدنية المحيطة بها، كما يخرج الجنين من القرار المكين، و مدة كون الميت في القبر ككون الجنين في الرحم، ونسبة حالة القبر الى حالة البعث كنسبة الجنين الى المولود، بقوله تعالى و من ورائهم برزخ الى يوم يبعثون، و قد مرت الاشارة الى ان للانسان انحاء من الوجود بعضها اقوى و اتم من بعض، و ان له بعد هذه النشأة العنصرية نشآت اخرى، واما قول صاحب الاحياء ان دنياك و آخرتك ليستا الا حالتاك، و هما من جنس المضاف، فليس كما ينبغي الا ان يراد بالحالة نحو من الوجود الجوهرى، و ليس المراد من كون الدنيا و الاخرى امران اضافيان، ان هوية الانسان نحو واحد من الوجود، يكون اولا في هذا العالم و ثانياً في ذلك العالم من غير تحول جوهرى و حركة معنوية، بل الدنيوية و الاخرية و الاولى و الاخرية صفتان جوهريتان له، و طوران وجوديتان لذاته لما سبق، من ان الانسان من لدن حدوثه يشتد وجوده شيئاً فشيئاً و يتطور في الاطوار الوجودية تدريجاً، الا ان الدنيا جامعة لطائفة من تلك الاطوار و الاخرة جامعة لما بعد هذه الاطوار الى ما لا نهاية له، و جميع الاطوار الدنياوية على تفاوتها في الدنائة و الشرف خسيسته دنية

بالقياس الى الاطوار الاخروية، ولهذا المعنى يصح ان يقال انهما واقعتان تحت جنس المضاف، و ا ليه الاشارة بقوله ولقد علمتم النشأة الاولى فلولا تذكرون، فكل من علم ان هذه النشأة الدنيوية من اوائل تكوناته الطبيعية الواقعة فيه على التدريج، يعلم ان ذاته متوجهة دائماً من نشأة ادنى الى نشأة اخرى، و ان له اطوار مختلفة بعضها بعد بعض، على سبيل منازل السفر الى الله تعالى بعض هذه المنازل فى الدنيا و بعضها فى الاخرى، فاصل مادة وجوده من الدنيا، و كذا صورته العنصرية ثم الصورة النباتية ثم الصورة الحسية كلها من الدنيا، وبعده هذه الاطوار نشأة النفس ثم القلب والروح والسرو الخفى، و ماوراء كلها من الاخرة «وللاخرة اكبر درجات و اكبر تفضيلاً».

و اقوى البراهين عندنا فى تحقيق النشأة الاخرة هو المأخوذ من اثبات الغاية فى الحركات الطبيعية سيما الحركة الجوهرية الانسانية، لانها واقعة فى جميع الحدود الامكانية من ادونها، كالنطفة بل التراب الى اعلاها اذا قطع بها القوس الصعودية كلها، و لهذا وقع هذا السياق من البرهان فى كثير من آيات القرآن مثل قوله، كيف تكفرون بالله و كنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون، يعنى كنتم امواتا قبل ولوج الروح الحيوانى فيكم كساير النباتات و الجمادات، فاحياكم بهذه الحيوه الحسية، ثم يميتكم عن هذه الحيوه الطبيعية بافاده الحيوه النفسانية الروحانية، ثم اليه ترجعون بحيوه اخرى قدسية، و قوله حكاية عن من قال فى جواب من قال، و ماظن الساعة قائمة، قال له صاحبه و هو يحاوره اكفرت بالذى خلقك، من تراب ثم من نطفة ثم سويك رجلاً، و قوله يا ايها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقه ثم من مضغة مخلقة و غير مخلقة لنبين لكم و نقر فى الارحام ما نشاء ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا اشدكم، الى هنا من الاطوار الدنياوية، و لا بد لهذه الحركة الذاتية من غاية فى الطبيعة، و الا لكانت عبثاً و باطلاً، و تلك الغاية لا بد ان يكون امرأ خارجاً عن حدود الدنيا لوقوع المرور على مراتبها كلها، و الغاية بالضرورة خارجة عن حدود المسافة و مراحلها، فهى من منازل الاخرة، و هى لا تحصل الا

بعد الموت والبعث، فالموت هو آخر منزل من منازل الدنيا و اول منزل من منازل العقبى، ولاجل هذا قال: ذلك بأن الله هو الحق و انه يحيى الموتى و انه على كل شئ قدير و ان الساعة آتية لا ريب فيها و ان الله يبعث من فى القبور، و قال ايضا: ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين الى قوله ثم انشأناه خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين ثم انكم بعد ذلك لميتون، ثم انكم يوم القيامة تبعثون، و قال: افحسبتم انما خلقناكم عبثا و انكم الينا لاترجعون، و قال: ايحسب الانسان ان يترك سدى الم يك نطفة من منى يمى ثم كان علقه فخلق فسوى و جعل منه الزوجين الذكر والانثى اليس ذلك بقادر على ان يحيى الموتى، و قوله: اولم يرا الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين و ضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام و هى رميم قل يحييها الذى انشأها اول مرة و هو بكل خلق عليم، الى غير ذلك من الايات التى وقع الاستدلال بها على ثبوت البعث تارة من جهة اثبات الغايات، و تارة من جهة البدايات، فان للانسان نشأت بعد هذه النشأة الطبيعية، كما ان له نشأت سابقة على هذه، والقوم ربما ذهلوا عن بعض مقاماته اللاحقة او كلها، كما انهم ربما غفلوا عن بعض مقاماته السابقة، فتارة انكروا بعض مراتب المعاد و منازل النفس كالظاهر بين المنكرين للمعاد الروحاني و كالفلاسفة المنكرين للمعاد الجسماني، و تارة كلها كالدهريه المنكرين للمعادين جميعاً الزاعمين ان الانسان اذا مات بطل، «قالوا ان هى الاحياتنا الدنيا نموت ونحى وما يهلكنا الا الدهر»، كما انهم ربما انكروا ان كان للانسان كينونة سابقة على حدوث هذا البدن، كاتباع ارسطو المنكرين لتقدم النفس على البدن تقدماً عقليا كما رآه افلاطون و من قبله، و اما اهل المعرفة و الشهود المقتبسون انوار الحكمة من مشكوة النبوة فيعلمون ان للانسان نشأت وجودية بعد هذا الوجود، و نشأت وجودية قبله، كل بازاء نظيره قال تعالى اشارة الى بعض المقامات السابقة: واذا اخذ ربك، من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم و اشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى الاية، اى

اخذ ارواحهم من ظهور آبائهم العقلية، فهذا مقام عقلى تفصيلي^١ لافراد الناس بعد وجود اعيانهم فى علم الله على وجه بسيط عقلى، و قال اشارة الى مقام آخر بعدالمقامين المذكورين: يا آدم اسكن انت و زوجك الجنة فكلا منها رغدا حيث شئتما الاية، فهذه ايضا نشأة سابقة للانسان على نشأته الدنياوية، فاذا ثبت ان له اطواراً سابقة على هذا الوجود ثبت ان له العود اليها تارة اخرى، اما سعيداً، او شقيماً محبوساً فى بعض المحابس و السجون.

و بالجملة من علم انه من اين يجيء الى هذه الدار، يعلم انه الى اين يذهب، بقوله: كما بدأنا اول خلق نعيده وعداً علينا انا كنا فاعلين، وقوله كما بدئكم تعودون فريقاً هدى و فريقاً حق عليهم الضلالة.

تنبيه استبصارى

اعلم ان الانسان لو علم زهاب بدنه و قلده طبيعته فى السلوك الى الكمال، و سلك فى زهاب نفسه و تصرف احوالها كما سلك فى مذهب جسده و صورة بدنه، سيبلغ اقصى الغايات انشاء الله، فما سلكت فيه طبيعة بدنه و ذهب اليه مسافر جسده، انه ابتداء من تراب ثم من نطفة ثم كان علقة ثم مضغة ثم جنينا مصوراً ثم طفلاً متحرراً حساساً، ثم صار صبياً زكياً، ثم شاباً متصرفاً قوياً نشيطاً متفكراً، ثم يكون كهلاً مجرباً عاقلاً او مكاراً محيلاً، ثم يكون شيخاً حكيماً كاملاً او زنديقاً كافراً، فله ان يصير بعد الموت ان

١- التفصيلى الوجودى، و قوله على وجه بسيط عقلى تعنى من الوجه البسيط العقلى فى علم الله، العلمى الكمالى الذاتى السابق على وجود الاشياء و ايجادها و على العلم بها فى مراتب وجودها الوجود الاجمالى، و قوله الى مقام آخر بعدالمقامين يعنى الوجود الملكوتى الصورى المثالى الذى هو عالم الاشباح بعدعالم الارواح العقلية، و تلك الارواح و الاشباح السابقة على وجودهم فى النشأة الدنياوية نشأتها نشأة الدهر بقسميه الايمنى و الايسرى، و الدهر باطن الزمان و سره، و الوجود الدنياوى زمانى و الزمان ظل الدهر، و عن الايمنى و الايسرى من الدهر الداهر يخبر قوله صلى الله عليه وآله ان الارواح خلق قبل الابدان بالفى عام و الاخبار بهذا الاخبار عنهم كثيرة جداً (نورى قدس سره)

استقامت طريقته و صلحت سريرته ملكاً مقرباً ملتذاً بلقاء الله تعالى و قربه، و ان اعوجت سبيله و انسلخت فطرته فيصير مطروداً عن باب الله معذبا عذاباً اليماء، و معلوم ان في الاستحالات و الانقلابات الطبيعية كان له ذهاب من طور ادنى الى طور اعلى، و كان كلما انخلع عنه صورة ناقصة تلبس بما هو اعلى منزلة و اجود من الاولى، و كان له في كل موت حيوة جديدة اشرف من الحيوة السابقة، فهكذا ينبغي ان يتحرى في مذهب نفسه في العلم والعمل، فلا يروم ان يرقى الى درجة من الكمال الا و يخلع عن نفسه اراء و اخلاقاً و عادة كانت مألوفة له معتاداً بها اولاً، حتى يمكنه ان يفارق الصور البشرية كلها و يصعد الى ملكوت السماء و يجازى هناك باحسن الجزاء، و يكون «مع الذين انعم الله عليهم من النبيين و الصديقين و الشهداء و الصالحين و حسن اولئك رفيقاً».

قاعدة

في الحشر

اعلم ان الزمان علة التعاقب و التسابق في الوجود، و المكان علة التكثر و الافتراق في الحضور، فهما سببان لاختفاء الموجودات بعضها عن بعض، فاذا ارتفعا في القيامة ارتفعت الحجب بين الخلايق فيجتمع الخلايق كلهم الاولون و الاخرون، «قل ان الاولين و الاخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم»، فهو يوم الجمع «يوم يجمعكم ليوم الجمع لا ريب فيه»، و بوجه آخر هو يوم الفصل، لان الدنيا دار الاشتباه و الاختلاط، متشابك فيها الحق مع الباطل، و يتخالط فيها الوجود و العدم و الخير و الشر و الخبيث و الطيب، و في الاخرة يتفرق المتخالفات لقوله: يوم يقوم الساعة يومئذ يتفرقون، و فيها يتميز المتشابهون لقوله، ليميز الله الخبيث من الطيب الاية، و ينفصل الخصمان لقوله، ليحق الحق و يبطل الباطل، و قوله: ليهلك من هلك عن بينة و يحيى من حى عن بينة، و لا منافاة بين هذا الفصل و ذلك الجمع، بل هذا يوجب ذاك كما قال: هذا يوم الفصل جمعناكم و الاولين، و الحشر ايضاً بمعنى الجمع قوله: و حشرناهم فلم تغادر منهم احداً.

اعلام كشفى

اعلم ان حشر الخلايق على انحاء مختلفة لما علمت سابقا من ان الانسان سيصيرا نوعاً مختلفة بحسب الباطن والروح، بعد ان كان نوعاً بحسب الطبيعة البشرية، وذلك من جهة اختلاف ملكاتهم الحاصلة من تكرر اعمالهم، فالحشر لقوم على سبيل الوفد الى الحق «يوم نحشر المتقين الى الرحمن و فدا»، و لقوم على سبيل الانسياق الى جهنم و قوله: و نسوق المجرمين الى جهنم ورداً، و لقوم على سبيل التعذيب «يوم يحشر اعداء الله الى النار»، و قوم كما فى قوله: يوم يسحبون فى النار على وجوههم ذوقوا مس سقر، و قوله يسحبون فى الحميم ثم فى النار يسجرون، و قوم كما قال: و نحشر المجرمين يومئذ زرقا، و قوم كما قال: و نحشره يوم القيامة اعمى. و بالجملة يحشر كل احد الى غاية سعيه و عمله و نهاية قصده و نيته و همته ما يحبه و يشاق اليه، «المرء يحشر مع من احب»، كما قال: احشروا الذين ظلموا و ازواجهم، و قوله: فوربك لنحشرنهم و الشياطين، حتى انه «لواحب احدكم حجراً يحشر معه».

بصيرة برهانية

قد سبق ان تكرر الافاعيل من الانسان يوجب حدوث ملكات و اخلاق فى نفسه، و كل ملكة و صفة تغلب على جوهر النفس يتصور النفس فى القيامة بصورة تناسبها، و لاشك ان افاعيل الاشقياء المدبرين المردودين الى اسفل سافلين بحسب همهم القاصرة عن الارتقاء الى جهة عليين، مقصور على اغراض بهيمية او سبعية غلبت عليهم شقوتهم، و نفوسهم مردودة فى البرازخ الحيوانية، فيحشرون على صور تلك الحيوانات فى الدار الآخرة، فان حقيقة كل نوع ليست مادتها بل صورتها التى هى بها بالفعل، سواء كانت بلامادة او فى مادة، و سواء كانت المادة من هذا العالم او من عالم

آخر، فصورة البهيمية او السبعية اذا حصلت في قابلية النفس و رسخت فيها صارت بهيمة او سباعاً بحسب الباطن، و سيبرز في الاخرة عند كشف الغطاء ويحشر فيها كذلك كما في قوله: و اذا الوحوش حشرت، وفي الحديث «يحشر بعض الناس على صورة يحسن عندها القردة والخنازير» و بالجملة يحشر الخلايق على صور ضمائرهم و نياتهم، و عليه يحمل معنى التناسخ الوارد في لسان الاقدمين.



المشهد الخامس

فى الصراط

الصراط طريق الحق و دين التوحيد الذى جميع الانبياء والرسل عليهم السلام و متابعيهم عليه، و جميع المقامات السنية و احوال السالكين فى السير الى الله و فى الله راجعة اليه، و علم التوحيد انفع العلوم و انورها و اشرفها و اوثقها و نقاوتها و صفوتها، و هو المقصد الاقصى و المنزل الاعلى، و ليس وراء عباد ان قرية و لامطعم فى النجاة الا باقتنائه، و لافوز بالدرجات الا باجتنائه، و لعلو مرتبته انقلبت البصائر عنه كليله، و العقول عليله، و النواظر خواسر، و حقيقة التوحيد يجلى عن ان يحيط بها فهم، او يحوم حوم حماها وهم، و لا يصعد احد الى جوار الله و قربه الا صاحب علم التوحيد، و ما يمر على درجات السلوك نحوه و الصعود اليه الا بقوة هذا اليقين، فهو السالك الواصل اليه تعالى بقطع منازل الاحتجاب، و طى طبقات الحسنات و

١- ان صراط التوحيد هو نفس المؤمن المسافر من بيت نفسه الى الله امثالاً لامره تعالى حيث قال يا ايها النفس المعطمئة ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى و ادخلى جنتى و ان تلك المسافرة الرجوعية لاجل ان يسلم نفسه التى باعها من سبحانه بثمان الجنة كما قال جل شأنه ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم و اموالهم بان لهم الجنة و بعد التسليم لما صارت نفس المؤمن نفسه عمت رحمته كتب على نفسه الرحمة و غرس فيها بيده فصارت جنة فيملكها حالئذ اياه تملكها صريحاً ابدياً فيدخلها المؤمن مستوراً بالجنة التى هى ستر الله الساترة له سالمة مسلمة نفسه التى صارت مطمئنة ببرد اليقين و ذلك هو الغفران المبين (نورى قدس سره)

سجلات الكتاب، وغيره لا يمكن له السعى والمشى الا بالاقتداء به والاعتصام بعروته والتمسك بضياء نوره وقوته، كالأعمى فى المشى بالقائد الاخذ بيده، على ان لكل طائفة صراطا تمر عليه كما قال تعالى: وما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم.

وقد علمت ان لكل موجود حركة جبلية و توجهاً غريباً الى مسبب الاسباب، وللانسان مع تلك الحركة الجبلية حركة ارادية نفسانية لباعث دينى، وهذا المعنى اى تقلب الوجود فى اطوره الكمالية مشاهد مكشوف لاهل البصيرة فى اكثر الموجودات، و خصوصاً فى الانسان لسعة دائرة وجوده و عظم قوسه الصعودية اذا لم ينحرف عن صراط ربه و لم يسقط عن فطرته، قال تعالى: و انك لتهدى الى صراط مستقيم صراط الله الذى له ما فى السموات و ما فى الارض، فالاستقامة عليه و التثبت فيه هو الذى كلف الله عباده به و ارسل رسوله اليهم، و انزل الكتاب عليهم لاجله و باقى الصراطات ليس شىء منها، هو هذا الصراط المختص باهل الله، لان كلامها يؤدى سلوكه الى غاية اخرى غير لقاء الله، والى مظهر اسم آخر غير الرحمن الرحيم، كالتقى روالمنتقم و الجبار وغير ذلك، والى منزل آخر غير الجنة و الرضوان كطبقات النيران، كما حققه العرفاء قال تعالى: قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة انا و من اتبعنى، و الاستقامة عليه هى المراد بقوله: فاستقم كما امرت و من تاب معك ولا تطغوا، و الانحراف عنه يوجب السقوط عن الفطرة و الهوى الى جهنم التى « قيل لها هل امتلات و تقول هل من مزيد»، و هذا الصراط هو المدعو للمصلى فى كل صلوة بقوله اهدنا الصراط المستقيم، و هو « ادق من الشعر واحد من السيف»، لان كمال الانسان منوط باستعمال قوته، اما القوة النظرية فلا صابة نور اليقين فى الانظار الدقيقة التى هى ادق من الشعر، و اما القوة العملية فتبسيط قواها الثلاثة التى هى الشهوية و الغضبية و الفكرية فى الاعمال، لتحصل للنفس حالة اعتدالية متوسطة بين الاطراف غاية التوسط، وهى احد من السيف، فالصراط له وجهان، احدهما ادق من الشعر، و الاخر احد من السيف، و الانحراف عن الوجه الاول

السقوط عن الفطرة، «ان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون» و الوقوف على الوجه الثاني يوجب الشق والقطع، كما قيل: من وقف عليه شقه، واليه الإشارة بقوله يسحبون في الحميم، وقوله: اناقلتم الى الارض ارضيتم بالحياة الدنيا عن الآخرة، وعن النبي صلى الله عليه وآله في قوله تعالى: ان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه، اى «مروا على صراط الآخرة مستويا من غير انحراف وميل» فمعنى حسن الخلق الوسط بين الافراط والتفريط، فخير الامور اوسطها، وكلا طرفى قصد الامور فى الدنيا ذميم، ولذلك قال تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط، وقال والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً، وقال اشداء على الكفار رحماء بينهم.

و تحقيق ذلك ان كمال الادمى بحسب العمل، التجرد والبرائة عن هذه الاوصاف المتضادة الحيوانية، وليس فى قدرة البشر الانفكاك عنها بالكلية، لكن التوسط بين الاضداد بمنزلة الخلو عنها، وكلا جانبى هذا الصراط الحميم، و وسطها طريق الجنة، ولهذا قيل «اليمن والشمال مضلة» و كماله بحسب العلم هو تحصيل نور الايمان واليقين، وغايته ان يصير ايمانه عياناً، وعلمه عينا، ويقينه شهوداً حقاً.

مشاهدة قلبية

هذا الصراط يظهر يوم القيامة على الابصار وعلى قدر نور اليقين للمارين عليه الى الآخرة، وبحسب شدة نور يقينهم يكون قوة سلوكهم و سرعة مشيهم، فيتفاوت درجات السعداء بتفاوت نور معرفتهم وقوة يقينهم وايمانهم، لان المعارف انوار ولا يسعى المؤمنون الى لقاء الله الا بقوة انوارهم، كما قال: يوم ترى المؤمنين و المؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم و بايمانهم .

وقد ورد فى الخبر ان بعضهم يعطى نوراً مثل الجبل، وبعضهم اصغر، ويكون آخرهم رجلاً يعطى نوراً على قدر ابهام قدمه، فيضىء مرة و يطفى

مرة، فاذا اضاء قدام قدمه مشى و اذا طفى قام، و مرورهم على الصراط على قدر نورهم، فمنهم من يمر كطرف العين، ومنهم كالبرق الخاطف، ومنهم كالسحاب، ومنهم يمر كشد الفرس، والذي اعطى نوراً على قدر ابهام قدمه يجثو على وجهه ويديه ورجليه يجريداً ويعلق اخرى ويصيب جوانبه النار فلايزال كذلك حتى يخلص الحديد، وبهذا يظهر تفاوت الناس في الايمان، فرب ايمان رجل بالقياس الى ايمان رجل اخر اذا اوزن معه كان الالف مثله في القوة النورية والرسوخ العلمى .

بصيرة كشفية

عند كشف الغطاء يظهر لك ان النفس الادمية السعيدة صورة صراط الله المستقيم، الذى اذا سلكته متدرجاً على منازل ومقاماته اوصلك الى الجنة، فهو فى هذه الدار كسائر الامور الاخروية غايبة عن الابصار، فاذا انكشف عند الغطاء بالموت ورفع الحجاب عن عين روحك، يمد لك يوم القيامة كجسر محسوس على متن جهنم، اوله فى الموقف وآخره على باب الجنة، يعرف ذلك من يشاهده انه صنعتك و بناك، و تعلم حينئذ انه كان فى الدنيا جسراً ممدوداً على متن جهنم طبيعتك التى قيل انها « ظل ذى ثلاث شعب لاطليل ولا يغنى من اللهب » لانها الذى تقود النفس الى لهب الشهوات التى يظهر اثر حرها فى الاخرة، فالسعيد من اطفى ناره بماء العلم وطهارة التوبة .

زيادة كشف وتوضيح

قال الشيخ الصدوق محمد بن على بن بابويه القمى رحمه الله اعتقادنا فى الصراط انه حق و انه جسر جهنم و ان عليه ممر جميع الخلق، قال الله تعالى: و ان منكم الا و اردھا كان على ربك حتما مقضيا، قال: و الصراط فى وجه آخر اسم حجج الله، فمن عرفهم فى الدنيا و اطاعهم اعطاه الله جوازاً

على الصراط الذى هو جسر جهنم يوم القيامة، وقال النبى صلى الله عليه وآله لعلى عليه السلام يا على اذا كان يوم القيامة اقعدا وانانت وجبرئيل على الصراط ولا يجوز على الصراط احد الا من كانت معه برائة بولايتك، عن الحسن البصرى فى صفة الصراط : انه مسيرة ثلاثة الاف سنة، ادق من الشعر واحد من السيف، الف صعود، والف استواء، والف هبوط، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: شعار المؤمنين على الصراط رب سلم رب سلم، وقال صلى الله عليه وآله : ثلاث مواطن لا يذكر احد احداً، عند الميزان حتى يعلم ايخف ميزانه او يثقل، وعند تطاير الصحف حتى يعلم ايقع كتابه فى يمينه ام فى شماله ام من وراء ظهره، وعند الصراط اذا وضع بين ظهر جهنم حتى يجوز. قال اهل الشهود ان الله تعالى خلق الصراط من رحمته اخرجها للمؤمنين، فالصراط للموحدين خاصة، و الكفار لاجواز لهم عليه، لان النار قد التقطت منا لموقف جبابرهم، وسائر الكفار قد اتبعوا ما كانوا يعبدون من دون الله عز وجل الى النار، فقسم النور بين الموحدين على قدر ما جاؤا به من الدنيا، و الصراط يدق و يتسع على حسب منازل الموحدين، الدقة للمذنبين والسعة للمتقين، والاصل الواسع للانبياء والاولياء يصير لهم كالبساط سعة وبسطا، ولهم السرعة والابطاء، فاولهم كلمح البصر وآخرهم كعمر الدنيا سبعة آلاف سنة، تزل قدم تحترق، ثم يخرجها فتبرء من الرحمة، ثم تزل قدم والاخرى قد برئت، فالاسلام خرج لهم من الرحمة، فلما قبلوه ولم يفوا به ضرب لهم جسراً من تلك الرحمة، فيمرون عليها فمن ضيع منهم شيئاً من اعمال الاسلام فانما ضيع الرحمة التى رحم بها فزلت، فالدقة والاتساع على قدر الرحمة من الله للعبد فبحظ العبد من الرحمة التى قسمه سبحانه فى ايام الدنيا يتسع الصراط عليه هناك، والسرعة والابطاء فى قطع الصراط على قدر القرب، فبحظ العبد من نور القربة يسرع ويبطأ، فاولهم زمرة يقطع فى مثل طرف العين و لمع البرق وهم الانبياء عليهم السلام، والثانية فى مثل الريح والطير وهم الصديقون واولاولياء، والثالثة مثل حضر

الفرس واجاويد الخيل وهم المجاهدون انفسهم الذين صدقوا الله في جميع حركاتهم، والرابعة مثل الراكب رحله وهم المتقون، والخامسة في مثل سعي الرجل وهم العابدون، والسادسة مشياً وهم العمال المستورون، والسابعة جثوا وهم المتهتكون من الموحدين وكل زمرة لها نور، نور النبوة ونور الولاية ونور الصدق ونور التقوى ونور العبادة ونور الستر ونور التوحيد، فمنهم من نوره مد بصره، ومنهم من نوره عند ابهام قدمه، وهو آخرهم و ليس النور هناك بكثرة الاعمال، انما النور بعظم نور الاعمال، وانما يعظم نور العمل على قدر ما في القلب من نور القربة وكل نور اقرب الى الله فهو اقوى وانور، فكم من رجل قل عمله هناك سبق الى الجنة ممن هو اربى بعمله منه اضعافاً مضاعفة، الا ترى الى قوله صلى الله عليه وآله لمعاذ بن جبل، خلص يكفيك القليل من العمل، ولذلك روى في الحديث «يا حنذا نوم الاكياس و فطرهم كيف يغبنون سهر الحمقى و صيامهم، و لمثقال حبة من خردل من يقين افضل عند الله من امثال الجبال عبادة» .

المشهد السادس

في نفخ الصور

لما سئل النبي صلى الله عليه وآله عن معنى الصور فقال قرن من نور التقمه اسرافيل فوصفه بالسعة والضيق، فقيل ان اعلاه اوسع واسفله اضيق، وقيل بالعكس و لكل من القولين وجه صحة كما لا يخفى على العارف، و الصور بضم الصاد و سكون الواو و قرء بفتحها ايضاً جمع الصورة، لان نافخها واهب الصور باذن الله.

قال الشيخ العربي في الفتوحات المكية بعد ذكر الناقور والصور ليعلم بعد ما قرناه ان الله تعالى اذا قبض الارواح من هذه الاجسام الطبيعية والعنصرية، اودعها صوراً اخذها في مجموع هذا القرن النورى، فجميع ما يدركه الانسان بعد الموت في البرزخ من الامور يدركها بعين الصورة التي هو بها في القرن، والنفخة نفختان، نفخة تطفىء النار، و نفخة تشعلها، فكذلك نفخة الصور، نفختان .

الاولى لاماتة الانسان ولمن يزعم ان له حيوة، سواء كان من اهل السموات او من اهل الارض، قال تعالى : ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله، وهم الذين سبقت لهم القيامة الكبرى، واليهم الاشارة بقوله : ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون الى قوله : لا يحزنهم الفرغ الاكبر وتتلقيهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون يوم نظوى السماء كطى السجل للكتب، اذا الفرع الاكبر هو اشارة الى قوله : ففرع من في السموات ومن في الارض، واولئك ليسوا

من اهل السموات والارض، لكون ذواتهم خارجة من عالم الاجسام وصورها ونفوسها، ولايجرى عليهم تجدد الاكوان ولا تغير الزمان، لاستغراقهم في بحر قهر الاحدية وسطوة نور القيومية كالملائكة المهيمين و من يجرى مجراهم في ان هوياتهم مطوية تحت الشعاع القيومي، فلا التفات لهم الى ذواتهم، ولا علم لهم الى غير الله «لاعلم لنا الا ما علمتنا» .

والثانية لاجل الاحياء بعد الاماتة حيوة اخرى ارفع من الاولى، قوله : ثم نفخ فيه اخرى فاذاهم قيام ينظرون واشرقت الارض بنور ربها، اى ارض المحشر وارض الجنة وكذا النفوس .

واعلم ان المواد الكونية بصورها الطبيعية القابلة للاستنارة بالارواح كالفحم في استعداده للاشتعال، والصورة البرزخية كامنة فيها بحسب ذلك الاستعداد كمون الحرارة و الحمرة في الفحم، و الصور النفسانية كامنة في الصور البرزخية كمون الاشتعال والانارة في الحرارة، ففي النفخة الاولى زالت الصور الطبيعية بالاماتة، والصور البرزخية استعدت لقبول الاستنارة بالارواح الكامنة فيها استعداد الفحم بالنار التي كمنت فيه لقبول الاشتعال، فينفخ اسرافيل وهو المنشىء للارواح فى الصور نفخة ثانية فتستثير بارواحها فاذاهم قيام ينظرون، فيقوم تلك الصور احياء ناطقة بما ينطقهم الله الذى انطق كل شىء ، فمن ناطق بالحمد لله الذى احيانا بعد ما اماتنا واليه النشور، ومن ناطق «بمن بعثنا من مرقدنا هذا» وكل واحد ينطق بحسب علمه و حاله وما كان عليه، ونسى حاله فى البرزخ، فيتخيل ان ذلك منام كما يتخيله المستيقظ من هذه النوم، وقد كان عند موته وانتقاله كالمستيقظو ان الحيوة الدنيا كالمنام وهى فى جنب البرزخ والاخرة كمنام فى منام، وهذا القيام انما يتحقق عند القيامة وفى القيامة يتحقق البعث، لقوله : ثم انكم يوم القيامة تبعثون، وعند البعث يتحقق الثواب والعقاب .

تنوير وتذكير

اعلم ان من الناس من يرى امور القيامة و احوالها بعين البصيرة و يحضر عنده شهود الاخرة، فلا فرق في شهوده بين ان يكون قبل قيام الساعة او بعده، كما قال امير المؤمنين عليه السلام لو كشف الغطاء ما ازدت يقينا، فلا يحتاج مثله في الوصول الى عالم اليقين و بروز الحقايق له الى البعث، لزوال الحجب عن عين بصيرته كما في قوله: فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد، و ذلك لا يمكن الا بتبدل نشأتهم الدنيوية الى نشأتهم الاخروية، و اذا تبدلت نشأتهم، تبدلت اسماعهم و ابصارهم و حواسهم الى اسماع و ابصار و حواس اخروية تدرك بها امور الاخرة، و الى هذا التبديل اشار تعالى بقوله: يوم تبدل الارض غير الارض و السموات و برزو الله الواحد القهار، و بقوله: نحن قدرنا بينكم الموت و ما نحن بمسبوقين على ان نبذل امثالكم و ننشئكم فيما لا تعلمون، و بقوله: فلا اقسم برب المشارق و المغرب انا لقادرون على ان نبذل خيرا منهم و ما نحن بمسبوقين، و بهذا التبديل في الوجود سواء وقع قبل الموت او بالموت او بعده يستحق الانسان لدخول الجنة و دار السلام، و يتحقق الفرق بين اهل الجنة و اهل النار، فاهل الجنة لهم ابدان مطهرة و صور مجردة عن رجس هذه المواد، بخلاف اهل الجحيم لعدم تبدل نشأتهم كما قال تعالى: ايطمع كل امرء منهم ان يدخل جنة نعيم، كلا انا خلقناهم مما يعلمون، قال المفسرون المعنى انكم مخلوقون من نطفة قدرة لا يناسب المكون من هذه المادة عالم القدس و الطهارة، و قوله: فلا اقسم برب المشارق و المغرب عقيب قوله: ايطمع كل امرء ان يدخل جنة نعيم كلا انا خلقناهم مما يعلمون، يجري جواب عن سؤال مقدر، كانه قيل: اذا كان المخلوق من ماء مهين لا يستأهل جوار رب العالمين، انما للتراب و رب الارباب، فكيف يدخل المؤمنون جنة النعيم، فقيل نبذلهم بنشأة خير من هذه النشأة، فيحصل لهم بما اهلية الدخول في دار القدس، كما قال سبحانه: انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت

و يطهركم تطهيراً، و كما قال: انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام، اذ لا يستأهل دار الله و جواره و لا الصعود الى المنزل الاعلى، كما قال: لا تفتح لهم ابواب السماء و لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط و كذلك نجزي المجرمين لكثافة جوهرهم و ثقلهم و تعلقهم بهذا البدن الطبيعى، و تثبطهم و قعودهم عن الارتقاء الى عالم السماء و اخلاصهم الى الارض، لقوله: لكنه اخلد الى الارض و اتبع هواه.

قاعدة

فى احوال تعرض يوم القيامة

اذا ظهر نور الانوار و انكشف جلال وجه الله القيوم، و غلب سلطان الاحدية، و اشتدت جهات الفاعلية و التأثير و التنوير، و اخرجت القوابل و المستعدات من القوة الى الفعل، و انتهت الحركات الى غاياتها، و برزت الحقايق من مكامن غيبها و حجب موادها و امكاناتها الى مجالى ظهوراتها، انخرط كل ذى مبدء فى مبدئه، و رجع كل شىء الى اصله و عاد كل نقص الى كماله و كل ذى غاية الى غايته، قوله: الا الى الله تصير الامور، و قوله: لمن الملك اليوم لله الواحد القهار، و قوله: و له الحمد فى الاخرة و الاولى، و قوله: و لله ميراث السموات و الارض، فاذا اتصل كل فصل الى وصله، و التحق كل فرع باصله، و بلغ كتاب كل شىء اجله، و جمع كل مستفيض بمفيضه، « و جمع الشمس و القمر »، فلم يبق لانوار الكواكب عند ذلك ظهور، « و اذا النجوم طمست »، و لا لاجرامها قدر و وضع، « و اذا الكواكب انتشرت »، و زال ضوء الشمس و انكدر نور الكواكب « اذا الشمس كورت و اذا الكواكب انتشرت »، و محى نور القمر « و خسف القمر » و لم يبق بعد و مسافة بين المنير و المستنير، و لاتفاوت و لاتباين « و جمع الشمس و القمر »، و اتحدت النفوس بالارواح و زالت المباينة بين الاشباح و الارواح، و لهذا يكون ابدان اهل الجنة بصورة نفوسها كالشخص و ظلّه، و رجعت السموات و الارض على ما

كانتا عليه قبل انفتاحها من الرتق، فعدتا الى مقام الجمعية المعنوية من هذه التفرقة الطبيعية حيث كانتا رتقا قبل الفتق فعدتا كما كانتا رتقا بعد الفتق، وكذا العناصر الاربعة يصير كلها عنصراً واحداً مظلماً «لايرون فيها شمساً ولا زمهريراً»، والجبال لكونها متكونة من الرمال المتفتتة فعدت كما كانت عليه، «ويستلونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعاً صافصفاً لا ترى فيها عوجاً ولا امناً»، و تنقلب كل العناصر و المركبات ناراً غير هذه النار الاسطقسية وتصير الهيولى كلها بحراً مسجوراً، «واذا البحار سجرت»، كما وقعت الاشارة اليه في حق آل فرعون، «اغرقوا فادخلوا ناراً»، و بالجملة يتصل البر بالبحر ويتحد الفوق والتحت، و يزول الابعاد والاحجام ويرتفع الحواجز والحوائل، ويرق الحجب لاهل البرازخ ومواقف الاشهاد، «يوم تبلى السراير، يوم يقوم الاشهاد» ويقام الخلايق عن مكان الحجب الى مواقف كشف الاسرار، لقوله: وقفوهم انهم مسئولون، والمتخلصون عن محابس البرزاخ يتوجهون الى الحضرة الالهية، لقوله: فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون .

قال بعض العرفاء المكاشفين اذا اخرجت الارض اثقالها حتى ما بقى فيها شيء اخترنته، جىء بها الى الظلمة التى هى دون المحشر، كما قال: وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة، فيمد مدايدم وبسطه فلا يرى فيها عوجاً ولا امناً، وهى الساهرة فلانوم فيها كما قال: فانما هى زجرة واحدة فاذا هم بالساهرة، ويرجع ما تحت مقعر فلك الكواكب جهنم، وسميت بهذا الاسم لبعدها يقال بر جهنم اى بعيد القعر، ويوضع الصراط من الارض علوا الى سطح فلك الكواكب وهو فرش الكرسي من حيث باطنه، اذ كل امور الاخرة يقع فى باطن حجب الدنيا، ولذلك قيل ارض الجنة الكرسي وسقفها عرش الرحمن، ويوضع الموازين فى ارض المحشر لكل مكلف ميزان يخصه بعد الميزان العام، قوله: و الوزن يومئذ الحق للرحمن، وضرب بسور يسمى الاعراف بين الجنة والنار وجعل مكانا لمن اعتدلت كفتا ميزانه، ووقعت الحفظة بايد يهم الكتب التى كتبوها فى الدنيا من اعمال

المكلفين واقوالهم ليس فيها شئ من الاعتقادات القلبية، لقوله : كل شئ فعلوه في الزبر وكل صغير وكبير مستطر، وقوله : ويرسل عليكم حفظة، وقوله : لتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون، فعلقوها في اعناقهم وايديهم كما في قوله : وكل انسان الزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقيه منشوراً اقرء كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً، وقال ووفيت كل نفس ما عملت و هو اعلم بما يفعلون، فمنهم من اخذ كتابه يمينه ومنهم من اخذه بشماله ومنهم من اخذه وراء ظهره، وهم الذين نبدوا الكتاب وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا وليس اولئك الا ائمة الضلال، قال ويأتى مع كل انسان قرينه من الشياطين و الملائكة لقوله تعالى: و جاءت كل نفس معها سائق وشهيد لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد وقال قرينه هذا مالدى عتيد، وقوله: اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين و عن الشمال قعيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد، ثم يأتى الله عز وجل على عرشه و الملائكة يحمل ذلك العرش فيضعونه على تلك الارض المشرقة بنوره، كما قال : و اشرفت الارض بنور ربها و وضع الكتاب و جىء بالنبیین والشهداء وقضى بينهم بالحق، وقوله : وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم، والجنة عن يمين العرش والنار من جانب الاخر، وقد غلبت الهيبة الالهية على اهل الموقف من ملك وانسان وجان، قوله : وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا، و يرتفع الحجب بين الله وبين عباده وهو معنى كشف الساق، قوله : يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود، فلا يبقى احد على اى دين كان الا يسجد السجود المعهود ، ومن سجد فى الدنيا اتقاء اورياء خر على قفاه، ويشرع فى الفصل والقضاء و الحكم بين عباده فيما كان بينهم، واما ما كان بينهم و بين الله، فان الكرم الالهى يسقطه ولا يؤاخذ به، و قد ورد من الاخبار فى ذلك اليوم ما ورد، ودون الناس مادونوا، ونحن بصدد توضيح بعض منها ما يبلغ اليه طاقتنا و يناله جهدنا .

المشهد السابع

فى الاشارة الى نشر الصحايف و ابراز الكتب و كرام الكاتبين

اعلم ان القول والفعل مادام وجودهما فى اكون الحركات و الاصوات فلاحظ لهما من البقاء و الثبات، ولكن من فعل فعلا او نطق بقول يحصل منه اثر فى نفسه وحاله يبقى زمانا، واذا تكررت الافاعيل والاقاويل استحكمت الاثار فى النفس، فصارت الاحوال ملكات، اذا الفرق بين الحال و الملكة بالشدة والضعف، و الاشتداد فى الكيفية يؤدى الى حصول صورة، اى مبدء جوهرى لها كالحرارة الضعيفة فى الفحم اذا اشتدت صارت صورة نارية محرقة، كذلك الكيفية النفسانية اذا اشتدت صارت ملكة راسخة، اى صورة نفسانية هى مبدء لاثار مختصة بها فيصدر بسببها الفعل المناسب لها بسهولة من غير روية و حاجة الى تعمل وتجشم اكتساب من خارج، و من هذا الوجه يحدث ملكة الصناعات و المكاسب العلمية و العملية، ولو لم يكن للنفوس الادمية هذا التأثير او لاثم الاشتداد يوما فيوماً لم يكن لاحد اكتساب شئ من الصناعات والحرف، ولم ينجع التأديب والتعليم لاحد، ولم يكن فى تأديب الاطفال وتمرينهم على الاعمال فائدة، وذلك، قبل رسوخ اخلاق مضادة لما هو لمطلوب فى نفوسهم، ولجل ذلك يتعسر تعليم الرجال البالغين وتأديبهم، لاستحكام صفات حيوانية فى نفوسهم بعدما كانت هيولانية قابلة لكل صنعة وعلم، كصحيفة خالية من النقوش و الصور، فالاثار الحاصلة من الاعمال والاقوال فى القلوب بمنزلة النقوش الكتابية فى الالواح والصحايف،

كما قال تعالى : اولئك كتب في قلوبهم الايمان، وتلك الالواح القلبية يقال لها صحائف الاعمال وتلك النقوش والصور الكتابية كما يحتاج الى قابل يقبلها كذلك يحتاج الى فاعل اى مصور وكاتب، والمصورون والكتاب في مثل هذه الكتابة هم الكرام الكاتبون، لكرامة ذاتهم وفعلهم عن المواد الجسمانية، فهم لامحالة ضرب من الملائكة المتعلقة باعمال العباد واقوالهم، قوله : وان عليكم لحافظين كراماً كاتبين يعلمون ما تفعلون، وهم طائفتان، ملائكة اليمين وهم الذين يكتبون اعمال اصحاب اليمين، وملائكة الشمال وهم الذين يكتبون اعمال اصحاب الشمال، قوله تعالى : اذيتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد مايلفظ من قول الالديه رقيب عتيد، وقوله : يوم ندعو كل اناس امامهم فمن اوتى كتابه بيمينه فاولئك يقرؤن كتابهم ولايظلمون فتيلاً، وقوله : فاما من اوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه انى ظنت انى ملاق حساييه، لان كتابه من جنس العلوم والاعتقادات اليقينية والاخلاق الحسنة، والظن ها هنا بمعنى اليقين، «واما من اوتى كتابه بشماله فيقول يا ليتنى لم اوت كتابيه ولم ادر ما حساييه» لان كتابه من جنس الاكاذيب الباطلة والاغاليط الواهية والاصواف الشيطانية والشهوات الدنيوية المحرقة للنفوس المولمة للقلوب، «ومن اوتى كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبوراً ويصلى سعيراً» .

وقد ورد فى الخبران من عمل حسنة كذا يخلق الله منها ملكا يستغفر له الى يوم القيامة ، كما قال : تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ان لاتخافوا و لاتحزنوا و ابشروا بالجنة التى كنتم توعدون نحن اولياؤكم فى الحياة الدنيا و فى الآخرة، و هكذا قياس الحكم فى جانب الكفر و السوء، من فسد اعتقاده و بالغ فى كفره و سوء اعتقاده يتنزل عليه شيطان يوعدده بالشر و الجحيم، و كان قرينه فى القبر و فى القيامة و يتعذب به فى الآخرة كما قال تعالى : هل انبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل افاك اثم، وقوله : و من يعيش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين، وهذه الهيئة الراسخة فى الباطن المتمثلة للنفس هى

المسماة في عرف الحكمة بالملكة وفي لسان النبوة بالملك و الشيطان في جانبى الخير والشر، و المآل فيهما واحد بشرط ان يكون معلوماً عندك ان الملكات الراسخة النفسانية تصير صوراً جوهرية، بل ذواتا مستقلة متمثلة فعالة في النفس منعمة او موديه لها، ولو لم يكن لتلك الملكات من الثبات والتجوهر ما يبقى ابد الابد، لم يكن لخلود اهل الجنة فى الثواب ابدأ و اهل النار فى العقاب سرمداً وجه صحة، فان منشأ الثواب والعذاب لو كان نفس العمل او القول وهما امران زايلان يلزم بقاء المعلول مع زوال العلة المقتضية، وذلك غير صحيح، والفعل الجسماني الواقع فى زمان متناه كيف يصير منشاء للجزاء الواقع فى ازمنة غير متناهية، و مثل هذه المجازاة لاسيما فى جانب العقاب لا يلىق بالحكيم، و قد قال: وما انا بظلام للعبيد، و قال: بما كسب قلوبكم، و لكن انما يخلد اهل الجنة فى الجنة و اهل النار فى النار بالثبات فى النيات، ومع ذلك فان من فعل مثقال ذرة من الخير والشر يرى اثره مكتوباً فى صحيفة ذاته او صحيفة ارفع من ذاته مخلدا ابدأ، كما قال: فى صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بايدى سفرة كرام بررة، و اذا حان وقت ان يقع بصره الى وجه ذاته عند فراغه عن شواغل هذه الحيوه الدنيا وما تورده الحواس، و يلتفت الى صفحة باطنه و لوح ضميره و قلبه، وهو المعبر عنه بقوله تعالى: و اذا الصحف نشرت، فمن كان فى غفلة عن احوال نفسه و روحه و حساب حسناته و سيئاته يقول عند حضور ذاته لذاته و مطالعة صفحة وجهه ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها و وجد و اما عملوا احضراً ولا يظلم ربك احداً، يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً و ما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امد بعيداً .

وقد ورد فى هذا الباب من طريق اهل البيت عليهم السلام وغيرهم احاديث كثيرة عن النبى صلى الله عليه وآله، منها ما روى عن قيس بن عاصم انه قال صلى الله عليه وآله: يا قيس ان مع العز ذلاً و ان مع الحيوه موتاً و ان مع الدنيا آخرة، و ان لكل شئ رقيباً، و على كل شئ حسيباً، و ان لكل اجل

كتاباً، وانه لا بد لك من قرين يدفن معك وهو حي، وتدفن معه وانت ميت ، فان كان كريماً اكرمك، و ان كان لثيماً اسلمك، ثم لا يحشر الامعك و لا تحشر الامعه، و لا تسئل الا عنه فلا تجعله الا صالحاً، فانه ان صلح آنت به، و ان فسد لا تستو حش الامنه، وهو فعلك .

فانظر يا وليي في هذا الحديث تجد فيه لباب معرفة النفس، وفيه اشارة الى عدة اصول من مسائل علم النفس و احكامها ليس هاهنا موضع بيانها و شرحها، من اراد الاطلاع فليطالع كتابنا الكبير المسمى بالاسفار الاربعة، و المجلد الاول من تفسيرنا الكبير المسمى ذلك المجلد المفتوح بمفاتيح الغيب و غيرهما من المطولات و المتوسطات، و منها قوله صلى الله عليه وآله: ان الجنة قيعان وان غراسها سبحان الله، و منها المرء مرهون بعمله، و منها خلق الكافر من ذنب المؤمن، و منها ما ورد من فعل كذا خلق الله له ملكا يستغفر له الى يوم القيامة، و امثال ذلك من الاخبار.

و في كلام فيثاغورس و هو من اعظم الحكماء السابقين انك ستعارض لك في افعالك و اقوالك و افكارك، و سيظهر لك من كل حركة فكرية او قولية او عملية صور روحانية و جسمانية، فان كانت الحركة غضبية او شهوية صارت مادة لشيطان يؤذيك في حياتك و يحجبك عن ملاقات النور بعد و فاتك، و ان كانت الحركة عقلية صارت ملكاتلند بمنادمته في دنياك و تهتدى به في اخراك الى جوار الله و كرامته.

و مما يدل على ان صورة الانسان في الاخرة نتيجة عمله و غاية فعله في الدنيا قوله تعالى في حق ابن نوح عليه السلام: انه عمل غير صالح على قرائة فتح الميم، و مما يدل على ان نفس العمل يعنى الملكة الحاصلة منه نفس الجزاء، و قوله تعالى: و لا تجزون الا ما كنتم تعملون، و قوله: انما تجزون ما كنتم تعملون، لم يقل بما كنتم تعملون، تنبيهاً على هذا المطلب، و قوله: ذلك جزاء اعداء الله النار، و توضيح ذلك ان مواد الاشخاص الاخرية كما مر هي التصورات الباطنية و التأملات النفسانية، لان دار الاخرة ليست من جنس هذه الدار، فما في الدنيا مادة يطراء عليها صورة او نفس من

خارج ولها حياة عرضية، و ما في الآخرة ارواح هي بعينها صور معلقة قائمة بذاتها حيوتها نفس ذاتها، و هي مع وحدتها الشخصية متكثرة الصور، والانسان اذا انقطع عن الدنيا و تجرد عن لباس هذا الادنى و كشف عن بصره هذا الغطاء، كانت قوته الادراكية قدرة و علمه عينا و غيبه شهادة و سره معاينة، فيصير مبصراً لنتائج اعماله و افكاره، مشاهداً لاثار حركاته و افعاله، قارئاً لصحيفة اعماله و لوح كتابه، مطلعاً على حساب حسناته و سيئاته، كما في قوله تعالى و كل انسان الزمناه طائره في عنقه و نخرج له يوم القيامة كتاباً يلقيه منشورا اقرء كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً، و مما يدل على ان الانسان الكائن في دار الآخرة غير متكون من مادة طبيعية، بل من صورة نفسانية ادراكية، قوله تعالى: ايطمع كل امرء منهم ان يدخل جنة نعيم كلاً انا خلقناهم مما يعلمون، فعلم ان المرء متكون في القيامة من معلومه و معتقده، فان كان علمه من باب الشهوات و الاماني و الا هوآء الفاسدة، يكون من اهل النار محترقاً بنار الجحيم، و يكون كتابه في السجين، و ان كانت معلوماته من باب الامور القدسية و معرفة الله و عالم ملكوته و كتبه و رسله و ساير المعارف الحققة مع صفاء ذاته من الامراض و الاغشية و الظلمات، فيكون لامحالة من اهل الملكوت الاعلى، و يكون نفسه ككتاب الابرار « لفي عليين و ما ادراك ما عليون كتاب مرقوم يشهده المقربون»، و للآية تأويل آخر هو ايضاً صحيح و بالجملة فقد ظهر ان كل واحد من افراد الناس يتكون من مادة النيات و الاعتقادات كما يتكون في الدنيا من مواد النطفة و الاغذية.

المشهد الثامن في الميزان و الحساب

قال تعالى: و نضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً و ان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها و كفى بنا حاسبين، و قال تعالى: و الوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون و من خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون، اوتى بلفظ الجمع اشارة الى ان الموازين انواع كثيرة، بعضها ميزان العلوم و بعضها ميزان الاعمال، و سئل الصادق عليه السلام عن قول الله عزوجل و نضع الموازين القسط ليوم القيامة، قال عليه السلام: الموازين الانبياء و الاوصياء. و قال شيخ الطائفة ابو جعفر محمد بن علي بن بابويه رحمه الله، اعتقادنا في الحساب انه حق منه من يتولاه الله عزوجل، و منه من يتولاه حجبته، فحساب الانبياء و الائمة يتولاه الله عزوجل، و يتولى كل نبي حساب اوصيائه، و يتولى الاوصياء حساب الامم، و الله تبارك و تعالى هو الشهيد على الانبياء و الرسل، و هم الشهداء على الاوصياء، و الائمة شهداء على الناس، و ذلك قول الله عزوجل: ليكون الرسول شهيداً عليكم و تكونوا شهداء على الناس، و قوله تعالى: فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد و جئنا بك على هؤلاء شهيداً و قوله تعالى: ان الينا اياهم ثم ان علينا حسابهم.

اما ميزان العلوم فاعلم ان الله قد وضع ميزاناً مستقيماً انزل من السماء ليعرف باقسامه مكائيل الاغذية المعنوية و مثاقيل الارزاق الروحانية

الباطنية، و يعلم بها حقها من باطلها، و يوزن بها نقود الحقايق العقلية و جواهر الصور الإدراكية، ليميز رايحها في سوق الآخرة من زيفها وخالصها من مغشوشها، و علمنا بتعليم رسول الله صلى الله عليه وآله كيفية الوزن به و معرفة اقسامه الخمسة و تميز مستقيمتها عن مايلها، حيث قال: و زنوا بالقسطاس المستقيم، فمن يعلم هذه الموازين الخمسة التي اترلها في كتابها المنزل على رسوله و علم بها انبيائه و عباده الصالحين فقد اهتدى، و من عدل عنها و عمل بالرأى و التخمين فقد ضل و غوى و تردى الى الجحيم.

فان قلت: اين ميزان العلوم في القرآن وهل هذا الا افك و بهتان، قلنا: الم تسمع قوله تعالى في سورة الرحمن، الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان الى ان قال: و السماء رفعها و وضع الميزان و اقيموا الوزن بالقسط و لا تخسروا الميزان، الم تسمع في سورة الحديد: لقد ارسلنا رسلنا بالبينات و اترلنا معهم الكتاب و الميزان ليقوم الناس بالقسط، اترعم ايها العاقل ان الميزان المنزل من عند الله مع اترال الكتاب المقرون اسمه باسم الكتاب هو ميزان البر و الشكير و الارز و الاقط و غيرها؟ اتتوهم ان الميزان المقابل وضعه لرفع السماء هو القبان و الطيار و امثالهما، ما ابعد هذا الحسبان، و ما اسخف هذا البهتان، و اتق الله يا اخي و لا تتعسف في باب التأويل و اترك الجهالة و اللجاج «انى اعظك ان تكون من الجاهلين».

و اعلم ان هذا الميزان برهان معرفة الله و صفاته و افعاله و ملائكته و كتبه و رسله و ملكه و ملكوته، ليعلم كيفية الوزن به تعليماً من قبل انبيائه عليهم السلم كما تعلم الانبياء من ملائكته، فالله هو المعلم الاول، و المعلم الثانى جبرئيل، و ثالث المعلمين هو الرسول صلى الله عليه وآله، و اول من استعمل هذا الميزان بتعليم الله و تعليم جبرئيل هو اب الانبياء و شيخهم ابراهيم الخليل ثم سائر الانبياء الى ابنه المقدس محمد صلى الله عليه وآله و قد

شهد الله لهم بالصدق، و تفصيل ذلك مذكور، في المفاتيح الغيبية.
واعلم ان الموازين الواردة في القرآن في الاصل ثلاثة، ميزان
التعادل، و ميزان التلازم، و ميزان التعاند، لكن ميزان التعادل تنقسم الى
ثلاثة اقسام، الاكبر و الاوسط و الاصغر، فيصير الجميع خمسة و تفاصيلها و
بيان كل منها و كيفية استنباطها من القرآن المجيد مذكورة هناك.

الاول الميزان الاكبر من موازين التعادل و هو ميزان الخليل
عليه السلام و قد استعلمه مع نمرود و هو كما حكى الله بقوله: قال ربي الذي
يحيى و يميت الى قوله: فبهت الذي كفر، و قد اثنى الله عليه في استعماله
لهذا الميزان، قال: و تلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من
نشاء ان ربك حكيم عليم، فان في حجته الثانية التي بها صار نمرود مبهوراً،
لانه ادركها و لم يبلغ دركه الى الحجة الاولى اصلين، اذ مدار القرآن على
الحذف و الايجاز، و كمال صورة هذا الميزان ان يقال كل من قدر على
اطلاع الشمس من المشرق هو الاله، هذا احداً اصلين، و الهى هو القادر على
اطلاعها منه الاصل الاخر، فلزم من مجموعها ان الهى هو الاله دونك يا
نمرود، و الاصل الاول مقدمة ضرورية متفق عليها، و الثانى من المشاهدات
و يلزم منهما النتيجة، فكل حجة صورتها هذه الصورة و صح فيها اعلان كان
حكمها فى لزوم النتيجة المناسبة هذا الحكم، اذ لا دخل لخصوص المثال،
فاذا جردنا روح الميزانية عن خصوصية المثال نستعملها فى اى موضع اردنا
و ننتفع بها، كما يأخذ الناس معياراً صحيحاً و صنجة معروفة، فيزنون
الذهب و الفضة و غيرهما بتلك الصنجة المعروفة.

الثانى الميزان الاوسط و هو ايضا واضعه الله و مستعمله الاول خليل
حيث قال: لاحب الافلين، و كما صورته ان القمر آفل، و الاله ليس بآفل،
فالقمر ليس بآله، و اما حد هذا البرهان و روحه فهو ان كل شيئين وصف
احدهما بوصف يسلب عن الاخر فهما متباينان.

الثالث الميزان الاصغر فهو ايضا مبناه من الله، حيث علم به نبيه
محمد صلى الله عليه وآله فى القرآن و هو قوله: و ما قد روالله حق قدره

اذ قالوا ما انزل الله على بشر الاية، ووجه الوزن به ان يقال قولهم بنفى
انزال الوحي على البشر قول باطل للازدواج بين اصلين، احدهما ان موسى
و عيسى بشر، والثاني انه منزل عليهما الكتاب، فيبطل بها الدعوى العامة
بانه لاينزل الكتاب على بشر اصلا.

الرابع ميزان التلازم وهو مستفاد من قوله تعالى: قل لو كان فيهما
الهة الاالله لفسدتا، وكذا من قوله: لو كان هؤلاء الهة ما وردوها، و اماحد
هذا الميزان وروحه و عياره، فهو ان من علم لزوم امر لآخر و علم
وجود الملزوم يعلم منه وجود اللازم، و كذالو علم نفى اللازم يعلم منه نفى
الملزوم، اما الاستعلام من وجود اللازم على وجود الملزوم او من نفى الملزوم
على نفى اللازم فهو ملحق بموازين الشيطان ، اذربما كان الملزوم اخص
من لازمه.

الخامس ميزان التعاند اما موضعه من القرآن فهو قوله تعالى
تعلما لنبيه، (ص) قل من يرزقكم من السماء والارض قل الله و انا او اياكم
لعلى هدى او فى ضلال مبين، ففيه اضمار اصل آخر لامحالة، اذ ليس الغرض
منه ثبوت التسوية بينه و بينهم، وهو انه معلوم انا لسنا فى ضلال مبين،
فيعلم من ازدواج هذين الاصلين نتيجة ضرورية و هى انكم فى ضلال مبين،
واما حد هذا الميزان و عياره، فكل ما انقسم الى قسمين متباينين فيلزم من
ثبوت احدهما نفى الاخر و بالعكس، لكن بشرط ان القسمة حاصرة لامتشرة،
فالوزن بالقسمة الغير المنحصرة وزن الشيطان، فهذه هى الموازين
المستخرجة من القرآن وهى بالحقيقة سلاليم العروج الى عالم السماء بل
الى معرفة خالق الارض و السماء، و هذه الاصول المذكورة فيها هى
درجات السلاليم.

واما المعراج الجسمانى فلايفى به سعة قوة كل احد بل يختص ذلك
بالقوة النبوية.

فان قلت: فماوجه التطابق بين الميزان الروحانى والميزان
الجسمانى، و اين فى ميزان الاخرة العمود الواحد و الكفتان، و اين فى

موازين الاخرة ما يشبه القبان.

قلنا: قد مر ان هذه المعارف التي هي سبب عروج النفس الى معارج الملكوت مستفادة من اصلين، فكل اصل كفة، والحد المشترك بين الاصلين الداخل فيهما عمود، واما ما يشبه القبان فهو ميزان التلازم، اذا حد طرفيه اطول، و الاخر اقصر، و يتولد النتيجة من ازدواج اصلين يدخل شيء من احدهما في الاخر، فهذه الموازين الخمسة التي يعرف بها مئاويل الافكار و مكائيل الانظار في العلوم الحقيقية التي هي الارزاق المعنوية لاهل الاخرة، و قد انزل الله تعالى هذه الموازين من السماء ليعلم كل احد مقدار علمه و عقله و ميزان سعيه و عمله، و يحسب حساب رزقه و اجله، و يحضر كتاب عمره و امله، فان لكل مخلوق رزقا خاصا و بحسب كل رزق له اجل مكتوب و حساب محسوب، و الارزاق المعنوية كالا رزاق الحسية متفاوتة في الاكل متفاضلة في دوام الحيوة و الاجل كما و كيفاً و نفعاً و ضرابل الارزاق الاخرية اكثر تفاوتاً و اشد تفضيلاً من الارزاق الدنيوية، كما في قوله تعالى: و للاخرة اكبر درجات و اكبر تفضيلاً، و قال ايضاً مخاطباً لنبيه المنذر: ادع الى سبيل ربك بالحكمة و الموعدة الحسنة و جادلهم بالتى هي احسن، فامر الله نبيه بدعوة الخلاق الى انواع مختلفة من الرزق حسب تفاوت الغرايز و الجبلات للخلق، فالقرآن بمنزلة مايدة نازلة من السماء الى الارض مشتملة على اقسام من الرزق لطوايف من الناس، و لكل منها رزق معلوم و حيوة مقسوم، فالحكمة و البرهان لقوم، و الموعدة و الخطابة لقوم، و الجدل و الشهرة لقوم، و يوجد فيه لغير هؤلاء الطوايف الثلاث اغذية ليست بهذه المثابة من اللطف، بل انزل منها على حسب مقاماتهم في الكثافة و السفالة الى حد القشور و النخالة، كما في قوله تعالى: و لارطب و لا يابس الا في كتاب مبين، فكما يوجد فيه اللبوب كذلك يوجد فيه التبن و القشور، و هي للعوام الذين درجتهم درجة الانعام كما قال: متاعاً لكم و لانعامكم، و ذلك لان الغذاء يجب ان يكون مشابهاً للمغتذى.

تبصرة ميزانية

و من الامور التي لا بد من معرفتها لكل احد ممن آمن بالله وباليوم
 الاخر، و هو ان يعلم كيفية الموازنة بين الامور الدنيوية و الاخروية، و تحقق
 التطابق بين النشأتين، فمن فتح على قلبه باذن الله باب الموازنة بين العالمين،
 عالم الملك و الملكوت، عالمي الغيب و الشهادة، يسهل عليه سلوك سبيل الله
 و ملكوته، واطلع على اكثر اسرار القرآن و اغواره، و شاهد حقايق آياته
 و انواره، مما غفل كافة علماء الرسوم و متفلسفة الحكماء المشهورين بالفضل
 و الذكاء من هذه الموازنة، و هي باب عظيم في معرفة احوال الاشياء و حقايق
 الموجودات على ما هي عليها، سيما معرفة امور المعاد، و هو اول مقامات
 النبوة، لان مبادئ احوال الانبياء عليهم السلام ان يتجلى لهم في المنام النشأة
 الثانية، و يتصور و احقايق الاشياء في كسوة الاشباح المثالية، لان الرؤيا
 الصادقة جزء من اجزاء النبوة، و لا يتجلى حقايق الاشياء بلا التباس الا في
 عالم القيامة لقيامها بذواتها، و اما في هذا العالم فهي في اغطية من الصور
 الحسية، و الان «فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد»، فتأمل في هذا
 المقام فعساك تنفتح لك روزنة الى عالم الملكوت، و الا فمازلت متوجهاً الى
 ملابس عالم التقليد الحيواني، مصروف الهمة و الوجوه اليه من انوار
 الملكوت، مستفيداً من آثار الحس و التقليد، فمحال ان يتجلى لك شيء من
 عجائب الحكمة و غوامض اسرار القيامة.

تذكير

اعلم يا حبيبي انك مسافر من الدنيا الى الاخرة، و انت تاجر ايضاً
 و رأس مالك حيوتك الدنيوية، و تجارتك هي اكتساب القنية العلمية، و
 هي زاد سفرك الى معادك، و فايدتك و ربحك هي حيوتك الابدية تنعمها
 بلقاء الله و رضوانه، و خسرانك هو هلاك نفسك باحتجابك عن جوار الله و
 دار كرامته.

و اعلم ان الناقد بصير لا يقبل منك الا الخالص من ذهب المعرفة و فضة الطاعة، فوزن حسناتك بميزان صدق، واحسب حساب نفسك قبل ان توافى عمرك، و قبل ان يحاسب عليك في وقت لا يمكنك التدارك والتلافى، فالموازين مرفوعة ليوم الحساب و فيه الثواب والعقاب «فاما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية و اما من خفت موازينه فامهها هاوية و ما ارديك ماهية نار هامية».

و اما القول في ميزان الاعمال، فاعلم ان لكل عمل من الاعمال الحسنة كالصلوة و الصيام و القيام وغيرها، باعتبار تأثيره في النفس و تخليصها من اسر الشهوات و تطهيرها عن غواسق الطبيعة و جذبها من الدنيا الى الاخرة واصعادها عن المنزل الادنى الاسفل الى المحل الاعلى مقداراً معيناً و قوة معينة، و كذلك لكل عمل من الاعمال السيئة قدراً معيناً من التأثير في اظلام جوهر النفس و تكثيفها و تكديرها و تعليقها بالدنيا و شهواتها و تقييدها بسلاسلها و اغلالها، و كل ذلك محجوب عن مشاهدة الخلق في الدنيا، و عند وقوع القيامة ينكشف لهم، لاجل رفع الحجاب و كشف النقاب حقيقة الامر في ذلك، فكل احد يرى غاية عمله و سعيه في الدنيا و الاخرة، و قوة انجذابه الى النعيم والجحيم، و يرى ثقل احد جانبي ميزانه و رجحان احد كفتي ميزانه رفعا و وضعاً، و بالجملة كل واحد من افراد الناس له تفاريق اعمال، اما حسنات او سيئات او مختلفات، فاذا جمعت يوم القيامة متفرقات حسناته او سيئاته كان اما لاحدهما الرجحان اولاً، فان كان الرجحان للاولى كان من اهل السعادة و ان كان للثاني كان من اهل الشقاوة، و من استوت حسناته و سيئاته كان متوسطاً بين الجانبين حتى يحكم الله فيه، وهاهنا قسم آخر ارفع من الثلاثة، و هم الذين استغرقوا في شهود جلال الله و لالتفات لهم الى عمل صالح اوسئى فكسروا كفتى ميزانهم و خلصوا من عالم الموازين و الاعمال الى عالم المعارف و الاحوال و انوار الجمال و الجلال.

فنقول من الرأس: كل احد ما لم يتخلص ذاته بقوة اليقين و نور

الايمان عن قيد الطبيعة و اسر الدنيا فذاته مرهونة بعمله، فهو بحسب مزاوله الاعمال و الافعال و ثمراتها و نتايجها و تجاذبها للنفس الى شىء من الجانبين بمنزلة ميزان ذى كفتين، احدى كفتيه تميل الى الجانب الاسفل اعنى الجحيم بقدر ما فيها من متاعها متاع الدنيا الفانية و زادها، و الاخرى تميل الى العالم الاعلى و دار النعيم بقدر ما فيها من متاع الاخرة و زادها، ففي يوم القيامة و يوم العرض الاكبر اذا وقع تعارض بين الكفتين، و التجاذب الى الجانبين، فالحكم من الله العلى الاكبر لكل احد فى ادخاله احدى الدارين، دار النعيم و دار الجحيم على حسب ميزانه من جهة رجحان احدى الكفتين، كفة الحسنات و كفة السيئات.

واعلم ان كفة الحسنات فى جانب المشرق و كفة السيئات فى جانب المغرب، و ان الاولى كفة اصحاب اليمين و الاخرى كفة اصحاب الشمال، ثم لا يذهب عليك انه اذا وقع الترجيح و المجازاة و نفذ الحكم و قضى الامر، تصير الكفتان كلتاهما فى حكم واحدة فى اليمينية و الشمالية و المشرقية و المغربية و الجنانية و الجحيمية، فاهل السعادة كلتا يديهم تصير يمينية، و كلتا يدي اهل الشقاوة تصير شمالية.

قاعدة

فى الحساب

الحساب جمع متفرقات شتى ليعلم حاصل مجموعها، و قد سبق انه ما من انسان الا وله متفرقات اعمال و اقوال، و لاعماله و اقواله المتفرقة آثار و نتايج فى القلب تنويراً و اظلاماً و تقريباً الى الله تعالى و تبعيداً عنه، و لا يعلم فذلكتها و لا يعرف جمع متفرقاتها الا ان الله، فاذا احضرت الملائكة فذلكته متفرقاتها، و حاصل اعدادها، و صورة نتايجها و جمعية ثمراتها باذن الله تعالى كانت حساباً بهذا الاعتبار، و باعتبار اثباتها فى صحيفة مكتوبة كتبها كرام الكاتبين كانت كتاباً، فكل احد يصادف يوم الاخرة جامع كل دقيق و فيدخلون جهنم بالاحساب، و قسم منهم صدر منهم بعض الحسنات لكن وقع فى حقهم قول: فحبط ما صنعوا فيها و باطل ما كانوا يعملون، و قوله: و قد مننا

جليل من اعماله واقواله فى صحيفة باطنية، طويت منا اليوم ونشرت يوم القيامة، وهى كتاب حفيظ لقوله تعالى: وعندنا كتاب حفيظ، وقوله: لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصيناها ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك احداً، ففى قدرة الله تعالى ان يكشف فى لحظة واحدة للخلائق كلهم حاصل حسناتهم وسيئاتهم وهو اسرع الحاسبين .

قاعدة

فى الاشارة الى طوائف الناس من جهة الحساب

الناس يوم القيامة صنفان، صنف يدخلون الجنة و يرزقون من نعيمها، و هم ثلاثة اقوام، منهم المقربون الكاملون فى المعرفة و التجرد، و هم لتزهرهم و ارتفاع مكاتبتهم عن شواغل الكتاب و الحساب يدخلون الجنة بغير حساب، كما قال تعالى فى حقهم: ما عليك من حسابهم من شئى و ما من حسابك عليهم من شئى، و منهم جماعة من اصحاب اليمين لم يقدموا فى الدنيا على معصية ولم يقترفوا سيئة ولا فساداً فى الارض، لصفاء ضمائرهم و قوة نفوسهم على فعل الطاعات و ايتاء الحسنات، فهم ايضاً يدخلون الجنة بغير حساب، كما قال: تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً فى الارض ولا فساداً و العاقبة للمتقين، و منهم جماعة نفوسهم ساذجة و صحايف اعمالهم خالية عن آثار السيئات و الحسنات جميعاً، «فينا لهم الله برحمة منه و فضل لم يمسسهم سوء العذاب» ، لان جانب الرحمة ارجح من جانب الغضب، اذ لا يمكن هناك رجحان الا مجرد الامكان، و تحقق قابليته مع عدم المنافى، فهؤلاء ايضاً يدخلون الجنة بغير حساب، و قد قال: و رحمتى وسعت كل شئى، و قال: سبقت رحمتى غضبى.

و اما الصنف الثانى الذينهم اهل العقاب فهم ايضاً ثلاثة اقسام، منهم صحيفة اعمالهم خالية من العمل الصالح ولا محالة يكون كافراً محضاً،

فيدخلون جهنم بالاحساب، و قسم منهم صدر منهم بعض الحسنات لكن وقع في حقهم قول: فحبط ما صنعوا فيها و باطل ما كانوا يعملون، و قوله: و قدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً، و قسم منهم و هم في الحقيقة من اهل الحساب، حيث «خلطوا عملاً صالحاً و آخر سيئاً»، فهؤلاء قسمان، قسم من نوقش معهم في الحساب بكل دقيق و جليل، لأنهم بهذه الصفة عاشوا في الدنيا و عاشروا مع الخلايق فاستوفوا حقوقهم في المعاملات مع الخلق من غير مسامحة، فعومل معهم في الآخرة هكذا، و القسم الثاني و هم الذين كانوا يخافون سوء الحساب و يشفقون من عذاب يوم القيامة، فهؤلاء لا يعذبون كثيراً بالمناقشة معهم في الحساب، فكيف في العذاب بالنار.



المشهد التاسع

في الجنة و النار و الاشارة الى ابواب النيران

قال محمد بن علي بن بابويه القمي رحمه الله اعتقادنا في الجنة انها دار البقاء و دار السلامة لاموت فيها و لاهرم، و لاسقم و لامرض، و لا آفة و لا زوال و لا زمانة و لاهم و لا غم و لا حاجة و لا فقر و انها دار الغنى و دار السعادة و دار المقامة و دار الكرامة لا يمس اهلها نصب و لا يمسهم فيها لغوب لهم فيها ما تشتهي النفس و تلذ الاعين و هم فيها خالدون، و انها دار اهلها جيران الله و اولياؤه و احباؤه و اهل كرامته، و هم انواع على مراتب الجنة، منهم المتنعمون بتسبيح الله و تقديسه و تكبيره في جملة ملائكته، و منهم المتنعمون بانواع المآكل و المشارب و الفواكه و الارائك و حور العين، و استخدام الولدان المخلدون، و الجلوس على النمارق و الزرابي و لباس السندس و الحرير، و كل منهم انما يتلذذ بما يشتهي و يريد على حسب ما تعلق عليه همته، و يعطى ما عند الله من اجله، و اعتقادنا في النار انها دار الهوان و دار الانتقام من اهل الكفر و العصيان، و لا يخلد فيها الا اهل الكفر و الشرك، فاما المذنبون من اهل التوحيد فانهم يخرجون منها بالرحمة التي تدر كهم، و الشفاعة التي تنالهم، و في الرواية انه لا يصيب احداً من اهل التوحيد الم في النار اذا دخلوها، و انما يصيبهم الله الا لام عند الخروج منها، فيكون تلك الا لام «جزاء بما كسبت ايديهم و ما الله بظلام للعبيد»، و اهل النار هم المشركون حقا لا يقضى عليهم فيموتوا و لا يخفف عنهم من عذابها، «لا يدوقون فيها

برداً ولا شراباً الا حميماً وغساقاً»، و ان استطعموا اطعموا من الزقوم وان استغاثوا اغيثوا «بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب و ساءت مرتفقاً» ينادون من مكان بعيد ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون»، فيمسك الجواب عنهم احياناً ثم قيل لهم: اخسؤوا فيها ولا تكلمون، و نادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال انكم ما كثون.

وابواب الجنان هي التي اشير اليها في القرآن بقوله تعالى: والملائكة يدخلون عليهم من كل باب، و قوله: لاتفتح لهم ابواب السماء و لا يدخلون الجنة، و قوله: جنات عدن مفتحة لهم الابواب، و ابواب النيران هي المشار اليه بقوله تعالى: ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها، و قوله: حتى اذا جاؤها و فتحت ابوابها، و قوله: لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم، لكنهم اختلفوا في تعيين ماهيتها ف قيل هي المدارك السبعة، و هي الحواس الخمس الظاهرة و الحاستان الباطنتان يعنى الخيال و الوهم، احدهما مدرك الصور والاخر مدرك المعانى الجزئية، و هذه الابواب كما انها ابواب النيران فهي ابواب الجنان، اذا استعملها الانسان في الطاعات و فيما خلقها الله لاجله، وللجنة باب ثامن مختص هو باب القلب، و قيل هي الاعضاء السبعة التي وقع التكليف بها، و قيل هي الأخلاق السيئة للجحيم، و مقابلاتها من الاخلاق الحسنة للجنة، و هي مثل الحسد و الكبر و البخل و العجب و النفاق و غير ذلك، فلا يبعد ان يكون لها سبعة جوامع، لكل منها شعب كثيرة، او هي ابواب، و القول الاول اقرب الى الصواب، فان كلا من المشاعر السبعة باب الى الشهوات الدنيوية التي ستصير نيرانا محرقة في الاخرة، و هي ايضاً ابواب لادراكات المعارف التي يثاب بها في الجنة، و ان كلا منها فيه باطن و ظاهر، باطنه فيه الرحمة و ظاهره من قبله العذاب، و اذا غلقت ابواب النيران فتحت ابواب الجنان، بل هي على شكل الباب الذي اذا فتح على موضع انسد عن موضع آخر، فعين غلقه على منزل عين فتحه الى منزل آخر الاباب القلب وهو الباب الثامن، فانه مغلق دائماً على اهل الحجاب الكلي والكفر، و هو مختص باهل الجنة ولا يفتح لاهل النار،

«فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون»، والنار لها على الافئدة اطلاع لادخول لغلق ذلك الباب عليها، فما ذكر الله من ابواب النار الا السبعة التي يدخل منها الناس والجان، و اما الباب المغلق الذي لا يدخل فيه اهل الكفر و الاحتجاب، فباطنه محل الايمان والعبودية.

و في الحديث التراب لا يأكل محل الايمان و مافيه، سعيد في الدنيا والاخرة ليس للعذاب والشقاء فيه مدخل، فهو كالجنة حفت بالمكاره، و باطنه فيه الرحمة و ظاهره فيه العذاب، وهي النار التي تطلع على الافئدة. واما منازل جهنم و دركاتها و خواتمها فعلى قياس ما يذكر في الجنان، و اما اسماء ابوابها السبعة فهي باعتبار الاضافة الى منازلها، باب جهنم، و باب الجحيم، و باب السعير، و باب السقر، و باب اللظى، و باب الحطمة، و باب السجين، و الباب الثامن المغلق الذي لا يفتح فهو الحجاب والسد، واما خوخات النار فهي شعب الكفر والفسوق، و كذا خوخات الجنة هي شعب الايمان والطاعة، فمن عمل من خير فانه يراه في الاخرة، و اما الشر فقد يراه و قد يعفى عنه.

تنبيه

اعلم ان باطن الانسان في الدنيا هو ظاهره في الاخرة، و ما كان لها غيبا هاهنا يصير شهادة هناك، و الحق ان اطلاق ابواب الجنان على هذه المشاعر من باب التوسع ليس على الحقيقة، لان باب الدار ما اذا فتح فتح اليها، و به يقع الدخول اليها بلامهلة، و ماهي الا الحواس المحشورة مع النفس الباقية معها، فان للنفس في ذاتها كما مر سمعاً و بصراً و شماً و ذوقاً و لمساً و تخيلاً و تصرفاً و فعلاً و حركة، و ان لها عينا باصرة الى ربها ناظرة، و اذنا سامعة يسمع بها كلمات الملائكة و اصوات طيور الجنان و نعماتها، و شماً يشم به روايح الانس و نسائم القدس، و ذوقاً يذوق به طعوم

الجنة، و لماً يمس به حور العين، و هى المشاعر الروحانية و الحواس الباطنية، و انها مع محسوساتها من اهل الجنة ان لم يحجبها سدو لم يمنعها مانع، و اما هذه الحواس فهى دائرة و محسوساتها مستحيله كائنة فاسدة توجب العذاب الاليم و الحرمان عن النعيم، و يؤدى الى الهاوية و يحترق بنار الجحيم، فكل نفس تتبع الهوى و تسخر الشهوة عقلها، و يستخدمها الشيطان و يستعبدها، كما قال: افرأيت من اتخذ الهه هواه و اضله الله على علم و ختم على سمعه و قلبه و جعل على بصره غشاوة، فيصير على كل من مشاعره السبعة له سبباً من اسباب طاعته للهوى و انقياده للشهوات و عدوله عن طريق الهدى، و بابا من ابواب الوقوع فى المهالك، «فمن يهديه من بعد الله افلا تذكرون»، فيكون حاله كما افصح عنه قوله تعالى: فاما من طغى و آثر الحياة الدنيا فان الجحيم هى المأوى، فظهر ان كل مشعر من المشاعر باب من ابواب جهنم، لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم، و اما القلب فاذا تنور بنور المعرفة و الايمان و خرج من القوة الى الفعل كالحديد اذا صقل و خرج من الحديدية الى المرآتية، صار كعين صحيحة استنارت بنور الملكوت الاعلى، فيطالع بكل مشعر آية من آيات ربه الكبرى و بابا من ابواب معرفة ربه الاعلى فينتزع من صورها المحسوسة معانى كلية، و يفهم منها اسرار الهية يقف عليها و يستعد بذلك للسعادة القصوى و مجاورة الرحمن «فى مقعد صدق عند مليك مقتدر»، و هذا بخلاف حال اهل الهوى و الجهالة المعرضين عن سماع آيات الله، مصرين مستكبرين كما قال سبحانه: يسمع آيات الله ثم يصر مستكبراً كأن لم يسمعها كأن فى اذنيه و قرأ فبشره بعذاب اليم، و هم الذين غلقت عليهم الابواب و سدت عليهم الطرق كقوله تعالى: و جعلنا من بين ايديهم سداً و من خلفهم سداً فاغشيناهم فهم لا يبصرون، فلا لهم قوة نظرية لادراك المعقولات الالهية، ولا ايضا لهم سلامة قلب فى تلقى السمعيات الدينية، فلا جرم حالهم فى القيامة كما اعترفوا به حين ما لا تنفعهم ذلك الاعتراف، «قالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا فى اصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم فسحقا لاصحاب السعير»، فقد وضح و انكشف

ان جميع هذه المشاعر الثمانية يصلح لان يصير ابواب الجنان فى حق من صرفها فيما خلق الله لاجله، «واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى»، والسبعة منها ابواب الجحيم فى حق من صرفها فى الدنيا و لذاتها، لذات عالم الزور والات القبور «فاما من طغى و آثر الحياة الدنيا فان الجحيم هى المأوى».

فان قلت: باب الدار يشبه الدار، و الجنة و النار داران متخالفتان فى نحو الوجود و تجوهر الحقيقة، فكيف يصح ان يكون المشاعر الانسانية تصلح لأن يكون ابواب الجنة و ابواب الجحيم جميعاً.

قلنا السمع والبصر و غيرهما التى لأهل السعادة تخالف بالنوع عندنا لما بازائها من التى لأهل الشقاوة، و ان وقع الاشتراك بينهما فى اصل الحاسية و الشعور، فان مدارك اهل الجنة و مرآئهم منورة بنور المعرفة و التقوى، و مرآئى هؤلاء المخذولين مغطاة بغشاوة الطبع، مظلمة بظلمات النفس و الهوى، و بالجملة السمع والبصر والفؤاد التى لاولئك الاصحاب قد وقع لها التبديل الاخرى و التحويل الالهى الذى به يستأهل لان يكون من ابواب الجنة التى هى دار الحسنات و منزل الخيرات، و اما السمع والبصر و الفؤاد التى لاصحاب النار فقد وقع لها التبديل ايضاً ولكن صاروا نجس و اظلم مما كانت فصلحت و ناسبت لأن يكون مداخل و ابواباً لدار الظلمات و معدن البوار و الشرور و الافات، قال الله تعالى: افمن يمشى مكباً على وجهه اهدى امن يمشى سويًا على صراط مستقيم قل هو الذى انشأكم و جعل لكم السمع و الابصار و الافئدة قليلاً ما تشكرون، فما اشد حال المكبين على وجوههم فى استعمال الحواس و صرف القوى، و ما ابعد عن حال من يمشى سويًا على سبيل الله الذى افاده سمعاً و بصراً و فؤاداً استعملها فى المعرفة و العبودية شاكرًا لله، فاين هؤلاء و مداركهم من هؤلاء و مداركهم فافهم انشاء الله.

المشهد العاشر

في الاشارة الى الزبانية و عددها

قال تعالى: عليها تسعة عشر وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة و
وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين اوتوا الكتاب، وليقول
الذين في قلوبهم مرض و الكافرون ماذا اراد الله بهذا مثلا كذلك يضل الله
من يشاء و يهدى من يشاء وما يعلم جنود ربك الا هو و ما هي الا ذكرى
للشبر.

واعلم ان مدبرات الامور في برازخ عالم الظلمات و اشباح عالم
الطبيعة التي ظاهرها الدنيا و باطنها طبقات الجحيم هي المشار اليه بقوله:
فالمدبرات امرأ بعد قوله: والسابقات سبقا، لان وجود كل منها تحت وجود
جوهر قدسي مفارق الذات سابق الوجود على النفسانيات و الطبيعيات،
المدبرات كروحانيات العالم الكبير الجسماني و العالم الصغير الانساني،
فهى فى العالم الكبير العلوى ارواح الكواكب السيارة و البروج الاثنى
عشرية و المجموع تسعة عشر مدبرا، و كذا فى العالم الصغير البشرى هى
رؤس القوى المباشرة للتدبير و التصرف فى البرازخ السفلية تسعة عشر قوى،
سبعة منها مبادئ الافعال النباتية و اسبابها و قواها، ثلاثة منها الاصول فى
فعل التغذية و التنمية و التوليد، و اربعة منها الفروع و الخوادم، و اثنى عشر
منها مبادئ الادراكات، خمسة ظاهرة و خمسة باطنة و اثنان مبدآن قريبان
للتحريك، احدهما الشهوة مبدء الجذب الملايم، و الثانى الغضب مبدء الدفع

المنافر، فان لكل من هذه التسعة عشر مدخلا في انارة نار الجحيم التي منشأها ثوران حرارة جهنم الطبيعة و شهواتها التي هي نيرانات كامنة اليوم عن نظر الخاليق، و ستبرزيوم القيامة بحيث يراها الناس محرقة للجلود مذيبة للابدان، قطاعة «نزاعة للشوى تدعو من ادبر وتولى، و اما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا»، و الانسان مادام كونه محبوساً في الدنيا بهذه المحابس الداخلية و الخارجية التي باطنها مملوءاً بنار الجحيم، مسجوناً بسجن الطبيعة مقبوضاً اسيراً في ايدي المدبرات العلوية التسعة عشر، و المؤثرات السفلية التسعة عشر، لا يمكنه الصعود الى عالم الجنان و دار الحيوان و منبع الروح و الرياح، فهو لا يزال معذب بعذاب الجحيم محترق بنار الحميم مقيد بالسلاسل و الاغلال كالاسارى و العبيد، و حاله كما افصح الله عنه بقوله: خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوة ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه، لعدم استكمال نفسه بالعلم و العمل، ليصير كالاحرار خلاصاً عن الاسر و القيد، و لذا وقع التعليل، بترك العلم و العمل فى قوله: انه اى لانه كان لا يؤمن بالله العظيم و لا يحض على طعام المسكين، فالاول اشارة الى ترك العلم، و الثانى الى ترك العمل الصالح، فاذا انتقل من هذا العالم الى عالم الآخرة التى هى فى داخل حجب السموات و الارض كما مر ينتقل من السجن الى السجن، و كان هاهنا ايضاً مسجوناً محاطاً بالجحيم، ولكن لا يحس بالم السجن و عذاب الحبس، و ليس له اليوم هاهنا حميم و لا طعام الا من غسلين لا يأكله الا الخاطون، فاذا كشف عنه الغطاء احس بذلك و انتقل العذاب من باطنه فى الدنيا الى ظاهره فى الآخرة، فيؤديه المالك الى ايدي هذه الزبانية التسعة عشر التى هى من نتايج تلك المدبرات الكلية، فيتعذب فى الآخرة بها، كما كان يتعذب بها فى الدنيا من حيث لا يشعر، و من كان على هدى من ربه مستوياً على صراط مستقيم صراط الله العزيز الحميد، فيسلك سبيل الله بنور الهداية بقدى العلم و العمل يصل الى دار السلام و يسلم من هذه المعذبات و المهلكات، و يتخلص عن رق الدنيا و اسر الشهوات، «ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون و رجلاً سلفاً لرجل هل يستويان مثلاً الحمد لله بل اكثرهم لا يعقلون».

المشهد الحادى عشر

فى الاشارة الى درجات الجنان و دركات النيران

قال بعض المحققين: الخلق اتصف اولا بالوجود، ثم بالعلم، ثم بالقدرة، ثم بالارادة، ثم بالفعل، و حيث يكون المعاد عوداً الى الفطرة الاصلية ورجوعاً الى البداية فى النهاية، فلا بد ان ينتفى منه هذه الصفات على التدرىج و الترتيب المعاكس للترتيب الاول الحدوثى، فالسالك الى الله تعالى بقدم الايمان و نور العرفان لا بد ان ينتفى منه اولا الفعل، و هو مرتبة التقوى و الزهد فى الدنيا، ثم لا بد ان ينتفى منه الاختيار، ولم يبق فيه ارادة و اختيار، بل يستهلك ارادته فى ارادة الله، «وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله و رسوله امرأ ان يكون لهم الخيرة»، لان جميع الاشياء صادرة عنه تعالى على ابلغ وجه و احكم نظام، فاذا تقرر له هذا المقام و استقام فيه، رضى بالقضا و حصل له مقام الرضا و استراح له من كل هم و غم، لانه رأى الاشياء كلها فى غاية الجودة و الحسن و النظام و التمام، و رأى رحمة الله و سعت كل شئى بل رأى فى كل شئى وجه الحق الباقي، و رأى الحسن المطلق و الجمال المطلق متجلياً عليه و على كل شئى فيكون مبهتجاً به ملتذا راضياً، فان من رأى صورة جملة العالم مكشوفة لديه، حاضرة عنده حضوراً علمياً على احسن ترتيب و خير نظام و اجود نسق و تمام، من جهة العلم باسبابه و مباديه الاخذة من عند الله، و عند ذلك قد تبدلت عليه صور الاشياء عما كانت هى عليه عنده اولا، فصارت الارض غير الارض و السموات غير السموات، و هكذا كل شئى

حتى نفس ذلك السالك، فانه قد تبدل وجوده الظلماني بوجود نوراني مظهراً مذهباً عنه رجس الجاهلية، فيكون في الجنة عرضها السموات والارض، وبهذا الوجه يسمى خازن الجنة الرضوان، لان الانسان ما لم يبلغ الى هذا المقام من الرضا لا يدخل الجنة ولا يصل الى دار الكرامة والقرب، كما ورد في الحديث الالهى من لم يرض بقضائى ولم يصبر على بلائى فليبعد رباً سوائى وليخرج من ارضى وسمائى، وقال تعالى: و رضوان من الله اكبر، ثم بعد هذا المقام لا بد ان ينتفى عن السالك القدرة، حتى لا يرى لنفسه حولا ولا قوة و قدرة مغايرة لقدرة الحق و قوته التى لا يخرج منها شئ من المقدورات، فيكون فى مقام التوكل و من يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ امره، وهو مقام التفويض و افوض امرى الى الله، ثم بعد ذلك لا بد ان ينتفى منه صفة العلم لاضمحلال علمه فى علم الله الذى لا يعزب عنه مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء، كما فى قوله حكاية عن الملائكة الذين انخرطت علومهم فى علم الله: لا علم لنا الا ما علمتنا، وهو مقام التسليم كما قال: و سلموا تسليماً، و قوله: فسلام لك من اصحاب اليمين، و قوله: سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين، ثم بعد ذلك لا بد ان ينتفى وجوده الذى به يوجد الان فى وجود الحق الذى به يوجد كل شئ و يقوم، و بنوره يظهر كل ظل و فىء و يدوم، حتى لا يكون له فى نفسه عند نفسه وجود، وهذا مقام اهل الوحدة، و هو اجل المقامات و افضلها اعنى الفناء فى التوحيد، «اولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين والصدقيين والشهداء و الصالحين، قوله: لمن الملك اليوم لله الواحد القهار و يبقى وجه ربك ذو الجلال و الاكرام» فهذه نهاية درجة السالكين الى الله «و ليس وراء عباد ان قرية».

و اما من لم يسلك سبيل اهل الوحدة و العرفان، و كانت افعاله على حسب ارادته و مقتضى طبعه كان كما اشير اليه بقوله تعالى: ولو اتبع الحق اهوائهم لفسدت السموات والارض و من فيهن، فيصير لامحالة ممنوعاً عما استدعاه هواه، محجوباً عن مقتضى طبعه و مشتياه، كما قال: و حيل بينهم و بين ما يشتهون، فوقع فى سخط الله و نار غضبه، «افمن اتبع رضوان الله كمن

باء بسخط من الله»، و اوصله الهواء الى الهاوية محروماً عن جميع ما يهواه قلبه و هواه، و يقيد و يغل بالسلاسل و الاغلال كما هو صفة المماليك و العبيد و لهذا الوجه يسمى خازن النار و الهاوية بالمالك، فيكون له بازاء كل درجة من درجات اهل الجنة دركة في الجحيم، فله بازاء درجة التوكل دركة الخذلان كما في قوله: و ان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده، و بازاء درجة التسليم دركة الهوان قوله: و من يهن الله فما له من مكرم، و في مقابلة درجة القرب و الوحدة دركة الطرد و اللعنة «اولئك يلعنهم الله و يلعنهم اللاعنون»، و كما ان اتفاء القدرة و العلم و الوجود في الطائفة الاولى اوجب لهم القدرة الغير المتناهية و العلم الذاتى اللدنى و الوجود المخلد الا بدى، فكذلك في هذه الطائفة اقتضى استبدادهم بهذه الصفات عجزاً غير متناه و جهلاً كلياً و هلاكاً سرمدياً، و ذلك هو الخزي العظيم.

و مما ورد في هذا الباب من احاديث رواها ثقات اصحابنا رضوان الله عليهم مارواه شيخ المحدثين محمد بن على بن بابويه في كتابه المسمى بمعاني الاخبار.

المشهد الثاني عشر

فى سر شجرة الطوبى و شجرة الزقوم

قال سبحانه: طوبى لهم و حسن مآب، و قال ان شجرة الزقوم طعام الاثيم اى طعام الاثمين، انها شجرة تخرج فى اصل الجحيم يعنى طبيعة الدنيويه، طلعتها كأنه رؤس الشياطين و الطلع عبارة عن مبدء وجود البذر الموجب لحصول الاثمار و بروزها عن الاكمام، و الاثمار هى الاغذية، كأنه اى كل طلع منها رأس شيطان من الشياطين و هى الاهوية المردية المغوية و الامانى الباطلة التى تتغذى بها و تتقوى نفوس اهل الضلال، و يمتلى بها طبائعهم و بواطنهم من الشهوات الدنيوية الموجبة لنار الجحيم و العذاب الاليم، قال تعالى: ثم انكم ايها الضالون المكذبون لاكلون من شجر من زقوم فمالمئون منها البطون، اى يملؤن بطونهم اى نفوسهم من الشهوات و مواد الامراض النفسانية الباعثة لفنون من العذاب و انواع من المحن و الالام فى الآخرة، كمن ادى به نهمته الى الحمى و الصداع و غيرها من الاوجاع و الامراض.

و اعلم ان النفس الانسانية اذا كملت فى العلم و العمل صارت كشجرة طيبة فيها ثمرات العلوم الحقيقية و فواكه المعارف اليقينية، و كانت اصولها علوم ثابتة، و فرعها نتايج هى حقايق عالم الملكوت و معارف عالم اللاهوت، هذا من حيث قوة العلم و الادراك، و اما من حيث قوة العمل و التأثير، فكون الانسان بحيث كلما تربده نفسه و تشتتته فيحضر عنده بقوته الباطنية القوية على احضار الصور المطلوبة دفعة من غير مهلة، لما مرت الاشارة اليه سابقاً

ان باطن الانسان في الدنيا هو ظاهره في الآخرة و ظاهره في الآخرة باطنه في الدنيا، و الانسان يتصور و يخترع هيهنا بقوته الخيالية مشتبهات كثيرة، يحضر صورها في عالم التمثل الذهني، الا ان تلك الصور ليست بمحسوسة و لاحاضرة عند حسه في العين، بل عند خياله في الذهن، و لاجل ذلك لا يعظم لذته منها، بل لا يلتذ منها اصلاً للشواغل الحسية، و اما اذا كان يوم القيامة، و كان الباطن مكشوفاً ظاهراً و العلم عيناً و الغيب شهادة و الذهن خارجاً، كانت اللذة على حسب الظهور و الوجود، لانها تزلت تلك الصور بمنزلة الصورة الموجودة في العين، و لن تفارق الآخرة الدنيا في هذا المعنى، الا من حيث كمال القوة و القدرة للنفس الانسانية على تصوير الصور عند القوة الحاسة، كما تشتهي، و كلما تشتهي الانسان السعيد حضر عنده دفعة، و تكون شهوته سبب تخيله و تخيله سبب تمثيل الصورة بين يديه و حضورها لديه كما قال تعالى: فيها ما تشتهي النفس و تلذ الاعين و هم فيها خالدون، و قوله: و لكم فيها ما تدعون، و هذه القدرة اوسع و اكمل من القدرة على ايجاد الشيء في الدنيا اى في خارج الحس، فان الموجود في الدنيا لا يوجد في مكانين و لا في مكان واحد يوجد اثنان للتراحم و التضايق الواقعين في هذا العالم، و ايضاً النفس اذا اشتغلت بمحسوس خارجي احتجبت به عن الآخر، فشغلها محسوس عن محسوس و حجبته لذة عن لذة اخرى، و الملتذ ايضاً ليس بقوى في ذاته لانقماره في المادة و امتزاجه بغيره، و كذا في الالم و المولم و هاهنا كله بخلاف ما في الدار الاخرى، فان الصور المحسوسة هناك، يتضاعف عند الانسان بلا مزاحمة و لاتضايق، و لا يستحيل هناك وجود محسوسات غير متناهية دفعة، اذ لا يجري فيه براهين امتناع الامور الغير المتناهية مجتمعة، و ايضاً لا يشغل النفس بعض تلك المحسوسات عن بعض، و لكونها صوراً بلامادة تكون اللذة بها مفرطة لخلوصها عن الشوائب و المكدرات.

فاذا تقرر هذا فثبت ان مثال شجرة طوبى مثال للنفس السعيدة

الكريمة علما و عملا.

و قد روى عن طريق اصحابنا رضوان الله عليهم ان طوبى شجرة اصلها فى دار على بن ابي طالب عليه السلام و ليس مؤمن الا وفى داره غصن من اغصانها، و ذلك قوله تعالى: طوبى لهم و حسن مآب فتأويل ذلك من جهة العلم ان المعارف الالهية سيما ما يتعلق باحوال الآخرة و ما لا يستقل بادراكه العقول على طريقة الفكر البحثى انما يحتاج فيها الى اقتباس النور عن مشكوة نبوة خاتم الانبياء صلى الله عليه وآله بواسطة اول اوصيائه واشرف اولياء امته، فان انوار العلوم الالهية انما انتشرت فى نفوس المستعدين من بدر ولايته و نجم هدايته، كما افصح قول النبى صلى الله عليه وآله: انا مدينة العلم و على بابها، و ذاته المقدسة بالقياس الى ساير الاولياء و العلماء بالولادة المعنوية كذات آدم ابي البشر فى الولادة الصورية، و لهذا ورد عن النبى صلى الله عليه وآله: يا على انا و انت ابوا هذه الامة.

قال العارف المحقق فى الفتوحات المكية، ان شجرة طوبى لجمع شجرات الجنان كآدم لما ظهر منه من البنين، فان الله لما غرسها بيده و سواها و نفخ فيها من روحه، و لما تولى الحق غرس شجرة طوبى بيده و نفخ فيها من روحه زينها بثمره الحلى والحلل اللذين هما زينة للابسةا، فنحن ارضا فان الله جعل ما على الارض زينة لها و اعطت فى ثمرة الجنة كله من حقيقتها عين ماهى عليه، كما اعطت النواة النخلة و ما يحمله مع النوى التى فى ثمرها انتهى كلامه.

وقد ظهر منه ان شجرة طوبى يراد بها اصول المعارف و الاخلاق ليكون الزينة للنفوس القابلة، كما ان ما على الارض زينة لها، و ذلك لأن ارض تلك الشجرة اذا كانت نفوسنا فحللها لابد ان تكون من قبيل زينة العلوم و المعارف و محاسن الاخلاق و الملكات.

قاعدة

في كيفية تجدد الاحوال و الاثار على اصحاب الجنة و اصحاب النار

اما اهل النار فلاشبهة في تجدد احوالهم و تبدل جلودهم واستحالة ابدانهم، و تقلبها من صورة الى صورة لقوله تعالى: كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليدوقوا العذاب، ولا شبهة في ان تبدل الابدان و استحالة المواد لا بد فيه من حركة دورية صادرة عن اجسام سماوية محيطة باجسام ذوات جهات متباينة كايئة فاسدة، فيكون الحكم في اهل النار بحسب ما يعطيه الامر الالهي بما اودعه من القوة المحركة الجابرة للفلك الاقصى على حر كاته، و الكواكب الثابتة في سباحة الدراري السبعة المطموسة الانوار، فهي كواكب لكنها ليست بثواقب ولا مضيئة ولها تأثيرات في حق اهل النار بفنون من العذاب و صنوف من العقاب بحسب ما يقتضيه سوابق اعمالهم و مبادئ افعالهم و اعتقاداتهم و نياتهم، ولهذا قال بعض العرفاء ان حكم النار و اهلها يقرب من حكم الدنيا و اهلها، و ليس للذينهم من اهلها الخالدين فيها بعد استيفاء العذاب و انقضاء مدة العقاب نعيم خالص و لا عذاب خالص، كما قال: لا يموت فيها و لا يحيى، والسبب في ذلك انه بقي فيهم ما اودع الله فيهم من آثار حر كات الافلاك، و لم يقع لهم توفيق الخروج من حكم الطبيعة و تأثيرها، فلا جرم لم ينجوا من عذاب النار و ان تغير منهم على قدر ما تغير من صور الافلاك و الكواكب من التبديل و الطمس و الانكدار و الانتثار، و لا تغير لها بحسب الذات الا ما شاء الله كما قال: فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير و شهيق خالدين فيها ما دامت السموات و الارض، الا ما شاء ربك.

واما اصحاب الجنة فليس لهم هذا التبدل و الاستحالة و الكون و الفساد، لارتفاع نشأتهم عن نشأة الطبيعة و حكمها، فحر كاتهم و افعالهم نوع آخر، ما فيها نصب و لا تعب و اعمالهم ما فيها لغوب لان السموات و

حركاتها مطوية في حقهم، لانهم من اصحاب اليمين، و لهم مقام فيه يطوى الزمان و المكان، فزمانهم زمان يجمع فيه الماضى والمستقبل من هذا الزمان، و مكانهم مكان يحضر فيه جميع ما يسعه السموات والارض، و مع ذلك تكون الجنة و نعيمها من المحسوسات بلاشبهة، الا انها ليست طبيعية مادية، بل محسوسته، و وجودها و جود ادراكى حيوانى مجرد عن عالم الطبيعة والهيولى المستحيلة الكاينة الفاسدة، كما ان ما يراه الانسان فى عالم نومه محسوسات بلاشبهة الا انها غير طبيعية، و النوم جزء من اجزاء النبوة و نشأته مثال نشأة الاخرة.

قال العارف المحقق فى الفتوحات المكية فى الباب السابع والاربعين منها، فلا يزال الاخرة دائمة التكوين، فانهم يقولون فى الجنان للشئ الذى يريد و نه كن فىكون، فلا يتمنون امراً ولا يخطر لهم خاطر فى تكوين امر الا ويتكون بين ايديهم، و كذلك اهل النار لا يخطر لهم خاطر خوفاً من عذاب اكبر مما هم فيه الا ويكون فيهم ذلك العذاب، و هو حضور الخاطر، فان الدار الاخرة يقتضى تكوين الاشياء حساً بمجرد حصول الخاطر والهيم والارادة والشهوة، كل ذلك محسوس و ليس ذلك فى الدنيا اعنى الفعل بمجرد الهمة لكل احد انتهى كلامه.

و من عرف كيفية قدرة الله فى وجود الخيال، و ما تجده النفس من صور الاجرام والابعاد العظيمة و صفاتها و احوالها فى طرفة عين، هان عليه التصديق بتجسد الارواح و تصور النيات و حضور المشتهيات دفعة بمجرد الهمة و القصد و الشهوة، لامن جهة مادة جسمانية، و من هذا القبيل تمثل الاشخاص الملكية عند الانبياء والاولياء عليهم السلام و نزولهم بالوحى و الكرامات فى صور الاجسام المحسوسة، لظهور سلطان الاخرة على قلوبهم و قوة باطنهم، وقد يقع الاشتباه لبعض المكاشفين فيما يراه من الصور المتمثلة الحاضرة عنده هل رآه بعين الحس او بعين الخيال، والحق انها صور محققة الوجود و هى اقوى تحصلاً من الصور الطبيعية، الا ان شرط تحققها على الوجه الاتم غلبة القوة الفاعلة النفسانية اعنى المصورة وحفظها

اياها بالهمة الشديدة، فان هذه الصور كما توجد بمشاركة المادة واستعدادها و جهات القابلية، كذلك توجد من الفاعل بمجرد جهات الفاعلية من غير مشاركة المادة، وهكذا الصور التي اوجدها الله لاهل الجنة و اعطاهم الاقتدار على انشائها وحفظها بقوة العزيز الحميد، ولا يؤدهم حفظهم اياها، لان ذلك الانشاء والحفظ ليس من جهة قوة مادية او آلة طبيعية يكلمها تكرر الافعال، ولا بوسيلة حركة توجب التعب و الانفعال والتغير، بل بمجرد القصد و الهمة والشهوة، كما ان الحال في تخيلات الانسان و احضار الصور المتمثلة في الخيال على هذا المنوال، حيث لا يوجب بقوته الادراكية كلالاً و تعباً ولا فيها نصب ولا لغوب، و من هاهنا يعلم ان القوة الخيالية منا ليست من القوى الطبيعية بل النفسانية، ولا من الامور الدنيوية بل من الامور الاخروية التي ستبرز عند القيامة فهي مفارقة الجوهر عن هذا العالم، نعم لها تعلق تصرف و تحريك بهذه الطبيعة المنطبعة في هذا الجسم المستحيل، و هذه الطبيعة ايضاً متصله بها و واسطة لتعلقها بهذا البدن المتبدل الكائن الفاسد في كل آن كما مر ذكره مراراً فما دامت الطبيعة البدنية موجودة طرية قوية، فتلك القوة النفسانية ضعيفة القوام و التأثير في تصوراتها المثالية و انشائها النشأة الثانية، و اذا دثرت الطبيعة و بادت المادة او ضعفت و وهنت، قويت قوة الباطن و اصبحت القوة النفسانية مخترعة للصور الخيالية على الوجه الاقوى، فصار الحس و الخيال واحداً حينئذ، و المتخيل بعينه محسوساً و المحجوب مكشوفاً و المعلوم حاضراً، كقوله: علمت نفس ما احضرت.

تمت

فهرس الايات القرآنية

الاية	الصفحة	الاية	الصفحة
الفاتحة		٨٧	١٥٤
١	٧٦	٩٩	١٧٦
		١١٦	٨٠
البقرة		١١٧	٧٦ ، ٢٣
٢	١٩ ، ١٥	١١٨	٥٥
٣	١٧٠ ، ١٥	١٢٩	١٥٥
٦	١٤٤ ، ٣٠	١٣٧	٢٣
٧	١٧٨ ، ١٤٤ ، ٣٠	١٤٨	٥١
٨	٣٠	١٥٤	١٤٦
٩	٣٠	١٥٦	١٠٣
١٠	٣٠ ، ١٥	١٥٩	٢٢٦
٢٢	١٢٥ ، ١١٧ ، ٦١	١٦٣	٣٤
٢٤	١١٤	١٦٧	١١٤
٢٦	١٥ ، ٢	١٧١	١٧٦
٢٨	١٨٤ ، ١٣٥	١٧٤	١١٤
٢٩	١٢٥	١٧٧	٣
٣٠	١٢٨ ، ١٠٩	١٨٢	١٢
٣١	١٢٩	١٨٥	١٧
٣٢	٢٢٥	٢٠٠	١١٦
٣٣	٤٢ ، ٤٠	٢١٢	١١٦
٣٥	١٦٧	٢٢٥	٢٠٤
٣٨	١٦٧	٢٤٧	٥٠
٦٥	١٥١	٢٥٥	١١٩ ، ٤٤ ، ٣٩

الاية	الصفحة	الاية	الصفحة
		البقرة	
١٦١	١٠٠	١٠٧، ٥٢، ٢٨	٢٥٧
١٠٥، ١٩، ١٧	١١٣	٢٠٩	٢٥٨
٢٧، ١١، ٢	١٣٦	٢٦٩، ١٣٨، ١٤، ٢	٢٦٩
١٧٧، ٩	١٥٥	٣٩	٢٨٤
١٢	١٦٢	٢٧، ٣، ٢	٢٨٥
١٠	١٦٣		
١٠٥، ٢٥	١٧١		
١٧٥، ١١٠، ١٩	١٧٤		
		آل عمران	
		١٩-١٨	٣
	المائدة	١٧	٤
٨٧	٦	١٤٠، ٥١	٦
٩	١٣	١٧٦	١٤
٢٠، ١٧، ١٣	١٥	٢٦	١٨
١٧٦، ١٣	١٦	٢٠٤، ٢٣	٣٠
٨٧	١٨	١٥٤	٣٤
١٣٣	٢٠	١٢٨	٥٩
١٣٢	٣٠	٨٢	٨٣
١٧	٤٣	٧٦	١٢٤
١٣٩	٤٨	٧٦	١٢٥
١٦١	٥٤	١١٤	١٣٣
١٥١	٦٠	٢٢٦	١٦٢-١٦٠
٧٨، ٥٩	٦٤	١٤٦	١٦٩
٣٥	٧٣	٢١٥	١٧٤
٥٥	٨٣	١٤٤	١٧٩
٤٩	١٢٠	١٩٩، ١٧٥	١٨٠
		٩٣	١٨٥
	الانعام	٣	١٩٢
١١٢	١	٤	١٩٢
١٢٨	٢		
١٥٥	٩		
١٦١، ٢٣	١٨	١٦١، ١٥٧	٢٨
١٧٦، ٣٠	٢٥	٢٠٧، ١١٠	٤١
١٥١، ١٣٧	٣٨	٢٣٠	٥٦
١٧٣	٥٠	٢٢٥	٦٩
			النساء

الاية	الصفحة	الاية	الصفحة
الانعام			
٥٢	٢١٥	١٤٥	١٩
٥٧	١٧٢	١٥٦	٢١٥، ٥٠
٥٩	٢١١، ٧٨، ٦٠، ٥٩، ٤٩، ٤٦	١٦٠	١١١
٦١	٢٠١	١٧٢	١٦٦
٧٠	١١٦	١٧٦	١٩٩، ١٤٤
٧٥	٧٨	١٧٩	١٤٤، ٥٥، ٣٠
٧٦	٢٠٩	١٨٠	٤٠
٨٣	٢٠٩	١٨٥	١٠٥
٨٨	١١	١٨٧	١٦٩، ٩٦
٩٠	١١	١٨٨	١٧٣
٩١	٢١٠، ٢٠	١٩٨	١٧٦، ١٣٨
٩٣	١٥٣	٢٠٦	٦٥
١٠٤	١٧٦	الاتفال	
١١٢	١٣٧	١٧	١١١، ٥١، ٣٩
١١٥	٧٥	٢١	٥٦، ٣١
١١٦	١٧٧	٢٢	٥٦
١٢٢	١٥٨، ١٣٠، ١٤	٢٣	٥٦، ٥٥، ٣١
١٢٨	١٥١	٣٧	٩
الاعراف		التوبة (البرائة)	
٨	٢٠٧، ٢٠٠	٦	٥٣
٢٩	١٧٣، ١٦٦	١٤	٥١، ٣٩
٣٤	٩٦	١٩	٣
٣٨	١٧٧	٣٠	٥٩
٤٠	٢١٨، ١٥١	٣٢	٩١
٤١	١٥١	٤٠	٧٥
٤٣	٨٦	٤٦	١٥٣
٤٩	١٧٠	٤٨	١٥٣
٥٤	١٠٤، ٧٩، ٧٥	٤٩	١١٤
٥٧	١٢٣	٦٧	٥
٥٨	١٤٠	٧٢	٢٢٥، ٨
١٢٩	١٣٣		

الاية	الصفحة	الاية	الصفحة
			التوبة (البرائة)
٨٧	٢١٩	٤٦	٢٠٨، ٢٠٥
١٠٢	٢١٦، ٧٧	٦١	١٢٨
		١٠٦	٢٣٠
		١٠٨	٧٤
			يونس (ع)
٥	١٥٥، ١٢٥	يوسف (ع)	
٦	١٦	١	١٦
٨ و ٧	١١٦، ٥	٦	٥٣
١٩	١٤٣	١٠٣	١١
٢٣	٩٦	١٠٥	١٧٦، ٣
٢٤	١١٢	١٠٦	١١
٣٠	٩٦	١٠٨	٥٣، ١
٣٣	٣٠		
٣٤	٩٦	الرعد	
٣٦	١٧٧	١	١٥
٣٧	١٣	٤	٨٠
٣٩	٣١	٧	١٧٣
٤٣	٣١	١١	١٦١، ٧٦
٤٨	١٧٠	١٢	١٢١
٦١	٤٦	١٣	١٢١، ٧٦
٦٤	٥٩، ٢٨	١٦	٣٥
٩٢	١١٢	١٧	١٢٣
١٠١	٣	١٩	١٧٧، ٥٦، ١٥
		٢٣	٢١٨
		٢٩	٢٢٩، ٢٢٧
		٣٣	٢٣
		٣٩	١١٧، ٤٨، ١٦
			هود (ع)
١	١٣	ابراهيم (ع)	
٦	٦١	٢	٥
٧	٨٨	٣	١١٦، ٥
١٥	١١٦، ١٠	١٠	١٥٥، ٣٤
١٦	٢١٥	١٨	١٥٧
١٩ و ١٨	١٣٩	١٩	٨٦
٢١	١٦١		
٣٤	١٥٢		
٣٧	٧٨		

الاية	الصفحة	الاية	الصفحة
	١٥٧	٧٨	ابراهيم (ع)
	١٢٤ ، ١٢٣	٨١	١٣٧
	١١	٨٣	١٣٧ ، ١٠٣
	١٤٣	٩٣	٧٧
	٨٨ ، ٦٨ ، ٦٤	٩٦	٧٧
	١٥	١٠٢	١٥٧ ، ٤٨
	١١٦ ، ٨	١٠٦	٩٦ ، ٨٦
	١٨٢ ، ١١٦ ، ٨	١٠٧	
	٧ ، ٤	١٠٨	
	١٠٣	١١٢	١٢٤
	٢١١	١٢٥	١٢٤
	١٢	١٢٨	٦٨ ، ٦١ ، ٥٩ ، ٤٩ ، ٤٨ ، ٤٧ ، ٤٦ ، ٤٥ ، ٤٤ ، ٤٣ ، ٤٢ ، ٤١ ، ٤٠ ، ٣٩ ، ٣٨ ، ٣٧ ، ٣٦ ، ٣٥ ، ٣٤ ، ٣٣ ، ٣٢ ، ٣١ ، ٣٠ ، ٢٩ ، ٢٨ ، ٢٧ ، ٢٦ ، ٢٥ ، ٢٤ ، ٢٣ ، ٢٢ ، ٢١ ، ٢٠ ، ١٩ ، ١٨ ، ١٧ ، ١٦ ، ١٥ ، ١٤ ، ١٣ ، ١٢ ، ١١ ، ١٠ ، ٩ ، ٨ ، ٧ ، ٦ ، ٥ ، ٤ ، ٣ ، ٢ ، ١
			١٢٨
			١٣٨ ، ١٣٦ ، ١٢٨
			٢١٨
			٥٢
الاسرا (بنى اسرائيل)	٢	٩	
	١٩	١٠	
	٦	١٣	
	٦	١٨	
	٢٠٦ ، ٢٠١	١٩	١٠٤
	١١٦ ، ٦	٢٠	١٢٥
	١١٦ ، ٦	٢١	٧٨
	٧٤ ، ٤٩ ، ٦	٢٢	١٢٥
	٢١١ ، ١٨٤ ، ١٣٩ ، ٦	٢٣	١٢٤
	٦	٣٩	١٢٤
	٦	٥٠	٧٥
	١٧٥	٧٠	٨١
	١٣٨	٧١	٨١
	٢٠٣	٧٢	٣٣
	٥	٨٤	٣٣
	١٤٠ ، ٧٧ ، ٤٣	٨٥	٢٣
	١٤٧ ، ١٠٥ ، ١٠٤ ، ٧٥	٩٧	١٥
	١٥١	١٠٥	١٢٥
	١٨ ، ١٧	١١١	١٠٦ ، ١٣٧ ، ١٢٦ ، ١٢٥
	٣٣		١٢٥
			١٧٤ ، ١٧٣ ، ١٧٠

الحجر

١٩

٢٠

٢١

٢٦

٢٩

٤٤

٤٦

النحل

١

٨-٥

٨

١١ و ١٠

١٤ و ١٣

١٥

٤٠

٤٨

٤٩

٥١

٦٠

٦٤

٦٧ و ٦٦

٦٨

٦٩

٧٧

الصفحة	الاية	الصفحة	الاية
			الكهف
١٥١	١٠٢		٢٩
٢٠٠، ١٩٦	١٠٥	٢١٨	٣٥
٢٠١	١٠٨	١٨٤	٣٦
٢٣	١١١	١٧٠	٣٧
١٧٦	١١٥	١٣٦	٤٦
١٨١، ١٧٨، ١٥١	١٢٤	١٣٢	٤٩
٤	١٢٦	٢١٥، ٢٠٤، ٣٧	٥١
		١٣٢	٨٢
	الانبيا	١٤٠	١٠٠
١٠٠	١٦	١٠	١٠٣
٦٥	٢٠	١٧٧	١٠٩
٢١٠، ٣٤	٢٢	٧٤، ٦٤، ٤٩	١١٠
١٠	٢٤	١٤٤، ١٤٣	
١٠	٢٥		مریم (ع)
١٦٩	٣٨		٦
٢٠٧	٤٧	٦	٩
١٠	٩٨	١٦٦	٣٧
٢١٠	٩٩	٦	٤٠
١٧٤، ١٤٧، ٩٧	١٠٤	٩٦	٦٥
		٧٦	٦٨
	الحج	٩٢	٧٦
١٧٧	٤٥٣	٦	٨٥
١٨٤، ٩٧	٥	٦	٩٦-٩٣
١٨٥	٧٥٦	٩٦	٩٥
١٧٧	٩٥٨	١٧٣	
١٦١	١١		ط
٢٢٦، ٨٠	١٨		٥
٧	١٩	١١٩	١٤-١٠
٧	٢١، ٢٠	٥٣	٥٠
١٧٨	٤٦	١٥٧، ١٥٥	٥٥
٨٨	٤٧	١٠٣	٧٤
١٧٣	٥٦	٦	٧٦، ٧٥
١٦١	٧٣	٦	٩٦
٢٠٧	٧٨	١٨١	

الآية	الصفحة	الآية	الصفحة
المؤمنون	٧	الشعراء	٧٧
٧	٧٦	١٦١	١٨٢
١٣ و ١٢	١٨٥ ، ١٢٩ ، ١٢٧	٢٠٨	١٩٣
١٤	١٨٥ ، ١٣٦ ، ١٢٩ ، ١٢٨ ، ١٢٧	١٥٤	١٩٦-١٩٢
١٦ و ١٥	١٨٥	٥٣	٢١٢
٢٤	١٣٨	٥٥	٢٢٢ و ٢٢١
٥٣	١٤٠ ، ٧٧	٢٠٣	
٧١	٢٢٥		
٧٩	١٤٧ ، ٩٧		
٨٩-٨٦	٣٤	النمل	٦
٩٢ و ٩١	٣٤	١٧	٧٥
١٠٠	١٨٣	٥٩	٨٠
١٠٣	٢١٣	٥٥	٨٢
١٠٨ و ١٠٧	٢١٨	١٥١	٨٣
١١٥	١٨٥ ، ٩٧	١٥١ ، ١٤٣	٨٥
		١٥١	٨٧
		١٦٧ ، ٩٨	٨٨
		٨٦ ، ٧٩	
التور			
٢٤	١٥١		
٣٥	١٦٨		
٣٩	١٥٧ ، ١١٢	التقصص	٧٠
٤٠	١٠٧	١٩٩ ، ٣٣	٧٢
٤١	٨١	٣٣	٨٣
٤٢	٩٨	٢١٥ ، ١١٧	٨٨
٤٤ و ٤٣	١٢٢	١١٦ ، ٣٧ ، ٣٥ ، ٣٣	
٥٥	١٢٨		
		العنكبوت	١٩
		١٠٠ ، ٩٨ ، ٣	٢٠
		٩٨ ، ٨٩ ، ٣	٢١
		٩٨ ، ٨٢	٢١
		١١٣ ، ١٠٦	٤٣
		١٨	٤٨
		٩٨	٥٧
		١٧٨ ، ١١٣ ، ٩٨	٦٤
الفرقان			
٧	١٣٨		
٢٣	٢١٦		
٣٤	١٥١		
٤٣	١٣٢		
٦٣	٧٧		

الاية	الصفحة	الاية	الصفحة
الروم		سباء	
٨	١٣٢، ٩٩	٣	٢٢٥، ٤٦
١١	١٦٨، ٩٩	٦	٥٦، ١٢
٢٤	١٢٢	٢٤	٢١٠
٢٥	١٠٠، ٨٢، ٧٢	٥٣-٥١	١٧٠
٢٧	١٠٧	٥٤	٢٢٥
٣٠	٧٢		
٤٠	٣٣	فاطر (الملائكة)	
٤٨	١٢٢	٢	١٥٢
		٩	١٢٢
لقمان (ع)		١٠	١٢٧، ١٠٥، ٣
٧	٢٢٠، ٧	١٣	١٠٠
٢٠	١٢٥	٢٧	١٢٣
٢٧	٤٩	٣٩	١١٠
٢٨	١٧٤، ١٣٥، ٩٣	٤١	٧٤
٢٩	١٠٠	٤٣	٧٢، ٣١
٣٠	٣٣		
السجدة		يس (ص)	
٣	١٥	٧	٧٥
٥	١٠٧، ١٠١، ٨٨	٩	٢٢٠، ١٧٨، ١٧٦، ٣٠
٧	١٣٤، ١٣١	١٠	١٧٦
١٠-٨	١٣١	٣٢	٥٩
١٢	١٥٣، ١٢٨، ١٠٣	٥١	٢٠٠
١٧	١٧٧	٥٤	٢٠٥
٥٣	٢٧، ٢٣	٥٩	١٤٤
		٧١	٧٩
		٧٩-٧٧	١٨٥
الاحزاب		٨٢	١٠٤، ٧٦، ٥٤، ١٦
٤	٦٨	٨٣	٨٠
١٣	١٦١		
٣٦	٢٢٤	الصفات	
٦٣	١٧٠	١	٧٩
٥٦	٢٢٥	٢٤	٢٠٠
٧٢	١٦٠	٦٤	٢٢٧

الآية	الصفحة	الآية	الصفحة
	٢٠٧	٢٦	الصفات
٩٩	١١٤، ٧٠	٤٦	١٦١، ٢٢
١٦٤	٢٠٠	٥١	٧٧
١٨٠	١٧٠	٥٩	٢٣
	١٣٦	٦٤	
ص	١٣٠، ١٢٩	٦٧	
٢٠	١٣٠	٦٨	١٣
٢٦	١٥١	٧٢	١٠٩
٥٠	٢١٨	٧٦	٢١٨
٦٨	١٢٥	٧٩	١٧٦
٧١			١٣٠، ١٢٩
٧٢			١٢٤
	فصلت (حمسجلة)		
	١٣	٣	
	٩١، ٨٢، ٥٤	١١	
	٧٥	١٢	٧٦
	١٥١	٢١	١٤٤
	٢٠٥	٢٨	٤
	١٧٧	٢٩	٢٨
	٢٠١، ٢٨	٣٠	١٥، ١١
	٢٠١، ٢٢٨	٣١	٢٢٣
	٨١، ٦٥	٣٨	١٥٨
	١٠	٤٣	٣٩
	١٥	٤٤	١٤٧، ٨٦، ٧٨، ٥٩
	١٧٥	٤٧	١٧٤، ١٦٧، ١٠١، ٨٩، ٨٦
	١٣٢، ١١٠، ١٠٦، ٢٧	٥٣	٢٠١، ٩٦، ٩٠، ٥٩
	٥١	٥٤	٢٠١
			٢١٨
			٢٢٥
			٢٠١، ٧٦
	الثوري (حمسق)		
	١٠	٣	
	٢٣	١١	
	١٠	١٣	
	١٠١	١٥	١٤
	١٦٩	١٧ و ١٨	٢٢٥، ١٩٩، ١٦٦، ٨٩
	١١٦	٢٠	٢٠٧
			المؤمن (الغافر)
			١٥
			١٦
			٢٥

الاية	الصفحة	الاية	الصفحة
الشورى (حمسق)	٥٩	٣	٣٨
	٨٣	٩	١٧٢
	١٩	١٢	١٠
	١٣، ١٥، ١٧، ١٨، ١٩، ٧٥	محمد (ص) (القتال)	٩
	١٠٣، ١٠٦، ١٠٧، ١٦٤، ١٧٥، ١٩٩	١٦	٢٣
		٣٨	
الزخرف			
٤	١١٧		
١٤	١٠١، ٨٧	الفتح	
٣٢	١٤٠، ١٣٩	١٠	٧٨
٣٣	١٤٠	٢٣	٧٢
٣٦	٢٠٣		
٤٤ و ٤٣	١٥	الحجرات	
٦١	١٧٠	١٤	٦٩، ٣١، ١١
٦٨	١٠١		
٧١	٢٢٨	ق	
٧٧	٢١٨	٤	٢١٥، ٦١
٨٤	٥١، ٢٣	٧	١٢٤
٨٥	١٧٢، ١٧٠	٨	١٢٤
		١٥	٢٠١، ٨٦، ٦٣
		١٦	٢٠١
الدخان		١٧ و ١٨	٢٠٣، ٢٠١
٤٣	٢٢٧	٢١	٢٠١، ١٢٣، ٢٤
الجاثية		٢٢	٢١٢، ٢٠١، ٨٧
٦	١٦	٢٣	٢٠١، ٢٤
٨ و ٧	٧	٢٩	٢٠٤، ٧٢
١٠ و ٩	٧	٣٧	٦٩
٢٢	٢٠١	٤١	١٠٢
٢٣	٢٢٠، ١٧٧	٤٢	١٠٢
٢٤	١٨٥	٤٣	٨٢
٣٥	١٠		
		الذاريات	
		٢١	١٣٢، ٢٧، ٤

الاية	الصفحة	الاية	الصفحة
	٧٨	٧٨	الذاريات
			٦٢
		الواقعة	٧٩
	٧٧	٨٧	١٢٨
	٢٢٧	٥٣-٥١	
	٨٦	٦١ و٦٠	الطور
	١٨٤	٦٢	٦-١
	٥١	٦٣	١٠٢ ، ٧٦
	٥١	٦٤	١٠٢
	٥١	٧١	٢٠٥
	٥١	٧٢	٥٩
	٢٣	٧٤	
	١١٧ ، ٦١	٧٧	النجم
	١١٧ ، ٧٧	٧٩	١١١ ، ٥٣
	٧٧	٨٨	٥٣
	٢٢٥	٩١	١٧٢ ، ١٩
			١٧٢ ، ١١١
		الحديد	١٧٢
	٣٦	٣	١١٧
	٢٨ ، ١٧	٩	
	١٧٨ ، ٢٨	١٢	القمر
	٢١٨	١٣	١٧٠
	٢٨	١٩	١٤٤
	١١١	٢٠	٤٨
	١٧٣ ، ١٣٨ ، ١١٤	٢١	١٧٤ ، ١٠٦ ، ٧٥ ، ٥٣
	٦١	٢٢	٢٠١
	٢٠٨ ، ١٧٥ ، ١٢٨	٢٥	٢٢٠
		المجادلة	
	٣٦ ، ٣٥	٧	٢٠٨
	٢٩	١١	١٢٩ ، ١٢٨
	٤	١٩	١٦٦
	٢٠٣ ، ٧٥ ، ٢٠	٢٢	٢٢٥ ، ١٦٦
			١١٥
			الرحمن
			٧-١
			١٤
			٢٦
			٢٧
			٤٣

الاية	الصفحة	الاية	الصفحة
الحشر			
٢	١١٤، ٤	١	١١٧
١٩	١٦١، ١٣٤	٤	١١٢، ١٧
٢٣	٢٣	٣٦	١٤٤
٢٤	٢٣	٤٢	٢٠١
الجمعة			
٢	١٥٥، ١٤	١٤	٢٠٠
٤	١٦١، ١٤، ٢	١٥	١٠٢
٥	١٤٦، ١٤٤	١٦-١٣	١٧١
المنافقون			
٧	٤٧	١٧	٩٠
التغابن			
٣	١٤٧	٢٠ و ١٩	٢٠٣
٦	١٤٤	٢٦ و ٢٥	٢٠٣
الطلاق			
٣	٢٢٥	٣٧-٣٠	٢٢٣
١١	٢٨	٣٩	٧٨
١٢	١٦	المعارج	
التحريم			
٨	١٥٣	٣-١	٨٨
الملك			
٢	١١٢، ١٠٧، ١٠٣	٤	١٦٨، ١٠١، ٩٤، ٨٨
٣	١٣٩، ٧٩	٥	٨١
١٠	٢٢٠، ٩	٧	١٧٠
١٤	٤٦	١٧ و ١٦	٢٢٣، ١٨١
٢٢	٢٢١	٣٨	٢٠٦
٢٣	٢٢١	٤٣	١٧١
الجن			
٢	١١٢، ١٠٧، ١٠٣	نوح (ع)	
٣	١٣٩، ٧٩	١٤	١٣٩
١٠	٢٢٠، ٩	١٧	١٣٥
١٤	٤٦	٢٢	٣١
٢٢	٢٢١	٢٥	٢٠٠، ١١٤، ٧٠
٢٣	٢٢١	الجن	
الملك			
٢	١١٢، ١٠٧، ١٠٣	١٥	٢٢٣

الاية	الصفحة	الاية	الصفحة
المزمل		٣٨	٩٤
١٤	١٧١	٤٠	١٧١
١٧	١٧١		
النازعات			
المدثر		٥	٢٢٢، ٧٩، ٧٦
٣٠	٢٢٢	١٣	٢٠٠
٣١	٢٢٢، ٧٩، ٧٨	٣٣	٢١٢
٥٥	١٧٧	٣٥	١٧١
		٣٦	١٧١
القيامة		٣٧	٢٢١، ٢٢٠، ١١٦
٨	١٩٩	٤١-٣٨	٢٢١
٩	١٩٩	٤٥-٤٢	١٧٣
١٢	١٤٦		
١٩-١٦	١٢	عبس (الاعمى)	
٢٠	١٣٦	١٦-١٣	٢٠٤
٣٠	١٤٦		
٤٠-٣٦	١٨٥	التكوير (كورت)	
		١	١٩٩، ١٧١، ٩٢
		٢	١٧١، ٩٢
		٤-٢	٩٢
		٥	١٥١، ٩٢
		٦	٢٠٠، ١٧١
		١٠	٢٠٤، ١٧١، ١٤٧، ٩٣
		١٤-١١	١٧١، ٩٣
		١٤	٢٣٢
الدھر (الانسان)			
١	١٦٦، ١٣٥		
٢	١٣٦، ١٣٥		
٣	١٣٦		
١٣	٢٠٠		
٣٠	٣٩		
المرسلات			
٨	١٩٩، ١٧١		
١٠ و ٩	١٧١		
٥٠	٣		
الانفطار			
		٢ و ١	١٧١
		٢	١٩٩
		٥-٣	١٧١
		١١	٢٠٣، ٢٤
		١٣	١٤٧
		١٦	١١٤
		١٩	١٧٢
النباء			
١٨	١٧١، ١٤٢		
٢٠ و ١٩	١٧١		
٢٥ و ٢٤	٢١٨		

الاية	الصفحة	الاية	الصفحة
المطففين	٦	الشمس	١٣١
	٧	٨ و ٧	١٣١
	١٤	الانشراح	١١١
	١٥	١	١١١
	١٦	العلق	٥٣
	١٨	٥-١	١١٧، ١٢
	١٩	٥-٣	١٤٧
الانشقاق	٥-١	٨	١٤٧
	٦	القدر	١٦٨
	١٠	٤	١٦٨
البروج	٢٢	البينة	١٤٤
		٧ و ٦	١٤٤
الطارق	٩	الزلزال (الزلزله)	١٧١
	١١	٢ و ١	١٧١
	١٧-١٥	٦	١٥١، ١٤٣
الاعلى	١	العاديات	١٧٢
	١٣	٩	١٧٢
	١٩ و ١٨	١٠	١٧٢
الفجر	٢٣	التكائر	١٠٧
	٢٧	٢ و ١	١٠٧
	٢٨	الهمزة	١١٤
	٢٩	٩-٧	١١٤
	٣٠	الاخلاص	٣٣
		٤-١	٣٣

Iranian Academy of Philosophy

Publication No. 69

Şadr ad-dīn Shīrāzī
(Mullā Şadrā)

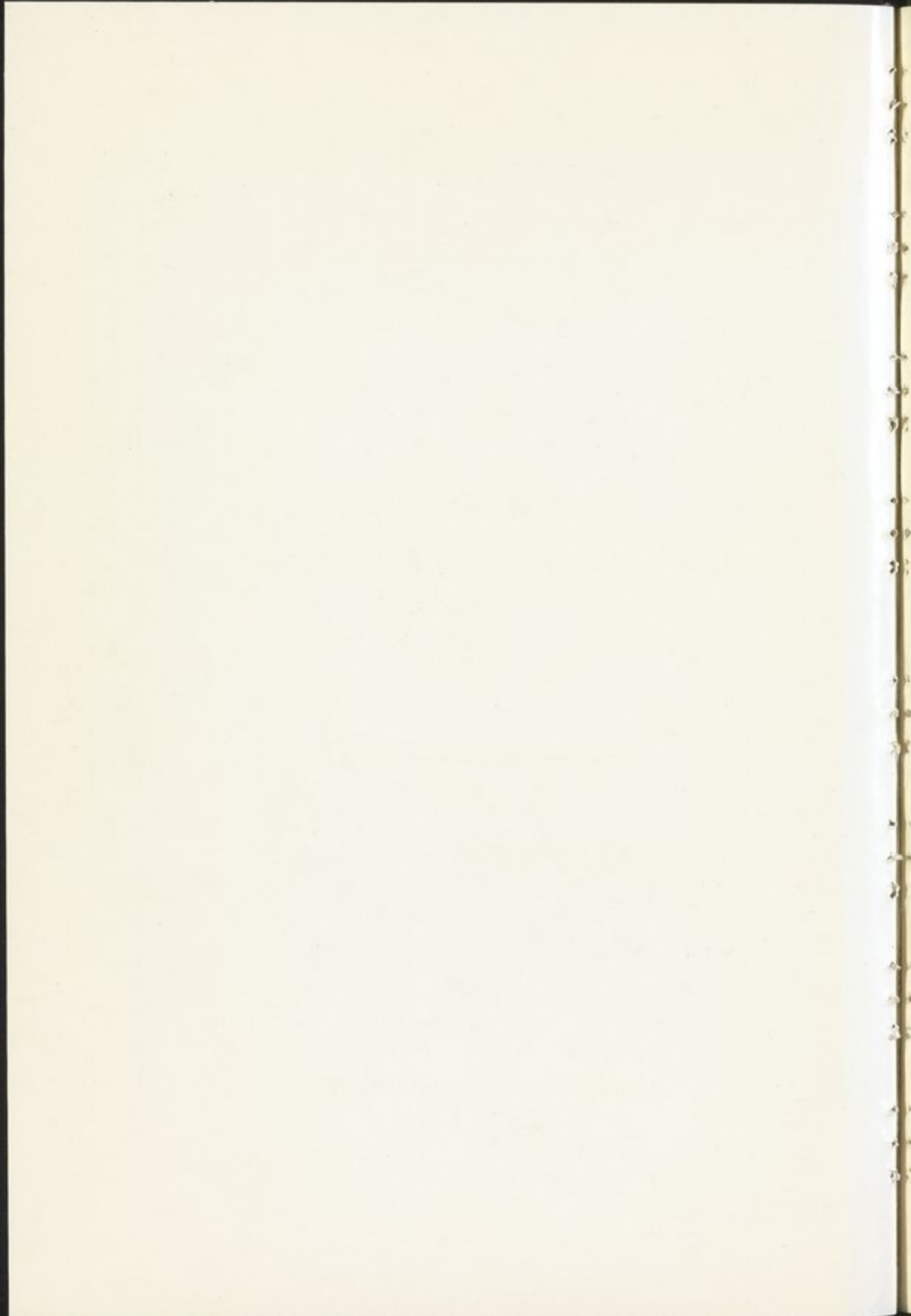
Asrār al-Āyāt
(The Mysteries of the Quranic Verses)

EDITED WITH PROLEGOMENA AND NOTES

By

Muḥammad Khājavī

Iranian Academy of Philosophy
Tehran 1981





Şadr ad-dīn Shīrāzī
(Mullā Şadrā)

Asrār al-Āyāt
(The Mysteries of the Quranic Verses)

EDITED WITH PROLEGOMENA AND NOTES

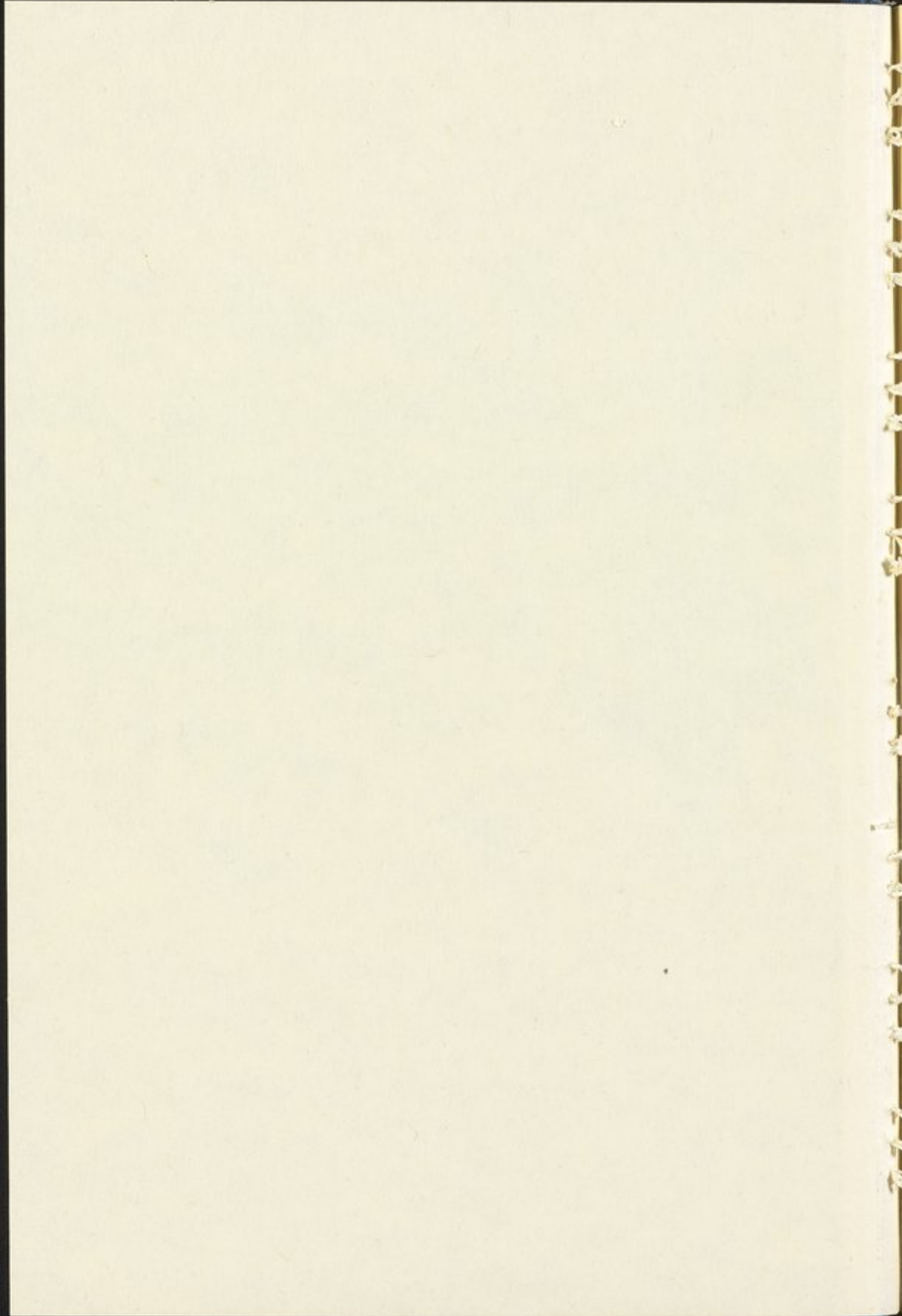
By

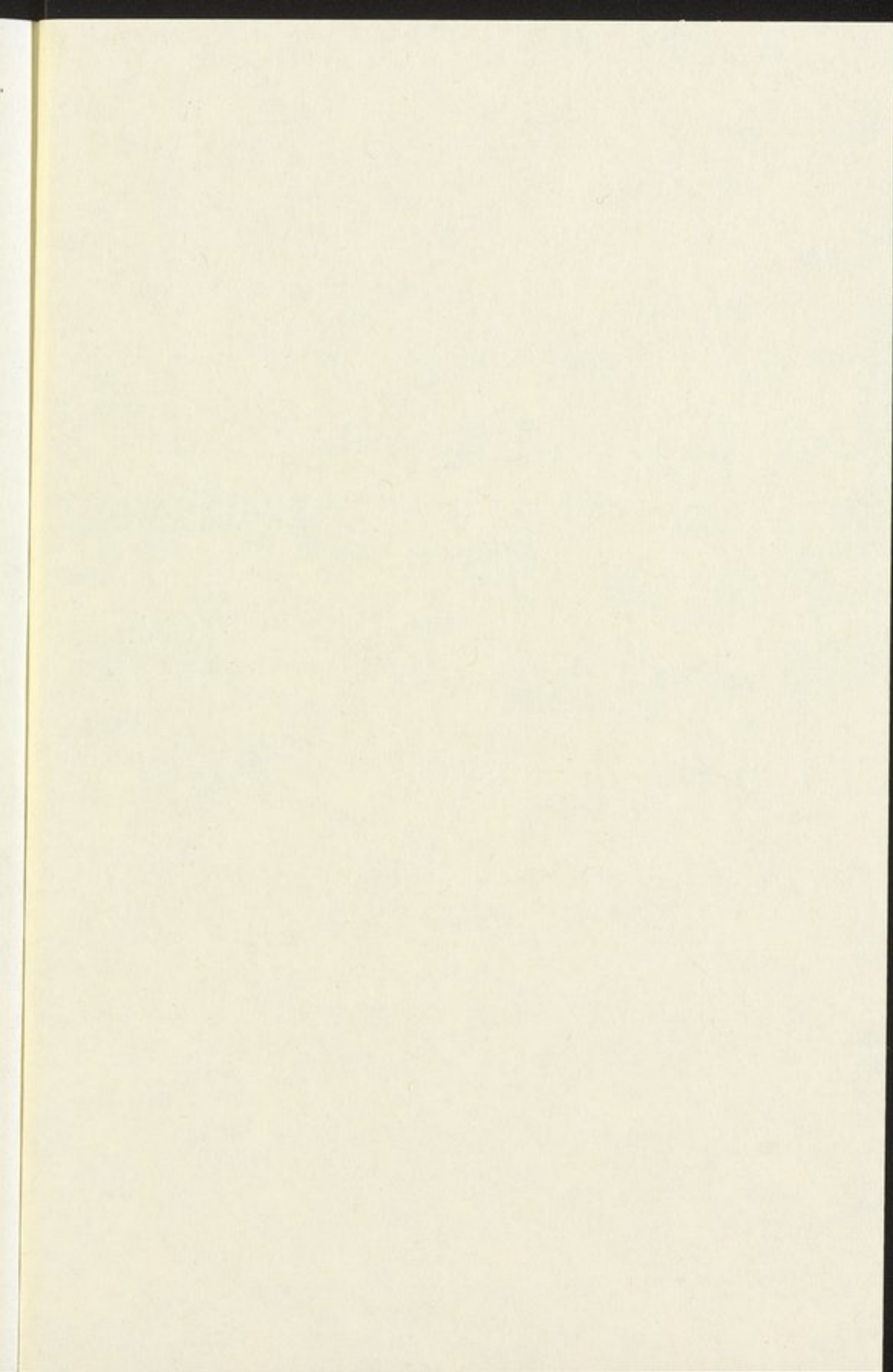
Muḥammad Khājavī

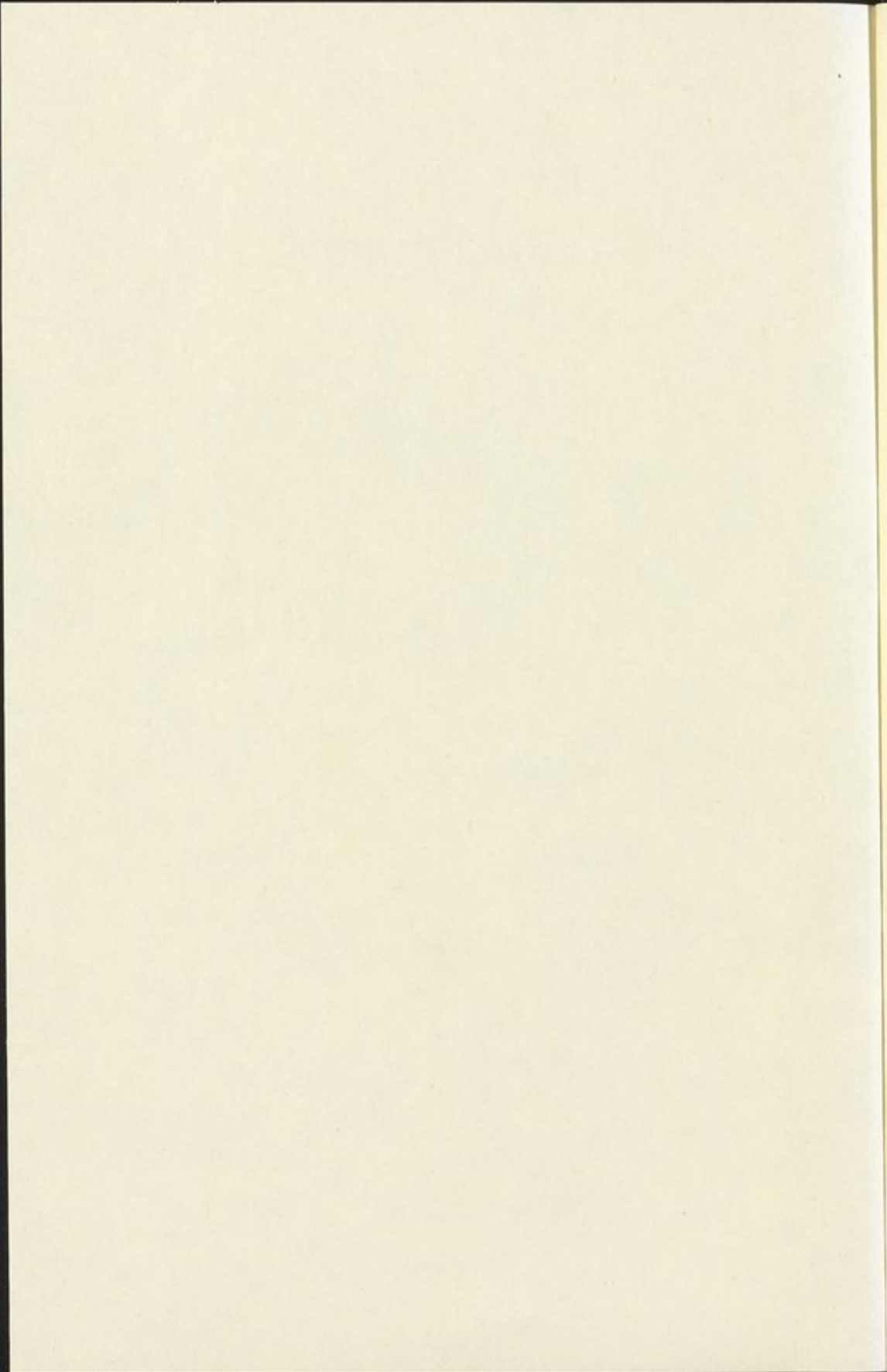
Iranian Academy of Philosophy

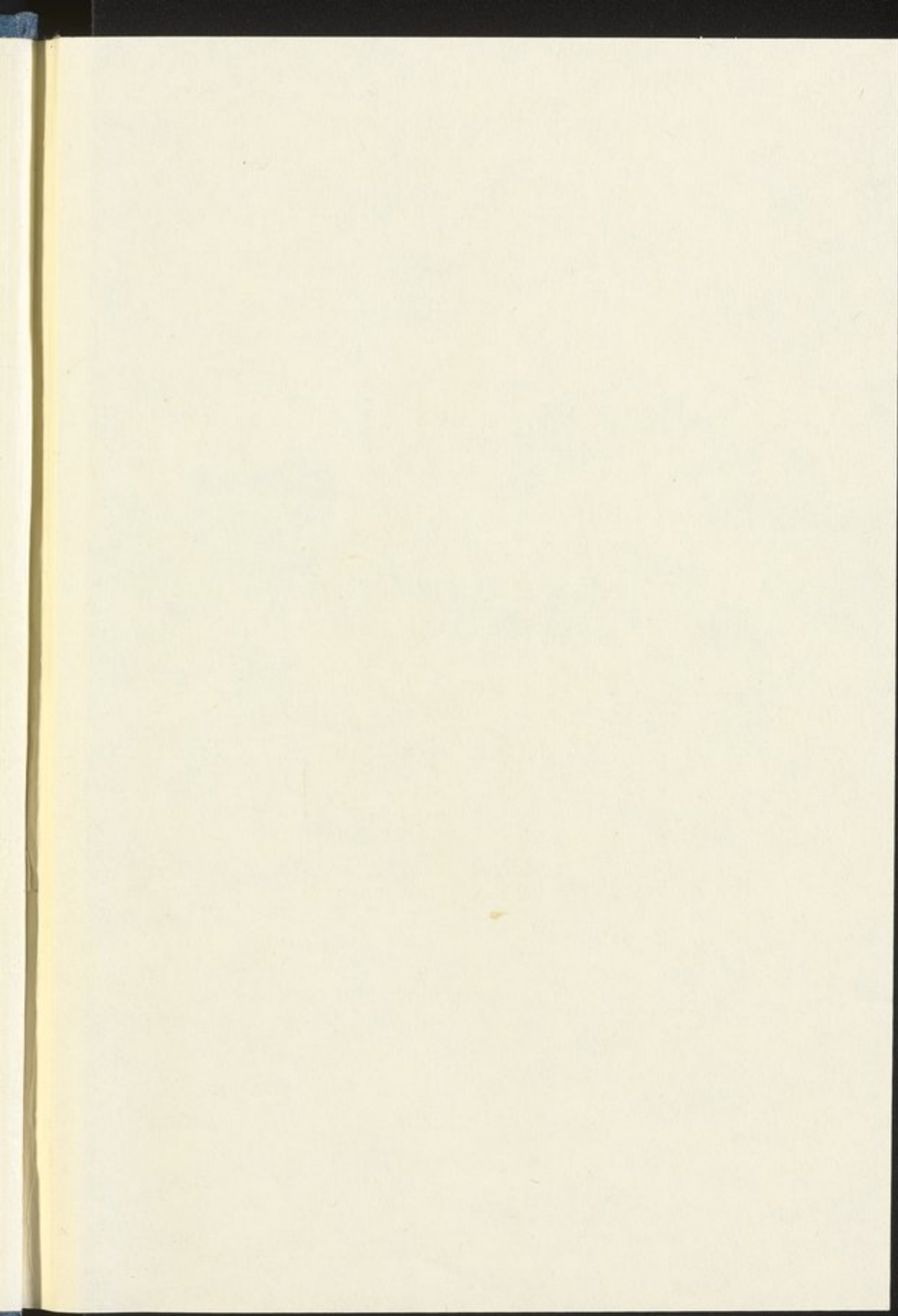
Tehran 1981













WERT
BOOKBINDING
Grantville, Pa.
July—Aug. 1987
We're Quality Bound

